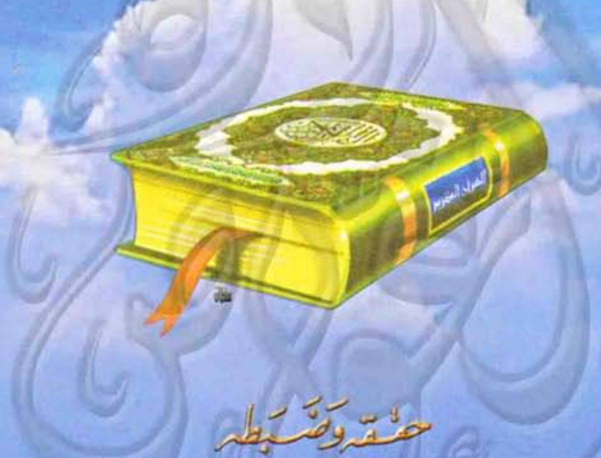
من التراث الصوفي القديم

تفسير القرآن العظيم

لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع

التستري



حققه وضبطه

طه عبد الرءوف سعد و سعد حسن محمد علي

من علماء الأزهر الشريف | مدرس بالأزهر الشريف



- الكتاب: تفسير القرآن العظيم
- المؤلف: التسترى
- الناشر: دار الحرم للتراث
- العنوان: ٤٥ سوق الكتاب الجديد بالعتبة ٥٩١٦٠٢١
- الطبعة الأولى: مايو ٢٠٠٤
- رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠٠٤/٧٢٣٢
- الترقيم الدولى: 7 - 10 - 6038 - 977

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحققين

الحمد لله بنعمته تتم الصالحات وبشكره تزداد الأعمال الطيبات لم يخلق الخلق عبثا ولم يتركهم سدى بل خلقهم لمعرفته وإذا عرفوه عبدوه حق عبادته كما يريد الرب ويرضى.

نحمده على الكثير والجزيل ونشكره على نعمه التى لا تفنى وفضله الذى لا يستقصى.

نحمده مُطلع شموس المعارف الربانية من سماء التنزيل ومشرق أنوار الحقائق القرآنية من بحار التفسير والتأويل.

نحمدك يا منزل القرآن المجيد منه آيات محكمات هن أم الكتاب الجليل وأُخر متشابهات يسلك بها أسلم طريق وأحكم سبيل فيرد المتشابه إلى المحكم وهذا ما يفعله المفسرون ذوو الرأى السديد ،ونشكرك تعالى ارتفعت عن الشبيه والمثيل وعلــوت أن يكون لك صاحبة ولا ولد ولا نظير تنزهت عن الصاحبة والشريك والولـد فسبحانك مـن واحد أحد فرد صمد ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾.

ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله شهادة تثقل بها يا ربنا الميزان فمن ثقلت موازينهم فهم الذين فى أعلى الجنان ولا تجعلنا يا إلهنا من الذين خفت موازينهم من المعذبين فى النيران يا رءوف يا رحيم يا كريم يا منان.

ونصلى ونسلم ونبارك على سيدنا محمد صاحب الشفاعة الكبرى والرسالة العظمى وعلى آله وأصحابه وأزواجه والسالكين سبيله وناشرى علمه وقراءه محافظة على دينه صلاة وسلاما وبركة دائمة من يوم وجوده إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين.

وبعد فإن خير كتب الله المنزلة على أفضل رسل الله المشرفة هو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ومن المفهوم أن علم تفسير القرآن خاصة وباقى العلوم الخادمة للقرآن عامة قد اكتسبت أهميتها من أهمية أصلها ومصدرها وهو كتاب الله المنير.

فالقرآن العظيم هو كتاب الله الكريم وكلامه القديم المنزل من خالق الخلق أجمعين الذى أنزله على سيدنا محمد ﷺ باللفظ والمعنى بواسطة أمين الوحى جبريل عليه الصلوات والتسليم.

والقرآن هو الكتاب المتعبد بتلاوته المعجز عن إتيان أقصر سورة منه المنقول إلينا نقلا متواترا.

فهو القديم غير المخلوق إذ هو كلامه تعالى وكلامه صفة من صفاته بدأ منه جل جلاله وإليه يعود وهو الذى مكتوب فى المصاحف المحفوظ فى الصدور المقروء بالألسنة المسموع بالآذان.

والقرآن الكريم أساس الدين المتين جمع كل شيء وتضمن كل علم فيه الشرائع والأحكام والحكم والآداب والأمثال والتاريخ والمواعظ والاعتبار، ما ترك صغيرة فضلا عن كبيرة إلا أحصاها علمه من علمه من الذين أنعم الله عليهم وجهله من جعل الله على أبصارهم غشاوة فهم لا يفقهون وعلى قلوبهم أكنة فهم لا يعلمون.

أخرج الترمذى فى سننه قوله ﷺ :

« كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله تعالى. وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق (لا يبلى) على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه. وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن

قالوا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ١، ٢] من قال به صدق ومن تمسك به هُدى إلى صراط مستقيم.

فكتاب جمع كل هذا لا يدع مجالا للظن أو طريقا للشك أنه من عند غير الله تعالى ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وعلى الرغم من كل هذا فإن الله تعالى وله الشكر الخالص والفضل الجزيل قد ضمن لنا حفظ دينه دين الإسلام المجيد ومجالات هذا الحفظ كثيرة ومن أهم هذه المجالات هو القرآن الكريم.

ولهذا يصطفى من عباده من يريد فيسخرهم لما يشاء من حفظ هذا الكتاب المبين قراءة وتلاوة وكتابة وتفسيرا وتأويلا وفهما وشرحا وعلما وعملا وبيانا وتبيينا وطباعة ونشرا وتحقيقا.

من هنا كان توجه مكتبة الحرم إلى نشر التراث الخادم للدين الإسلامى وكان اختيارها لهذا التفسير الفريد تفسير التسترى وهو تفسير صوفى صادق يذكر باطن التفسير للآية وقد لا ينسى أن يفسر ظاهرها فهو قد استمسك بالفضل من جانبيه والتزم بالحق من جهتيه.

والكتاب مطبوع فى ثلاث طبعات كانت أحدثها من حوالى مائة عام وقد عهدت المكتبة إلينا: طه عبد الرءوف سعد، وسعد حسن محمد من علماء الأزهر الشريف بالنظر فى هذا الكتاب والتقديم له وتخريج آياته الشريفة وكثيرا مما يحتاجه مثل هذا الكتاب فجاء بحمد الله كما نحب ونرضى.

القارئ الكريم إذا وجدت حسنة فادع الله لنا بمزيد من التوفيق وإن كانت الأخرى فالعفو من شيم الكرام.

﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا

رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية ٢٨٦ من سورة البقرة]

وختاما نقول: اللهم انفعنا بالقرآن وبتفسير القرآن اللهم اجعلنا من الذين يقولون فيفعلون ويفعلون فيخلصون ويخلصون فيُقبلون .

وسلام على المرسلين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المحققان

طه عبد الرءوف سعد حسن محمد على

من علماء الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

علم التصوف وكتبه

حيث إن تفسيرنا هذا تفسير صوفى فما علينا إلا أن نعرف بعلم التصوف .

هو علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنسانى فى مدارج سعاداتهم والأمور العارضة لهم فى درجاتهم بقدر الطاقة البشرية .

وأما التعبير عن هذه الدرجات والمقامات كما هو حقه فغير ممكن لأن العبارات إنما وضعت للمعانى التى وصل إليها فهم أهل اللغات ، وأما المعانى التى لا يصل إليها إلا غائب عن ذاته فضلاً عن قوى بدنه فليس بممكن أن توضع لها الألفاظ فضلاً عن أن يعبر عنها بالألفاظ .

فكما أن المعقولات لا تدرك بالأوهام، والموهومات لا تدرك بالخياليات ، والتخيلات لا تدرك بالحواس، كذلك ما من شأنه أن يعاين بعين اليقين لا يمكن أن يدرك بعلم اليقين

فالواجب على من يريد ذلك أن يجتهد فى الوصول إليه بالعيان دون أن يطلبه بالبيان فإنه طور وراء طور العقل .

علم التصوف علم ليس يعرفه

إلا أخو فطنة بالحق معروف

وليس يعرفه من ليس يشهده

وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

هذا ما ذكره ابن صدر الدين

وأما أبو الخير فإنه جعل الطرف الثانى من كتابه فى العلوم المتعلقة بالتصفية التى هى ثمرة العمل بالعلم .

ولهـذا العلم أيضا ثمـرة تسمى علوم المكاشفة لا يكشف عنها العبارة غير الإشارة .

قال القشيرى : اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يتسمَّ أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول ﷺ إذ لا أفضلية فوقها فقيل لهم الصحابة، ولما أدركهم أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة بالتابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين : الزهَّاد والعُبَّاد، ثم ظهرت البدعة وحصل التداعى بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهاداً فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف .

واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة .

وأول من سُمِّىَ بالصوفى أبو هاشم الصوفى المتوفى سنة خمس ومائة .

وقد عرّف الجرجانى التصوف بانه مذهب كله جَدٌّ فلا يخلطونه بشىء من الهزل، وقيل تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية. ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله تعالى على الحقيقة، واتباع رسول الله ﷺ فى الشريعة .

وقيل ترك الاختيار، وقيل بذل المجهود والأنس بالمعبود. وقيل حفظ حواسك من مراعاة أنفاسك، وقيل الإعراض عن الاعتراض، وقيل هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التفرغ عن الدنيا، وقيل الصبر تحت الأمر والنهى، وقيل خدمة التشرف وترك التكلف واستعمال التظرف. وقيل الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق والإياس مما فى أيدى الخلائق .

وقد عرَّف الإمام السيوطى التصوف بأنه « تجريد القلب لله تعالى، واحتقاره ما سواه » .

ثم بيّن السيوطى أنه عَرَّف التصوف، ولم يعرف علم التصوف «لأن صاحبه أحوج إلى حده منه إلى حد علمه لعدم اعتنائه بذلك، الذى هو شأن المدقين فى الظواهر» بينما التصوف يتعلق بالداخل والباطن.

وقال بعض العلماء: إن الصوفية مشتق من الصَّفا، أو من الصِّفة، أو من أهل الصُّفَّة، أو من الصوف لأنهم كانوا فى مبدإ أمرهم يلبسون الصوف، ويختصون به لمخالفة سائر الناس فى لبس فاخر الثياب، وإقبال المتصوفة إلى الزهد والانفراد عن الخلق.

والظاهر أن هذا الاشتقاق بعيد، لذلك قال القشيرى: «ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس».

وعن لفظ «الصوفى» يأتى الإمام أبو العباس المرسى بهذا التخريج اللطيف:

صوفى مركبة من حروف أربعة: ص، و، ف، ى.

الصاد: صبره وصدقه وصفاؤه.

الواو: وجده ووده ووفاؤه.

والفاء: فقده وفقره وفناؤه.

والياء: ياء النسبة فإذا تكمل فيه ذلك فقد أضيف إلى حضرة مولاه.

واورد قول الشاعر:

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا
قدمًا وظنوه مشتقًّا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى
صافَى فَصُوفِيَ حتى سُمِّى الصوفى

ويحدد الإمام النووى أصول التصوف فيقول :

أصول طريق التصوف خمسة :

١- تقوى الله فى السر والعلانية .

٢- واتِّباع السنة فى الأقوال والأفعال والأحوال .

٣- والإعراض عن الخلق فى الإقبال والإدبار .

٤- والرضا من الله تعالى فى القليل والكثير .

٥- والرجوع إلى الله تعالى فى السراء والضراء .

فتحقيق التقوى : بالورع والاستقامة .

وتحقيق اتباع السُّنَّة : بالتحفُّظ وحُسن الخُلُق .

وتحقيق الإعراض عن الخلق : بالصبر والتوكل .

وتحقيق الرضا عن الله : بالقناعة والتفويض .

وتحقيق الرجوع إلى الله : بالشكر له فى السراء والالتجاء إليه فى الضراء .

وأصول ذلك كله خمسة :

١- علو الهمَّة .

٢- وحفظ الحرمة .

٣- وحُسن الخدمة .

٤- ونفوذ العزيمة .

٥- وتعظيم النِّعمة .

١- فمن علت همته : ارتفعت رتبته .

٢- ومن حفظ حرمة الله: حفظ الله حرمته.

٣- ومن حسنت خدمته: وجبت كرامته.

٤- ومن نفذت عزيمته: دامت هدايته.

٥- ومن عظَّم النعمة: شكرها.

ومن شكرها: استوجب المزيد (كما قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧])

وأصول المعاملات خمسة:

١- طلب العلم للقيام بالأمر.

٢- وصحبة المشايخ والإخوان للتبصُّر.

٣- وترك الرُّخص والتأويلات للتحفُّظ.

٤- وضبط الأوقات بالأوراد للحضور (الأوراد: الأذكار).

٥- واتِّهام النفس فى كل شيء للخروج من الهوى والسلامة من العطب.

آفة المعاملات:

١- فطلب العلم: آفتهُ صحبة الأحداث سنًّا وعقلاً ودينًا مما لا يرجع إلى أصل ولا قاعدة.

٢- وآفة الصحبة: الاغترار والفضول بكثرة الكلام.

٣- وآفة ترك الرُّخص والتأويلات: الشفقة على النفس.

٤- وآفة اتهام النفس: الأنس بُحسن احوالها واستقامتها.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [الأنعام:٧٠].

دواء النفس:

وأصول ما تُداوى به علل النفوس خمسة:

١ـ تخفيف المعدة بقلة الطعام والشراب.

٢ـ والالتجاء إلى الله تعالى مما يعرض عند عروضه.

٣ـ والفرار من مواقف ما يُخشى الوقوع فيه.

٤ـ ودوام الاستغفار، مع الصلاة على النبيﷺ آناء الليل وأطراف النهار باجتماع الخاطر.

٥ـ وصحبة من يدلُّك على الله.

نشأة التصوف:

ويتنـــاول فضيلة الشيـــخ محمـد أحمــــد أبـــو زهـــــرة نـــشأة التصــوف فيقول رحمه الله:

نشأ التصوف روحيًّا، وإن كان عند بعض الناس أخذ مسلكا شكليًّا، ولقد نشأ من ينبوعين صافيين:

أولهـمـا: هو انصراف بعض العُبَّاد المسلمين إلى الزهد فى الدنيا والانقطاع للعبادة، وقد ابتدأ ذلك فى عصر النبى ﷺ فكان من الصحابة من اعتزم أن يقوم الليل متهجداً ولا ينام، ومنهم من يصوم ولا يفطر، ومنهم من انقطع عن النساء، فلما بلغ أمرهم النبى ﷺ قال: « مَا بَالُ أقوام يقُولُونَ كذَا وكذَا لَكِنِّى أصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّى وَأَنامُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فمن رَغِبَ عَنْ سُنَّتى فَلَيْسَ منِّى » ولقد نهى عن الرهبنة، وقالﷺ « رَهْبَانِيَّةُ أُمتِى الْجِهَادُ ».

وبـــذلك: بيَّن النبى ﷺ معنى الزهد: وهو طلب الحلال، وألا يُحرِّم ما أحل الله.

ولكن بعد أن انتقل النبىﷺ إلى الرفيق الأعلى، ومضى عصر الصحابة والتابعين، دخل فى الإسلام من كان فى نفوسهم أثر من المذاهب القديمة، الذين كانوا يحسبون تعذيب الجسم، لتقوية الروح نوعا من العبادة.

ولكن مع شيوع هذه الأفكار، لفظتها المبادئ الإسلامية. وبقى معنى الزهد الذى قرره الإمام أحمد – من قوله: «الزهد: الاقتصار على الحلال».

وبالجمع بين هدى النبى ﷺ وما جاء من منازع تحارب الحلال كان التصوف الإسلامى الذى لا يقطع عن الحياة، ويربى الروح والقلب، ويوجههما إلى الله تعالى، وكان المزج الكامل بين متعة الحلال، وفطم النفس عن الشهوات.

هذا الينبوع إسلامى خالص، وما خالطه من منازع أخرى، قد رخصها الإسلام، فكان فى دائرته المعقولة.

ولنتكلم عن الفكرة الفلسفية الأولى، فهى: نبعت بين الإشراقيين من الفلاسفة، وهم يرون أن المعرفة تقذف فى النفس بالإشراق الروحى، ومنه: تكون الرياضة الروحية والتهذيب النفسى.

وإن هذا بلا ريب: ينبوع صاف، يتجه بالنفس إلى التهذيب الروحى، والاتصال بالله

ومهما يكن فإن هذه الأفكار تبلورت، ولفظ بعضها بعضًا. فكان التصوف الذى ظهر قويًّا فى القرنين الرابع والخامس، ومن بعدهما السادس الهجرى

والجوهر كان قائمًا مع الأشكال، فى القرون الأولى، وبه كانت الدعوات الدينية المخلصة واستمر الجوهر قائمًا إلى اليوم

ولذا نرى أن صوفية الإسلام يلتقى فيها أمران: أحدهما: الإشراق. والثانى: الشوق إلى الله –تعالى– ومحبته. والمحبة قدر مشترك بين الصوفية المسلمين أجمعين، كالإشراق، وقد راض بعضهم نفسه على المحبة، واتخذ منها سبيلا للاتصال بالله –تعالى– وذلك منزع ليس فيه حلول وليس فيه ما يسمى بوحدة الوجود، بل هو إشراق النفس بنور الإيمان، وامتلاؤها بمحبة الله ورياضة النفس على محبة الله، حتى يكون سمعه الذى يسمع به. وبصره الذى يبصر به وحتى يكون

كل شيء في نفسه، فلا يتحرك حركة عن حركة إلا في سبيل رضاه ومحبته وحتى يحب الشيء لا يحبه إلا بحبه لله.

وفي تناوله لموضوع التصوف والصوفية نبهنا فضيلته إلى أمرين:

أولهما: أن الشيوخ الذين كانوا يروِّضون الناس على المحبة والشوق إلى الله -تعالى- بدا من عباراتهم: أن المحبة إن تحققت، فإن العاصي والمطيع يكونان على سواء، مع أنه إذا تحققت المحبة لا يكون هناك عاص من المحبين، إذ كيف يحبه ويعصيه، إنه إن لم يطع تكليفا، أطاع محبة وتقربا وطلبا للرضوان.

يقول ابن عطاء الله السكندري في بعض أدعيته: «إلهي إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك، ولك المنة عليَّ، وإن ظهرت المساوئ، فبعدلك، ولك الحجة عليَّ».

هذه نظرات متصوفة صادقين، قد وصل بهم القرب من ربهم، ومحبته في قلوبهم إلى أن الله -تعالى- الجميع أمامه سواء، ويغالي بعضهم، فيقول: إنه إذا كانت الشريعة قد فرقت بين المطيع والعاصي، فالحقيقة قد قررت أنه أمام الله - تعالى- لا فرق، ولكن من يصل إلى الحقيقة؟ ولذلك: كانت الشريعة أولا لأن الوصول طريقه واضح المعالم، بيِّن المسالك، ولأن الله تعالى جعل الطاعة لشريعته، ولرسوله، طريق محبته، فقد قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

بل نستطيع أن نقول: إنا لا نصل إلى الحقيقة إلا عن طريق الشريعة.

وإنهم ليقررون: إن المعصية ثم الاستغفار منها، تقرب، ولا تبعد، وإن تقريب الاستغفار أكبر من تبعيد العصيان، ويقولون: إنه ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لو لم تُذنبُوا فتستغفروا، لخلق الله قومًا يُذْنِبُون فَيستغفرون» ويقول ابن عطاء الله السكندري: «رُبَّ معصية أورثت ذُلاً وانكسارًا خيرٌ من طاعةٍ أورثت عزًّا وافْتِخَارًا».

ثانيهما: أن منهاج العامة من الصوفية ليس على هذا النحو، الذى سلكه الخاصة، ذلك: أن أتباعهم لم يبلغوا ذلك المبلغ، ولم يدركوا من الحقائق ما أدركوا، فهم فهموا أن لا معصية ولا طاعة، وأنه يكتفى بالمحبة، ويدعونها لأنفسهم، ومنهم من خلع الربقة.

ووجد من ادعى أنه الشيخ المتبوع فى الصوفية، ولم يمنعه ذلك من أن يتناول الممنوع، ثم اجترع اللذات، ونال من الموبقات، من غير حريجة دينية تمنعه، ولا نفس لوامة تدافعه، بل اتخذ التصوف ستاراً، يستر به مآثمه، ومنهم من كان يدعى مع ذلك الولاية.

وهؤلاء هم من أساءوا إلى الصوفية الحقة.

ومن العامة: من لا يعرف من التصوف إلا مظاهره، ومن حقائقه إلا أشكالها، ومنهم من كان يشيع أن يكفى اتباع شيخ من الشيوخ، أو ولى من الأولياء، حتى تكون الخوارق.

هذه هى الصوفية ابتداء وانتهاء، ونحن إذا قلنا: إن التصوف حمل الدعوة الإسلامية أو كان منهم من حملوها، لا نقصد العامة، ولا الذين اتخذوها أشكالا، إنما نقصد الصفوة المختارة منهم، التى صفت نفوسها، وربّت مريديهم وتلاميذهم على الخير والعمل: كالشيخ عبد القادر الجيلانى، وأبى الحسن الشاذلى، والمرسى أبى العباس، وابن عطاء السكندرى، والشيخ أحمد التيجانى، وابن على السنوسى، وغيرهم كثيرون فأولئك كان لهم مقام فى الدعوة إلى الإسلام.

وإننا إذا تكلمنا فيمن يدعون إلى الإسلام من الصوفية: لا نقصد الذين قاموا بالشعبذة، كما لا نتصور أن منهم الذين يقولون بتساوى الحسنة والسيئة، ولا الذين يقولون: إن المطلوب الحقيقة لا الشريعة.

ولكن نتكلم عن أئمة الصوفية، الذين تصدوا للوعظ العام، والذين لم

يترهبنوا، فهؤلاء هم: الذين دعوا إلى الإسلام، وانتشر الإسلام فى نواحٍ من نواحى البلاد الإسلامية ببعضهم.

ثم يحدثنا فضيلته عن الدعاية الصوفية والدعوة إلى الإسلام فيقول:

الدعاية الصوفية كانت تقوم على أمرين:

أحدهما: من القدوة والاختلاط، والأخلاق الإسلامية والتسامح والرفق فى المعاملة، والـمُثل الطيبة الواضحة فى المعاملة الحسنة.

وذلك: أن أئمة الصوفية: كالقطب عبد القادر الجيلانى، وأبى الحسن الشاذلى، والمرسى أبى العباس، وابن عطاء الله السكندرى، كانوا على أخلاق إسلامية طيبة، وكانوا على سماحة تدنى البعيد، وتثبت القريب.

وبهذه الأخلاق التى سرت إلى بعض مريديهم وأتباعهم، كانوا يجذبون إلى الإسلام طوائف من غير المسلمين الذين يختلطون بهم، فإن المعاملة الحسنة، والاختلاط الذى يكون بعشرة طيبة يجذب النفوس، وتسرى بها العقائد الفاضلة، فتسرى العقيدة العالية إلى ما دونها، كما يسرى الماء العذب من المكان المرتفع إلى المكان المنحدر.

وقد كان هؤلاء الآحاد من المتصوفة الذين لا يشعبذون، بل يتعبدون، يختلطون بأهل أفريقيا الوثنيين والمجوس والوثنيين فى آسيا، فيؤثرون بمعاملتهم، وبسعة صدورهم، وعقولهم، وبأكثر مما يؤثر القول، وقد كانت تقترن بهذه الأخلاق دعوات آحادية أحيانا.

الثانى: من الأمور التى كانت تقوم بها الدعاية الصوفية: مجالس الوعظ، التى كان يعقدها الأئمة من الأقطاب، فقد كانت مجالس عامة يحضرها المسلمون، ويحضر فيها غير المسلمين فيتبعون الشيخ فى مواعظه ثم يعلو الاتباع حتى يتبعوه فى عقيدة الوحدانية، وكان من هؤلاء من له ثقافة إسلامية واسعة،

وعلم بالإسلام، أصوله وفروعه، كعبد القادر الجيلانى الذى عاش فى القرن الخامس والسادس الهجرى من ٤٧٠ - إلى ٥٦١ فقد كان عالمًا بالأصول والفروع والحديث رواية ودراية، قد جلس للوعظ أربعين سنة، فقد ابتدأ واعظًا، من سنة ٥٢١ - ومفتيًا من سنة ٥٣٦ إلى أن قبضه الله -تعالى- وكان منصب الإفتاء كان فى نظره أعلى من منصب الوعظ، لأنه ما تصدى للإفتاء إلا بعد الستين.

وكانت تعقد مجالس وعظه، وتكون موعظته عامة، لا يُمنع منها أحد، ولا يمنع فيها من الحضور احد، فكان يدخل اليهودى والنصرانى، والمجوسى والوثنى، وقيل: إن مجلسه كان يحضره نحو أربعة آلاف، وما كان المجلس ينفض إلا على إسلام كثيرين، ومنهم من كان يحضر إليه طالبًا الهداية، فيسلم على يديه.

لقد جاء فى كتاب: «قلائد الجواهر فى مناقب عبد القادر»: أنه أتاه فى مرة ثلاثة عشر رجلا من النصارى، وأسلموا على يديه فى مجلس وعظه، وقالوا: نحن من نصارى العرب، وأردنا الإسلام، وترددنا فيمن نقصده، لنسلم على يديه، فهتف بنا هاتف، نسمع كلامه، ولا نرى شخصه: أيها الركب ذو الفلاح، ائتوا بغداد، وأسلموا على يد الشيخ عبد القادر، فإنه يوضع فى قلوبكم ببركته ما لم يوضع فيها عند غيره من سائر الناس.

ومع ما كان يفد إليه الناس بحكم ما نال من سمعة بركته وإخلاصه، كانت مجالسه التى كان يحضرها أحيانا عدة تبلغ أربعة آلاف، يحضرها بعض المجوس والمسيحيين، وغيرهم من غير المسلمين، وهو يتجه فى دروسه إلى ثلاثة اتجاهات: أولها وأغزرها: يتعلق بالقلب وتطهيره من الأرجاس، وتربية المحبة فيه، وبعضها: يتجه إلى بيان العقيدة الإسلامية بيانًا واضحًا بيّنًا لا اعوجاج ولا تعقد، يعتمد على القرآن والحديث فى بيان العقائد، ولا يتعرض لعلم الكلام إلا عند الاضطرار إلى الأدلة المنطقية، وفى كثير منها يتجه إلى بيان الأحكام الفقهية، مبينًا أسرار هذه الأحكام، والحكمة فى شرعيتها، متجهًا فى بيانها إلى تربية الأخلاق الربانية، لأنه كان ربّانيًّا.

فبهذ البيان الحكيم، وبما حف به من بركات كان ربّانيًّا فى أخلاقه وبيانه وسلوكه، فكان النصارى والمجوس الذين يحضرون درسه، ينجذبون إلى الحقائق الإسلامية انجذابا، وبفضل إخلاصه، واستقامة نفسه وعقله، وحسن أدائه، وما يحف به من بركاته، يسلم الناس من غير دعوة إلى الإسلام، بل إنه بهذا الأسلوب النورانى يفتح القلوب.

فكان القطب عبد القادر الجيلانى مربيًا لنفوس مريديه، وداعيًا إلى الحق، وإلى الهداية، ومن هذه الناحية، دخل فى الإسلام على يديه الكثيرون، لطهارته وإخلاصه، وحسن دعوته إلى النور من غير تكلف.

وعن نشأة التصوف وتطوره يقول الدكتور محمد الزحيلى.

كان الزهد هو البذرة الأولى للتصوف، وظهر الزهد منذ مطلع القرن الثانى الهجرى، وصنف فيه كبار العلماء، وعدَّ المتصوفة هذه الكتب أصولاً، ومنطلقات لهم. ويعتبر الحسن البصرى (١١٠هـ) أهم رواد المتصوفة، كما تُعتبر كتبه من أوائل المصنفات التى تتضمن عبارات كثيرة، وصيغًا متعددة تحث على الزهد، وكثيرًا ما يُجمع بين الكلمتين، فيقال: الزهد والتصوف، وقد يطلق الزهد ويراد به التصوف، والعكس بالعكس.

كما كانت مبادئ التصوف ترد أيضًا تحت عنوان المواعظ والخطب والقَصص والوصايا والمسائل.

ثم جاءت كتب الزهد التى وصلت إلينا، وأقدمها كتاب الزهد لثابت بن دينار الكوفى (١٥٠هـ) وهو محدث شيعى ومفسر وفقيه. ثم كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك (١٨١هـ) وكتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ثم جمع أكثر الأقوال فى الزهد فى كتاب «حلية الأولياء» لأبى نعيم الأصفهانى (٤٣٠هـ).

وظهر فى هذه الفترة كبار الزهاد، واشتهر منهم محمد بن سيرين (١١٠هـ) وأبو حازم سلمة بن دينار المخزومى (١٤٠هـ) والحسن البصرى (١١٠هـ) وسابق ابن عبدالله البربرى (توفى فى الربع الأول من القرن الثانى الهجرى) وعبدالله بن المبارك (١٨١هـ) والمعافى بن عمران (١٨٥هـ) والفُضَيْل بن عياض (١٨٧هـ) ومعروف الكرخى (٢٠٠هـ) وبشر بن الحارث الحافى (٢٢٧هـ) والحارث بن أسد المحاسبى (٢٤٣هـ) وهو من أشهر أعلام التصوف، وله كتب كثيرة فى هذا الخصوص. ومنهم أبو زيد البَسْطامى (٢٦١هـ) وأبو بكر الورَّاق (٢٨٠هـ) وسهل ابن عبدالله التُّسترى صاحب تفسيرنا هذا (٢٨٣هـ)وأبو القاسم الجُنيد بن محمد (٢٩٨هـ) وغيرهم وغيرهم رضى الله عنهم.

وكتب كثير منهم مصنفات وكتبًا ورسائل فى الزهد، ولهم عبارات مأثورة. وكانوا يمارسون التربية الروحية، ويوجهون الناس إلى الورع والتقوى، وتصدر عنهم المواعظ والحكم التى تنبع من الإسلام وتتفق ومقاصده وتوجيهاته.

وفى القرن الثالث الهجرى والقرن الرابع تزاوجت العلوم الإسلامية بالثقافات الأجنبية وترجمت أكثر الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وتأثر بعض الناس بالفلسفات المتعددة والأفكار الدينية الأخرى، وخاصة تعاليم الإشراقيين من الحكماء الإلهيين والزهد الهندى. وتسربت كثير من اصطلاحات كتب حكمة الإشراق إلى الزهاد، ودخلت كتب الزهد والتصوف.

ثم يقول الأستاذ الدكتور محمد الزحيلى عن التصوف فى حياة المسلمين:

كان علم التصوف أكثر العلوم جدلاً بين المسلمين، وتختلف فيه وجهات النظر إلى أبعد حد، فيرى فريق وهم على الحق أن التصوف جوهر الإسلام وأنه ذروة الكمال فى الإيمان والسلوك، والتربية والتهذيب، ويحقق الصلة الحقيقية بين الخالق والمخلوق، وبين العبد وربه، وأن أئمة الصوفية هم الأولياء الأصفياء، وهم العلماء والأقطاب، وهم ورثة الأنبياء، وخلفاء الله فى الأرض، ويرون أن الإسلام شريعة

وحقيقة، وهم أهل الحقائق، وينعون على غيرهم بالأخذ بالظاهر، والجمود، والبعد عن روح الإسلام، ويؤيد موقف الصوفية قديمًا وحديثًا ما يرونه من ردة الفعل عن المادية القديمة والحديثة، وعطش الماديين - عند الإفلاس والنكبات والفراغ - إلى التربية الروحية، والزهد الشديد، وقبول آراء المتصوفة، والعكوف فى العزلة، والدخول عن طريقها إلى الإسلام.

ومن الجدير بالذكر أن الصوفية الحقة ابتعدت عن العناصر غير الإسلامية التى اختلطت بالتصوف، فلم تنتشر فيها نظرية وحدة الوجود ولا مبدأ الحلول والاتحاد، فقد عنى التصوف الحق بالجانب العملى الخلقى، ولم يرض عن المتصوفين الذين غالوا فى تصوفهم وأسرفوا فى الدعوة لنظريات أثير حولها بعض الشبهات.

وبسبب انتشار التصوف فى مصر فى عصر السلاطين المماليك وفد على مصر فى القرن الثالث عشر الميلادى كثير من مشايخ الصوفية المشهورين مثل السيد أحمد البدوى وأبى الحسن الشاذلى وأبى العباس المرسى، ووجد هؤلاء وغيرهم رغبة من أهل مصر فى التصوف والانقطاع للعبادة.

وأطلق الصوفية على أنفسهم اسم «الفقراء» لأن الفقر شعار الصالحين، وكل واحد من هؤلاء الفقراء له شيخه الذى يرتبط به وبطريقته وبأوامره، فإذا ارتبط أحدهم بشيخ من مشايخ الصوفية وأصبح من مريديه ألبسه الشيخ خرقة التصوف، ويلتزم المريد بطاعة شيخه.

وقد وفد ابن خلدون على مصر فى أوائل عهد المماليك البرجية «الجراكسة» وأولهم الظاهر برقوق وابنه فرج، وكانت للصوفية مكانة كبيرة، بنيت لهم الدور وحبست عليهم أوقاف، وصار لهم تراث من ابن الفارض وأبى الحسن الشاذلى وتلميذه أبى العباس المرسى والبوصيرى ولكل منهم ضريح يزار - تعرف عليهم فقرأ كتبهم فوجد منها ما يتحدث عن الكون وخالقه وصلة الإنسان بربه.

وللإمام السيوطى رسائل خاصة فى التصوف منها «الخبر الدَّال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال».

وفى البيان التالى من الأزهر الشريف مجمل ما أوردناه آنفا يقول البيان:

إن التصوف والطرق الصوفية أمر قديم، وقد كثر الكلام حوله تارة بالتأييد وتارة بالتجريح، لكن المقياس الصحيح الذى يجب أن تقاس به الأفكار والسلوك وتوزن بـه هـذه الطرق وكل التشكيلات المنسوبة إلـى الدين هـو قوله تعالى ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [يونس: ٦٢-٦٤] وقوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقول النبى ﷺ «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ» رواه البخارى ومسلم.

فإن كانت الطرق الصوفية ملتزمة المدين عقيدة وشريعة فهى محمودة، وينبغى تشجيعها، وإن انحرفت فهى مذمومة ويجب تقويمها، والتقويم يكون على المنهج الذى رسمه الله لنبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: ١٢٥] وذلك لنحوِّل هذه الطاقات الهائلة إلى الإنتاج المثمر فى كل مجال. إن الطرق الصوفية أشبه بالمدارس التربوية، التى تضم إلى العلم والثقافة ممارسة عملية تطبيقية، فهى تنطلق فى نشاطها على ضوء الفكر والوجدان، لأن علاقة المريدين «التلاميذ والطلاب» بشيخهم علاقة حب واحترام لا نجدها فى كثير من المؤسسات التربوية الأخرى، وبهذا الرباط الروحى يمكن توجيههم بيسر وسهولة، وكانت لهم وقفات صامدة على مدى التاريخ فى مقاومة الاستعمار وفى إقامة المنشآت الدينية.

وبتوالى الأجيال واختلاف المؤثرات شاب نقاءها شوائب، حاول بعض

شيوخها تنقيتها، ولم يحاول بعضهم الآخر، ومن هنا كثرت التعليقات عليها، ووجدت مؤلفات فيها أمور غريبة، في ظاهرها مخالفة للشريعة، يلتمس بعض المتعصبين لها الأعذار، إما بأنها مدسوسة، وإما بأنها تعلو على أفهـــام العامة لا يعرفها إلا من عايشوها، وهناك توجيهات من العقلاء بالحذر من شطحات الصوفية. وبعض الألفاظ التي تجرى على ألسنتهم أو تنقل عنهم قد تكون محاولة للتعبير عن الأحاسيس التي يحسونها، والألفاظ قاصرة عن الدقة في التعبير عنها.

والمهم أن نتريث في الحكم على أي شيء، وأن نوازن بين الإيجابيات والسلبيات فكرا وسلوكا، وأن نحاول الإصلاح بالحكمة، دون العمل على الهدم من أجل الهدم.

وللإمام ابن عاشر منظومة بعنوان «المرشد المعين على الضروري من علوم الدين» تتناول مبادئ علم التصوف، وهي كما قال الناظم في أولها، في عقيدة الأشعري، وفقه مالك، وطريقة الجنيد. قال الناظم:

وتوبة من كل ذنب يُجتـرَم
تجبُ فوراً مُطلقًا وهي الندمْ

بِشرط الإقلاع ونفي الإصرار
ولْيتَلافَ ممكنًا ذا اسْتِغفارْ

وحاصلُ التقوى اجتنابٌ وامتثالْ
في ظاهر وباطنٍ بذا تنالْ

فجاءت الأقسامُ حقًّا أربعهْ
وهي للسالك سُبْلُ المنفعهْ

يغض عينَه عن المحارمْ
يكفُ سمعه عن المآثمْ

كــغـيـبــةٍ نميـمـــةٍ زُورٍ كــذبْ
لـســانه أحْــرى بتــرك مــا جُلبْ
يـحـــفـظ بـطـنَـهُ من الحَـــرامِ
يَتــركُ مــا شُـبِّـه باهتــمــامِ
يحـفـظ فَـرْجَـهُ ويـتـقى الشـهـيـدْ
فى البطش والســعى لممنوعٍ يُريد
ويُوقِفُ الأمــورَ حــتى يعلمَــا
مَــا الله فــيهنَّ به قــد حكمــا
يُطَـهِّـــرُ الـقـلْـبَ مِنَ الـرِّيـاءِ
وَحَــسَــدٍ عُــجْـبٍ وكُلِّ دَاءِ
واعـلـم بـانَّ أصْـل ذى الآفـــات
حُـبُّ الـرِّيـاسَــةِ وَطَـرْحُ الآتِـى
رأس الخطايا هُوَ حُبُّ العــاجلهْ
لـيْـس الـدوا إلا فـى الاضـطـرار لَـهْ
يصـحب شـيـخًـا عـارف المسالكِ
يقـيــه فى طـريقــه المهـالِكْ
يُــذكِّــــــرهُ الـلــه إذاَ رآهُ
ويُوصِلُ الـعَــبْــدَ إلى مَــوْلاهُ
يُحـــاسب النَّفْس على الأنفــاسِ
ويـزِنُ الخــاطر بـالِقــسْطاسِ

ويحـــفظ المفـــروضَ رأسَ المالِ
والنَّفْلَ ربحــــه بـه يُوالـى

ويُكْثِرُ الذِّكْـر بصــفو لُبِّـه
والعـــون فى جــميـع ذا بربِّـه

يُجَـاهِدُ النَّفس لربِّ العـالمين
ويتـحلى بمقـامـات الْيــقِينْ

خـوفٌ رَجـا شكرٌ وصبـرٌ توبهْ
زُهدٌ توكُّلٌ رضًـا مـحـبـهْ

يَصْـدُق شـاهدهُ فى المعـاملهْ
يـرضى بما قـــدَّرهُ الإلـهُ لـهْ

يصـيـرُ عند ذاك عَـارِفًـا به
حُـرًّا وغـيـرهُ خَـلاَ مِنْ قَلْبِـه

فَـحَبَّـهُ الإلهُ واصْطفَـاهُ
لحـضـرة القُـدُّوس واجـتـبـاه

وللإمام أحمد بن رسلان الشافعي هذه الأبيات في التصوف اختتم بها كتابه المسمى «متن الزبد فى الفقه» يقول فيها:

مَنْ نَفْسُـهُ شَـرِيفـةٌ أبيَّـهْ
يَرْبَأ عَنْ أُمُـورِهِ الدَّنيَّـهْ

ولمْ يَزَلْ يَجْنَحُ لِلْمَعَـالِى
يَسْهَـرُ فى طِلابِهَـا اللَّيَـالِى

ومن يكونُ عَارِفًا بِربِّه
تَصوّرَ ابْتِعَادَهُ مِنْ قُربِهِ
فَخَافَ وارْتَجى وكَانَ صَاغِيا
لما يكونُ آمرًا أوْ نَاهِيَا
فكُلَّ مَا أمَرَهُ يرتكبُ
ومَا نَهى عَنْ فِعلِه يَجْتَنِبُ

ويقول أيضًا:

وَإِنْ يكُنْ مِمَّا نُهِيتَ عَنْهُ
فَهْوَ مِنَ الشَّيْطَان فاحْذَرَنْهُ
فَإن تمِلْ إليه كُنْ مُستغفِرا
منْ ذَنبه عساهُ أَن يُكَفَّرا
فَيغفر الحديثَ للنَّفْس ومَا
هَمَّ إذَا لم يَعْمَلْ أوْ تَكَلَّمَا
فَجَاهِد النَّفْسَ بأَنْ لاَ تفعَلاَ
فَإِنْ فَعَلْتَ تُبْ وأَقْلِعْ عَجِلا
وَحَيْثُ لا تُقلعُ لِاسْتِلْذاذِ
أوْ كَسَل يَدْعُوكَ بِاسْتِحْواذِ
فَاذكرْ هُجُومَ هَادِمِ اللَّذَّات
وفَجأةَ الزَّوالِ والْفَوَاتِ

وَأَعْــــرض التَّـــوْبَـةَ وَهْيَ الـنَّدمُ

علـى ارتكاب مـــا عليك يَحْـــرُمُ

تَحْـقِـيـقُـهـا إِقْـلاعُـهُ فى الْحَـالِ

وَعـزْمُ تـركِ الْعَـوْدِ فِى اسْـتِـقْـبَـالِ

إلى آخر ما قال

(هكذا كانت الصوفية الأصلية أما ما شابها من شوائب فيرجع إثمها على من أحدثها)

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

(المحققان)

بسم الله الرحمن الرحيم

علـم التفسير

علم التفسير أجل العلوم من حيث تعلقه بكلام رب العالمين.

والتفسير في الاصطلاح الشرعي له عدة تعريفات، ترجع كلها إلى معنى واحد، وهو بيان كلام الله تعالى، أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفهوماتها، أو أنه علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية. وعلم التفسير هو رأس العلوم ورئيسها الذي يتكلم في كلام الله تعالى ومن أولى بكلام الله من التحدث فيه؟

ويرى الفيروزابادى أنه لا بد من معرفة كلمات بعينها قبل الخوض في شرح وجوه التفسير، وقد حددها بخمس عشرة كلمة، ثم عرَّف كل منها على حدة.

يقول: اعلم أن الكلمات التي يُحتاج إلى معرفتها في مقدمة هذا النوع من العلم خمس عشرة كلمة. وهي: التأويل، والتفسير، والمعنى، والتنزيل، والوحي، والكلام، والقول، والكتاب، والفرقان والقرآن، والسورة، والآية، والكلمة، والمصحف، والحرف.

أما التفسير عن طريق اللغة: الإيضاح والتبيين. يقال: فسرت الحديث أي بينته وأوضحته، واختلف في اشتقاقه.

فقيل: من لفظ التفسرة، وهو نظر الطبيب في البول لكشف العلة والدواء، واستخراج ذلك، فكذلك المفسِّر ينظر في الآية لاستخراج حكمها ومعناها.

وقيل: اشتقاقه من قول العرب: فسرت الفرس وفسَّرته، أي أجريته واعتديته إذا كان به حصر، ليستطلق بطنه، وكأن المفسِّر يجرى فرس فكره في ميادين المعاني ليستخرج شرح الآية، ويحل عقدها.

وقيل: هو مأخوذ من مقلوبه، تقول العرب: سفرت المرأة إذا كشفت قناعها عن وجهها، وسفرت البيت إذا كنسته، ويقال للسَّفر سفر لأنه يسفر ويكشف عن

أخلاق الرجال. ويقال للسُّفرة سفرة لأنها تسفر فيظهر ما فيها. قال تعالى ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾ [المدثر: ٣٤]. أى أضاء، فعلى هذا يكون أصل التفسير التسفير على قياس صعق وصقع، وجذب وجبذ، وما أطيبه وأيطبه، ونظائره، ونقلوه من الثلاثى إلى باب التفعيل للمبالغة.

وكان المفسر يتتبع سورة سورة، وآية آية، وكلمة كلمة، لاستخراج المعنى، وحقيقته كشف المتغلق من المراد بلفظه، وإطلاق المحتبس عن الفهم به.

وأما التأويل: فصرف معنى الآية بوجه تحتمله الآية، ويكون موافقا لما قبله، ملائما لما بعده، واشتقاقه من الأول هو الرجوع فيكون التأويل بيان الشيء الذى يرجع إليه معنى الآية ومقصودها، وقيل التأويل: إبداء عاقبة الشيء، واشتقاقه من المآل بمعنى المرجع والعاقبة، فتأويل الآية ما تئول إليه من معنى وعاقبة، وقيل: اشتقاقه من لفظ الأول.

وهو صرف الكلام إلى أوله، وهذان القولان متقاربان، ولهذا قيل: أول غرض الحكيم آخر فعله، وقيل اشتقاقه من الإيالة بمعنى السياسة، تقول العرب: أُلنا وإيل علينا: أى سسنا وسيس علينا، أى ساسنا غيرنا، وعلى هذا يكون معنى التأويل أن يسلط المؤول ذهنه وفكره على تتبع سر الكلام إلى أن يظهر مقصود الكلام، ويتضح مراد المتكلم.

والفرق بين التفسير التأويل: أن التفسير هو البحث عن سبب نزول الآية، والخوض فى بيان موضع الكلمة من حيث اللغة، والتأويل هو التفحص عن أسرار الآيات، والكلمات، وتعيين أحد احتمالات الآية، وهذا إنما يكون فى الآيات المحتملة لوجوه مختلفة، نحو: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠]، وكقوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ ﴾ [فاطر: ٣٢] وكقوله تعالى ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ [الفجر: ٣]، وكقوله تعالى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [البروج: ٣]. فإن هذه الآيات ونظائرها تحتمل معانىَ مختلفة، فإذا تعين عند المؤول أحدها، وترجح، فيقال حينئذ: إنه أوَّل الآية.

وأما المعنى: فمن طريق اللغة: المقصد، يقال: عناه يعنيه أى أراده وقصده، فيكون معنى الآية: مابه يظهر حكمة الحكيم فى نزول الآية.

وقيل اشتقاق المعنى من العناية، وهى الاهتمام بالأمر، يقال: فلان معنىٌّ بكذا أى مهتم به، فيكون المعنى أن الباحث عن الآية يصرف عنايته واهتمامه إلى أن ينكشف له المراد من الآية. وقيل اشتقاقه من العناء، وهوالتعب والمشقة، والمعنى لا يمكن الوصول إليه إلا بكد الخاطر ومشقة الفكر، لما فيه من الدقة والغموض.

وأما التنزيل: فتفعيل من النزول، وقد يكون بمعنى التكليم: قال فلان فى تنزيله: فى تكليمه، لأن المتكلم ياتى به نزلة بعد نزلة، والنزلة هى المرة، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ** ﴾ [النجم: ١٣] أى مرة أخرى، وقد يكون بمعنى الإنزال ﴿ **وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا** ﴾ [ق: ٩]، أى وأنزلنا، ﴿ **وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ** ﴾ [الحجر: ٢١]، فقرئ بالتشديد والتخفيف. وقيل للقرآن: تنزيل من رب العالمين لأنه تكليم من الله الجليل، وإنزال على لسان جبريل.

وأما الوحى: فلغة: الرسالة والإلهام، والإشارة بالحواجب، والكتابة بالقلم، وحى يحى وحيا، فهو واحٍ، وجمع الوحى وُحِيٌّ كحَلْى وحُلِىٌّ، ويقال: إن الوحى مختص برسالة مقترنة بخفة وسرعة، فسمى التنزيل وحيا لسرعة جبريل فى أدائه، وخفة قبوله على الرسول، وإن جعلته من معنى الإشارة فكأن الرسول (ﷺ) اطلع على المراد بإشارة جبريل وإن جعلته من معنى الكتابة فكأن جبريل أثبت آيات القرآن فى قلب النبى (ﷺ) كما يثبت المكتوب فى اللوح بالكتابة، قال تعالى: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ** ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

وأما الكلام: فإنه اسم لما يصح به التكلم، وضده الخرس، والكلام والتكليم مصدران على قياس السلام والتسليم، وقد يطلق الكلام على التكلم والتكليم، وقيل للقرآن: كلام، فى نحو قوله تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ** ﴾ [الفتح: ١٥] لأنه تكليم وتكلم.

وأيضا هو ما يصح به التكلم، وقيل: الكلام ما اشتمل على أمر ونهى وإخبار واستخبار. وقيل: هو معنى قائم بالنفس، والعبارات تدل عليه، والإشارات تجر إليه، وقيل: هو ما ينافى السكوت والبهيمية.

وأما الكلمة: فمشتقه من الكَلْم بمعنى الجرح. وجمعها كَلِم وكَلْم وكلمات. يقال: كَلَمْتَ الصيد أى جرحته، فالكلام والكلمة على قول: ما يؤثّر فى قلب المستمع بواسطة سماع الآذان كتأثير الكلم فى الصيد. وقد يكون الكلم بمعنى القطع، فيكون الكلمة اسما لجمع من الحروف متصل بعضها ببعض منقطع عن غيرها من الكلمات.

وأما القول: ففى أصل اللغة: النطق، وحقيقته من حيث المعنى: كلام مهذب مرتب على مسموع مفهوم، مؤدًى بمعنى صحيح، وعلى هذا يصح إطلاق القول على القرآن، فإنه يتضمن التهذيب والترتيب، لفظه مسموع، ومعناه مفهوم.

وأما الكتاب: فيكون اسما، وجمعه كُتُب، ويكون مصدرا بمعنى الكتابة، فسُمى به القرآن. لأنه يُكتب كما سمّى الإمام إماما لأنه يؤتم به، ويقال: إن مادة كتب موضوعة بمعنى الجمع: يقال للعسكر: الكتيبة لاجتماع الأبطال، فسمى القرآن كتابا لأنه مجتمع الحروف والكلمات والسور والآيات.

وأما الفرقان: فاسم على زنة فعلان مشتق من الفُرق، وهو الفصل، والفُرق بالضم لغة فيه قال الراجز: -ومشركى كافر بالفُرق-

والفِرق بالكسر: قطيع من الغنم يتفرق من سائرها، وسمى القرآن فرقانا لأنه نزل من السماء نجوما متفرقة، ولأنه يفرق بين الحق والباطل، وقد يكون الفرقان بمعنى النصرة، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ** ﴾ [الانفال: ٤١]. أى يوم النصرة، فقيل للقرآن: فرقان لما فيه من نصرة الدين وأهله. وقد يكون الفرقان

بمعنـــى الخروج من الشك والشبهة، قال تعالى: ﴿إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، فالقرآن فرقان بمعنى أنه تقوية وهداية، يحصل به الخروج من ظلمات الضلالات، والشكوك والشبهات.

وأما القرآن: فاسم لما يُقرأ، كالقربان: اسم لما يُتقرب به إلى الله، ويقال أيضا: إنه مصدر قرأ يقرأ قرْأً وقراءة وقرآنا. وفي الشرع اسم الكتاب المفتتح بفاتحة الكتاب، المختتم بـ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الناس﴾، وفيه لغتان: الهمز وتركه. المهموز من القرء – بالفتح والضم – بمعنى الحيض، والطهر، سمى به لاجتماع الدم فيه، والقرآن سمى به لاجتماع الحروف، والكلمات، ولأنه مجتمع الأحكام والحقائق والمعاني والحكم، وقيل اشتقاقه من القِرَى بمعنى الضيافة، لأن القرآن مأدبة الله للمؤمنين، وقيل القران –بغير همز– مشتق من القرن بمعن القرين، لأنه لفظ فصيح قرين، بالمعنى البديع.

وقيل: القرآن اسم مرتجل موضوع، غير مشتق عن أصل، وإنما هو علم لهذا الكتاب المجيد، على قياس الجلالة في الأسماء الحسنى.

وأما سورة: –بالهمز وتركه– فبغير الهمز من سَوْرة الأسد، وسَورة الشراب، بمعنى القوة، لأن قوة السورة أقوى من قوة الآية، أو من السور بمعنى الجماعة، يقال: لفلان سُور من الإبل أي جماعة، لأن السورة مشتملة على جماعات الآيات، أو من السور المحيط بالأبنية، لأن السورة محيطة بالآيات والكلمات والحروف، مشتملة على المعاني: من الأمر والنهي، والأحكام، وإذا قلت بالهمز فيكون من سؤر الكأس – وهو ما يبقى فيه من الشراب – لأن كل سورة من القرآن بقية منه، ويقال: إن السُّور (بلا همز) بمعنى الرفعة والمنزلة، وسور القرآن هكذا متفاوتة بعضها فوق بعض من جهة الطول والقصر، وفي الفضل والشرف والرتبة قال النابغة:

ألم تر أن اللهَ أعطاكَ ســـورةً ... ترى كلَّ ملكٍ دونَها يتذبذبُ

أي شرفا ورفعة

وأما آية: ففى أصل اللغة بمعنى العجب، وبمعنى العلامة، وبمعنى الجماعة، سميت آية القرآن آية لأنه علامة دالة على ما تضمنته من الأحكام، وعلامة دالة على انقطاعه عما بعده وعما قبله، أو لأن فيها عجائب من القصص والأمثال والتفصيل والإجمال، والتميز عن كلام المخلوقين، ولأن كل آية جماعة من الحروف، وكلام متصل المعنى إلى أن ينقطع، وينفرد بإفادة المعنى، والعرب تقول: خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم، وقال شاعرهم:

خرجنا من النقبين لا حى مثلنا   بآيتنا نرجى اللقاح المطافلا

وقال فى معنى العلامة:

إذا طلعت شمس النهار فسلّمى   فآية تسليمى عليك طلوعها

وأصلها أَيَيَة على وزان فَعَلة عند سيبويه، وآيية على مثال فاعلة عند الكسائى، وايِيَة على فَعِلة عند بعض، وايَّة عند الفراء، وأأية بهمزتين عند بعض.

وأما الحرف: فقد جاء لمعان: منها طرف الشيء، وحد السيف، وذروة الجبل، وواحد حروف الهجاء، والناقة السمينة القوية، والناقة الضعيفة، وقسيم الاسم والفعل، فقيل للحرف: حرف لوقوعه فى طرف الكلمة، أو لضعفه فى نفسه، أو لحصول قوة الكلمة به، أو لانحرافه، فإن كل حرف من حروف المعجم مختص بنوع انحراف يتميز به عن سائر الحروف.

وأما المصحف: فمثلثة الميم، بالضم: اسم مفعول من أصحفه إذا جمعه، وبالفتح: موضع الصُّحف أى مجمع الصحائف، وبالكسر: آلة تجمع الصحف.

والصحائف جمع صحيفة، كسفينة وسفائن، والصحف جمع صحيف كسفين وسُفن. وقيل للقرآن: مصحف لأنه جُمع من الصحائف المتفرقة فى أيدى الصحابة – وقيل: لأنه جمع وحوى بطريق الإجمال – جميع ما كان فى كتب الأنبياء وصحفهم، لا بطريق التفصيل.

هـــذا بيان الكلمات التى لا بد من معرفتها قبل الخوض فى التفسير، والله ولى التيسير.

وهذا المنهج نفسه اتبعه السيوطى فى كتابه التحبير، فأورد فى مقدمته ما أسماه حدودا لا بد من معرفتها، ولكنه بدأ أولا بتعريف علم التفسير فقال: وأما فى الاصطلاح فلهم فيه عبارات أحسنها قول أبى حيان: هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التى يحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك، وقال: هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن العزيز من حيث دلالته على مراده بحسب الطاقة البشرية، ويتناول التفسير: ما يتعلق بالرواية، والتأويل، أى ما يتعلق بالدراية قال فقولنا: علم جنس، وقولنا: يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هو علم القراءة. وقولنا ومدلولاتها: أى مدلولات تلك الألفاظ، وهذا متن علم اللغة الذى يحتاج إليه فى هذا العلم.

وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية: هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع.

وقولنا: ومعانيها التى يُحمل عليها حالة التركيب: يشمل ما دلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضى بظاهره شيئا ويُصد عن الحمل عليه صاد فيحمل على غيره وهو المجاز، وقولنا: وتتمات لذلك هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أبهم فى القرآن ونحو ذلك.

وقال بعضهم: التفسير كشف معانى القرآن وبيان المراد منه سواء كانت معانى لغوية أو شرعية بالوضع أو بقرائن الأحوال ومعونة المقام.

وقال قوم: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا، والتأويل توجيه لفظ يتوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر عنده من الأدلة.

وقال الماتريدى: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح وإلا فتفسير بالرأى وهو المنهى عنه، والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله،

واختلف في جواز هذا وجاء تعريف علم التفسير في عدة مصادر: هو علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية.

قال صاحب كشاف اصطلاحات الفنون: علم التفسير يعرف به نزول الآيات وشؤونها وأقاصيها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيِّها ومدنيِّها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها، وخاصِّها وعامِّها ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وأمثالها وغيرها.

وقال الزركشي: التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على محمد (ﷺ)، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقرآن، ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

مبادئه: العلوم العربية وأصول الكلام، وأصول الفقه، والجدل، وغير ذلك من العلوم الجمة.

الغرض منه: معرفة معاني النظم بقدر الطاقة البشرية.

فائدته: حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة، والاتعاظ بما فيه من القَصص والعبر، والاتصاف بما تضمنه من مكارم الأخلاق إلى غير ذلك من الفوائد التي لا يمكن تعدادها لأنه بحر لا تنقضي عجائبه، سبحان من أنزله وأرشد به عباده.

موضوعه: كلام الله سبحانه وتعالى الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة.

غايته: التوصل إلى فهم معاني القرآن واستنباط حكمه ليفاز به إلى السعادة الدنيوية والأخروية وشرف العلوم وأعظمها.

وجه الحاجة إليه: قال بعضهم: اعلم أن من المعلوم أن الله تعالى إنما

خاطب خلقه بما يفهمونه، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه، وأنزل كتابه على لغتهم، وإنما احتيج إلى التفسير لتقرير قاعدة وهى أن كل من وضع من البشر كتابا فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح، وإنما احتيج إلى الشروح عامة لأمور ثلاثة:

أحدها: كمال فضيلة المصنِّف فإنه بقوته العلمية يجمع المعانى الدقيقة فى اللفظ الوجيز فربما عسر فهم مراده فقُصد بالشروح ظهور تلك المعانى الدقيقة، ومن ههنا كان شرح بعض الأئمة لتصنيفه أدل على المراد من شرح غيره له.

وثانيها: إغفاله بعض متممات المسألة أو شروطها اعتمادا على وضوحها، أو لأنها من علم آخر فيحتاج الشارح لبيان المتروك ومراميه.

وثالثها: احتمال اللفظ لمعان مختلفة كما فى المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه، وقد يقع فى التصانيف ما لا يخلو عنه بشر من السهو والغلط أو تكرار الشيء أو حذف المهم أو غير ذلك، فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك، وإذا تقرر هذا فنقول: إن القرآن إنما نزل بلسان عربى فى زمن فصحاء العرب وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه فإنما كانت تظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبى (ﷺ) فى الأكثر كسؤالهم لما نزل ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الانعام: ٨٢]، فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ ففسره النبى (ﷺ) بالشرك واستدل عليه ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] وغير ذلك مما سألوا عنه النبى (ﷺ) ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه مع أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم فنحن أشد احتياجا إلى التفسير.

شرف علم التفسير:

وأما شرفه: فلا يخفى، قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقال الأصبهانى: شرفه من وجهين: أحدهما من جهة الموضوع فإن موضوعه كلام الله تعالى الذى هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة.

وثانيهما: من جهة شدة الحاجة قال: كل كمال ديني أو دنيوي مفتقر إلى العلوم الشرعية، والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.

واختلف الناس في تفسير القرآن هل يجوز لكل أحد الخوض فيه فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن، وإن كان عالما أديبا متسعا في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روى عن النبي(ﷺ) في ذلك، ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علما: اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع وعلم القرآن لأنه يعرف به كيفية النطق بالقرآن وبالقراءات يرجح بعض الوجوه المحتملة على بعض، وأصول الدين أي الكلام، وأصول الفقه وأسباب النزول والقصص إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه، والناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره، والفقه والأحاديث المبينة لتفسير المبهم والمجمل، وعلم الموهبة وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم وإليه الإشارة بحديث «من عمل بما علم أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم».

وقال البغوي والكواشي وغيرهما: التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة، غير محظور على العلماء بالتفسير، كقوله تعالى: ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً** ﴾ [التوبة: ٤١]، قيل شبابا وشيوخا، وقيل: أغنياء وفقراء، وقيل: نشاطا أو غير نشاط، وقيل: أصحاء ومرضى، وكل ذلك سائغ والآية تحتمله.

وأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور لأنه تأويل الجاهلين مثل تأويل الروافض، قوله تعالى: ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ** ﴾ [الرحمن: ١٩] أنهما علي وفاطمة ﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾ [الرحمن:٢٢] يعني الحسن والحسين.

وذكر الرازي في شرحه للكشاف: هو ما يبحث فيه عن مراد الله سبحانه وتعالى من قرآنه المجيد.

من أنواع التفسير

هنالك أنواع كثيرة من التفاسير اختص الله بها من أكرمه من عباده

كان من أهمها

تفسير القرآن بالقرآن

يقول الدكتور عبد القادر داود في بحث له بهذا العنوان: آيات الله تعالى بينة واضحة يكمل بعضها بعضا. ويبين بعضها بعضا، كلها كلام الله عز وجل المعجز، وقد كانت الآيات مبهمة أحيانا توضح إبهامها آية أخرى.

فإيضاح المشكل: ما روى في الصحيحين عن ابن مسعود، لما نزل ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ** ﴾ [الانعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله: وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان: ١٣]، فحمل النبى (ﷺ) الظلم هاهنا على الشرك لمقابلته بالإيمان، واستانس عليه بقول لقمان.

وقد يكون بيانه واضحا مثل: أن يكون عقبه كقوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ الصَّمَدُ** ﴾ [الإخلاص: ٢] قال محمد بن كعب الغرض تفسيره ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

وكقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا** ﴾ [المعارج: ١٩] قال أبو العالية تفسيره ﴿ **إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا** ﴾ [المعارج: ٢٠، ٢١].

ومنها أن تكون الآية مطلقة: قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ** ﴾ [الانبياء: ٩٨] ومعلوم أنه لم يرد به المسيح وعزيرا، فنزلت الآية مطلقة اكتفاء بالدلالة الظاهرة على أنه لا يعذبهما الله، وكان ذلك بمنزلة الاستثناء باللفظ، فلما قال المشركون هذا المسيح وعزير قد عُبدا من دون الله، أنزل الله ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** ﴾ [الانبياء: ١٠١] وكقوله

تعـالى : ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم ﴾ [النساء: ٢٥] فهذا عام في المسلم والكافر، ثم بين أن المراد ﴿ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ بقوله تعالى : ﴿ مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [النساء: ٢٥] فخرج تزوج الأمة الكافرة.

ومنـــه قـولـــه تعـالـــى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ﴾ [البقرة:١٥٣]. قال البيهقي في شعب الإيمان : الأشبه أن المراد بالصبر هاهنا الصبر على الشدائد لأنه أتبع مدح الصابرين بقوله : ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ ﴾ [البقرة: ١٥٤ - ١٥٦].

ومنها ما تكون مبينة في آية أخرى بسورة أخرى أيضا، كقوله تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] بينت يوم الدين سورة الانفطار بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٧-١٩].

وقوله تعالى : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤]، فسره في آية الفتح بقوله تعالى ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله تعالى : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [الحج: ٢٣، ٢٤].

وقد فسرت الطيب من القول الآية الكريمة من سورة فاطر ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٤].

ومنها الإجمال : فقد ذكر الله تعالى الطلاق مجملا، في أماكن وفسره في سورة الطلاق.

ومنه قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال فى آية أخرى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:٢] فإنه قد يستشكل اجتماعهما لأن الوجل خلاف الطمأنينة، وهذه غفلة عن المراد لأن الاطمئنان إنما يكون عن ثلج القلب وشرح الصدر، بمعرفة التوحيد والعلم وما يتبع ذلك من الدرجة الرفيعة والثواب الجزيل، والوجل إنما يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى وما يستحق به الوعيد بتوجيل القلوب، كذلك وقد اجتمعا فى قوله تعالى: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [الزمر: ٢٣] لأن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدهم، ووثقوا به، فانتفى منه الشك والارتياب .

تفسير القرآن بالسنة

فى دراسة للدكتور عبد القادر داود عبدالله العانى عن تفسير القرآن بالسنة قال: القرآن كلام الله المعجز الذى نزل على نبينا محمد (ﷺ)، والسنة النبوية وحى من الله على النبى (ﷺ) فيما بلغ عن ربه من شرع الله، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧]، والكلام على الأدلة القاطعة المستفيضة على أن السنة المصدر الثانى من الشريعة الإسلامية مطلوب فى غير هذا الموضع، ولما كان القرآن والسنة حقا من الله تعالى فى بيان الشريعة فهما متعاضدان فى ذلك. قال (ﷺ): «أوتيت القرآن ومثله معه».

قال الإمام الزركشى: اعلم أن القرآن والحديث أبدا متعاضدان على استيفاء الحق وإخراجه من مدارج الحكمة حتى إن كل واحد منهما يخصص عموم الآخر ويبين إجماله.

وقال الإمام أبو الحكم بن برجان فى كتابه المسمى (بالإرشاد): ما قال

النبي(ﷺ) من شيء فهو في القرآن وفيه أصله قرب أو بعد، فهمه من فهمه، وعَمِهَ عَنه مَنْ عَمه، قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ألا تسمع إلى قوله (ﷺ) في حديث الرجم: «لأقضين بينكما بكتاب الله» [البخاري-مسلم]. وليس في نص كتاب الله الرجم.

وقد أقسم النبى (ﷺ) أن يحكم بينهما بكتاب الله ولكن الرجم فيه تعريض مجمل فى قوله: ﴿ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ ﴾ [النور: ٨]. [فى مسألة اللعان].

وأما تعيين الرجم من عموم ذكر العذاب وتفسير هذا المجمل فهو مبين بحكم الرسول وبامره به وموجود فى عموم قوله: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

وقوله تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

وفيما ذكره نظر حيث قد ورد فى صحيح السنة ما يبين قوله (ﷺ) «لأقضين بينكما بكتاب الله» من حيث وجود آية الرجم التى نسخت تلاوة وبقيت حكما.

عن عبدالله بن عباس قال: قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله (ﷺ): إن الله قد بعث محمدا (ﷺ) بالحق، وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها فرجم رسول الله (ﷺ) ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضه أنزلها الله، وإن الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبَل أو الاعتراف. أراد بآية الرجم (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) وهذا مما نسخ لفظه وبقى حكمه.

من ذلك حين أخبر رسول الله (ﷺ) ما أعد الله تعالى لأوليائه فى الجنة فقال «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». ثم قرأ هاتين الآيتين

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[السجدة: ١٦، ١٧].

ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدرى وأبو هريرة عن النبى (ﷺ) قال: « ينادى مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تباسوا أبدا » فذلك قوله تعالى: ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣]. فكانت السنة مبينة صفات الجنة وأهلها وما أعد الله من النعيم لعباده المؤمنين المتقين جزاء ما عملوا.

وقد قال الله تعالى: ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [البقرة: ٢٥]، فكانت الآية ذاكرة الأنهار دون تسميتها، فورد فى السنة ذكر لبعض أنهار الجنة، فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): « سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة » [مسلم].

ومنها: قالوا يا رسول الله الا نتكل وندع العمل فقال: « اعملوا فكل ميسر لما خُلق له » [الطبرانى].

ثم قرأ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-١٠].

وقال الماوردى فى كتابه (أدب القاضى). ما يجب بيانه فى السنة: وأما القسم الثانى فيما يجب بيانه بالسنة فعلى أربعة أضرب: **أحدها**: ما لزمه بيانه فى حقوق الله تعالى وحقوق عباده، وهو بيان ما أجمله الله تعالى فى كتابه من الصلاة والزكاة، والرسول (ﷺ) مأخوذ ببيانه فى حق الله ليقام بحقه فيها، ومأخوذ ببيانه فى حقوق العباد ليعلموا ما كلفوا منها.

فبين عليه (ﷺ) عدد ركعاتها وما يقرأ فيها، فعن ابن عباس أنه قال: كان

رسول الله (ﷺ) يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن . كان يقول : « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله » [مسلم].

والضرب الثاني : مالزم الرسول بيانه فى حقوق الله تعالى دون عباده، وهو تخصيص العموم يلزم بيانه فى حق الله لاستثنائه له ولا يلزمه فى حقوق العباد لأنهم على العموم مالم ينقلوا عنه .

الثالث : مالزمه بيانه فى حقوق العباد ولم يلزمه فى حقوق الله، وهو ما يستحق الثواب بفعله ولا يجب العقاب بتركه كنوافل العبادات وأفعال القرب، يلزم بيانه فى حقوق العباد خاصة لاختصاصهم بها .

الرابع : ما اختلف فيه وهو ما استأنف الرسول (ﷺ) بيانه من الأحكام التى ليست فى كتاب الله كالحكم بالشفعة للجار، والقضاء بالدية على العاقلة، وإعطاء السلب للقاتل، وأن لا ميراث لقاتل، وأن لا وصية للوارث، وألا يجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها، وما شاكل ذلك، فيلزم الرسول بيانه فى حقوق العباد، لأنه لا طريق لهم إلى العلم به إلا منه .

وأحاديث الشفعة للجار كثيرة فعن جابر قال : قضى رسول الله (ﷺ) بالشفعة فى كل شركة لم تقسم ربعة أو حائط لا يحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه فإن شاء أخذ وإن شاء ترك، فإذا باع ولم يؤذنه فهو أحق به [البخارى - مسلم].

وفى الدية : أن أبا هريرة قال : اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما فى بطنها، فاختصموا إلى رسول الله (ﷺ) فقضى أن دية جنينها غرة : عبدا ووليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها وورثها ولدها ومن معهم، فقال حمل بن النابغة الهذلى : يا رسول الله : كيف أغرم من لا شرب

ولا أكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يطل، فقال رسول الله (ﷺ) : « إنما هذا من إخوان الكهان » [مسلم] من أجل سجعه الذى سجع واعتراضه على قوله ﷺ .

وعن سلب القتيل ما رواه أبو قتادة قال: خرجنا مع رسول الله (ﷺ) عام حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، قال: فرأيت رجلا من المشركين علا رجلا من المسلمين، فاستدرت إليه حتى أتيته من ورائه فضربته على حبل عاتقه، وأقبل عليَّ فضمنى ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسلنى فلحقت عمر بن الخطاب فقال ما للناس فقلت أمر الله. ثم إن الناس رجعوا، وجلس رسول الله (ﷺ) فقال: « من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه ». قال: فقمت فقلت من يشهد لى؟ ثم جلست ثم قال مثل ذلك فقمت فقلت من يشهد لى؟ ثم جلست ثم قال ذلك الثالثة فقمت فقال رسول الله (ﷺ) مالك يا أبا قتادة فقصصت عليه القصة، فقال رجل من القوم صدق يا رسول الله، سلب ذلك القتيل عندى فارضه من حقه، فقال أبو بكر الصديق: لاها الله ذا لا يعمد إلى أَسَد من أُسْد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه، فقال رسول الله (ﷺ) « صدق فأعطه سلبه »، فأعطانى، قال: فبعت الدرع فابتعت به مخرفا فى بنى سلمة فإنه لأول مال تأثلته فى الإسلام [مسلم].

قال الخطابى: لاها الله ذا كأن معناه لا والله ذا، والمخرف: البستان أو السكة من النخل تكون صفين يخرف من أيها شاء أى يجتنى.

وأما أنه لا ميراث لقاتل مارواه النسائى: « ليس للقاتل ميراث »، وقوله: لا وصية لوارث حديث رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

وقوله: لا يجمع بين المرأة وعمتها أصله ما رواه وغيره، واللفظ لمسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ) « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها » [البخارى - مسلم]

ولا تخلو السنة إما أن تكون مستقلة فى حكم من الأحكام فالأخذ بها

واجب، وإما أن تكون مقترنة بأصل آخر، فإن كانت السنة مقترنة بالقرآن الكريم فهي كما يأتي:

١- فإذا جاءت آية من كتاب الله تعالى مع السنة فإن كان موافقا لحكمها صار ذلك الحكم ثابتا بأصلين هما الكتاب والسنة، من ذلك قوله (ﷺ): «إذا أراد الله بقوم عذابا أصاب من كان منهم ثم يبعثون على أعمالهم» [البخاري-مسلم]، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً** ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وقوله (ﷺ) في جواب من سأله: أي الصدقة أعظم؟ قال: أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم. قلت لفلان كذا أو لفلان كذا وقد كان لفلان، في قوله تعالى: ﴿ **قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ** ﴾ [إبراهيم: ٣١].

١- أن تكون مخصصة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ** ﴾ [الأنعام: ٨٢] بأنه الشرك، وذلك وارد في السنة.

٣- أن تكون مقيدة: مثل تقييد السنة قطع اليد بأنها اليمين في قوله تعالى: ﴿ **فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا** ﴾ [المائدة: ٣٨].

٤- أن تكون موضحة لمشكل مثل قوله تعالى: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ** ﴾ [البقرة: ١٨٧] بأنه بياض النهار وسواد الليل كما ورد أن عدي بن حاتم لما نزلت هذه الآية أخذ عقالين أبيض وأسود (وظل يتلمسه). ليفرق بينهما فبين له الرسول (ﷺ) أنه بياض النهار وسواد الليل.

التفسير الصوفى

بعد أن بينا بعضا من أنواع التفسير كان ولا بد من التعريف بالتفسير الصوفى إذ أن كتابنا هذا عن ذلك النوع من التفسير.

كان للتصوف الإسلامى نصيب فى مظاهر تطور التفسير، فكان الصوفية لا يقفون فى تفسيرهم لآيات الكتاب عند ظاهر النص، بل يوجهون هممهم إلى المعانى الباطنة، وربما كانت طريقتهم تأتى أحيانا بلفتات لها قيمتها فى التفسير، غير أن هذا النهج كثيرا ما أدى ببعضهم إلى بعض التأويلات البعيدة عن النص.

ويختلف الصوفية عن الباطنية فى التفسير، من حيث إن الصوفية يقرون بما للنص من ظاهر وباطن، خلافا للباطنية، الذين ينصرفون عن ظاهر النص تماما مكتفين بالتأويل، ولذا هاجمهم الغزالى فى كتابه (فضائح الباطنية) .

مسلك الصوفية فى التفسير

ويتضح مسلك الصوفية فى التفسير مما نقله السيوطى عن ابن عطاء الله السكندرى حيث يقول : اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعانى الغريبة، ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له، ودلت عليه فى عرف اللسان، ولهم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء فى الحديث « لكل آية ظهر وبطن » . فلا يصدنك عن تلقى هذه المعانى منهم أن يقول ذو جدل ومعارضة : هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله، فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون إحالة لو قالوا : لا معنى للآية إلا هذا، وهم لا يقولون ذلك، بل يقرون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما ألهمهم.

ومن الصوفية من كانوا قريبين من أهل السنة، فكان تفسير القشيرى قريبا من تفسيرات أهل السنة وإن كان قد استخدم المصطلحات الصوفية كالمقامات، والأحوال، والشهود، والحجاب، وما إلى ذلك.

أما تفسير ابن عربى فإنه يمثل التفسير الصوفى فى مرحلة متأخرة من تاريخ التصوف، إذ المعروف عنه أن فلسفته الصوفية تختلف عن مذاهب الصوفية القدماء، فإليه ينسب القول بوحدة الوجود وغير ذلك من المذاهب ذات الطابع الفلسفى التى يقال إن التصوف قد اكتسبها من تأثره بفلسفات قديمة.

ويعتبر ابن عربى زعيم التصوف الفلسفى النظرى وهو يفسر الآيات القرآنية تفسيرا يتفق مع نظرياته الصوفية سواء كان ذلك فى التفسير المشهور باسمه، أو فى الكتب التى تنسب إليه كالفصوص، وهو من أصحاب نظرية وحدة الوجود.

ومن هؤلاء المتصوفة من يدعى أن الرياضة الروحية التى يأخذ بها الصوفى نفسه تصل إلى درجة ينكشف له فيها ما وراء العبارات القرآنية من إشارات قدسية، وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية، ويسمى هذا بالتفسير الإشارى، فللآية ظاهر وباطن.

والظاهر: هو الذى ينساق إليه الذهن قبل غيره.

والباطن: هو ما وراء ذلك من إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، وهذا التفسير الإشارى، كذلك إذا أوغل فى الإشارات الخفية صار ضربا من التجهيل، ولكنه إذا كان استنباطا حسنا يوافق مقتضى ظاهر العربية وكان له شاهد يشهد لصحته من غير معارض، فإنه يكون مقبولا.

ومن ذلك ما روى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه قال: (كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رئيت أنه دعانى يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون فى قوله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ [النصر: ١]؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لى: أكذلك يا بن عباس؟

فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله (ﷺ) أعلمه له. قال: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾. وذلك علامة أجلك، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر:٣] فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول) [أخرجه البخارى].

قال ابن القيم: وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ، وهو الذى ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى: وهو الذى يذكره السلف، وتفسير على الإشارة: وهو الذى ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم، وهذا لا بأس به بأربعة شروط:

١- الا يناقض معنى الآية.

٢- وأن يكون معنى صحيحا فى نفسه.

٣- وأن يكون فى اللفظ إشعار به.

٤- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا.

ومن أهم كتب التفسير الإشارى: (تفسير القرآن العظيم) للتسترى (وهو الذى بين أيدينا)، (وحقائق التفسير) لأبى عبد الرحمن السلمى السلفى، و (عرائس البيان فى حقائق القرآن) لأبى محمد الشيرازى، و (التأويلات النجمية) لنجم الدين داية، وعلاء الدين السمنانى، والتفسير المنسوب لابن عربى، وتفسير القشيرى.

كتب التفسير

نتكلم الآن عن أهم كتب التفسير والقول فى التفسير بالرأى والتفسير بالمأثور.

إن الكتب التى تناولت تفسير القرآن الكريم لا يحصيها العد، ولا الحصر، وهى متفاوتة فى التوسع والتوسط والاختصار، كما تختلف من الناحية الموضوعية وقد طبع كثير منها، ولا يزال معظمها مخطوطا لم يطبع، كما أن تفسير القرآن الكريم لم ينقطع طوال التاريخ الإسلامى، ولم يتوقف فى بلد من البلدان وما زال العلماء فى الماضى ولا يزالون فى الحاضر والمستقبل يعكفون على كتاب الله تعالى تدبراً وفهماً وبيانا وتفسيرا.

لقد حظى القرآن الكريم بالعناية والرعاية بصورة لم يصل إليها كتاب آخر فى الدنيا، وإن تفاسير القرآن الكريم أطبقت ديار الإسلام وعمّت جميع عصوره وأزمانه وبلدانه.

قال في (مدينة العلوم) : والكتب المصنفة فى التفسير ثلاثة أنواع : وجيز ووسيط وبسيط، ومن الكتب الوجيزة فيه : زاد المسير لابن الجوزى، والوجيز للواحدى، والتفسير الواضح للرازى، وتفسير الجلالين – إذ عمل نصفه الآخر جلال الدين المحلّى وكمله جلال الدين السيوطى – وتفسير ابن حبان.

ومن الكتب المتوسطة : الوسيط للواحدى، وتفسير الماتريدى، وتفسير التيسير لنجم الدين النسفى، وتفسير الكشاف للزمخشرى، وتفسير الطيبى، وتفسير البغوى، وتفسير الكواشى، وتفسير البيضاوى، وتفسير القرطبى، وتفسير سراج الدين الهندى، وتفسير مدارك التنزيل لأبى البركات النسفى.

ومن الكتب المبسوطة : البسيط للواحدى، وتفسير الراغب الأصفهانى، وتفسير أبى حيان المسمى بالبحر، والتفسير الكبير للرازى، وتفسير العلاّمى، وتفسير ابن عطية الدمشقى، وتفسير الخرقى – نسبة إلى بائع الخرق والثياب –

وتفسير الحوفى، وتفسير القشيرى، وتفسير ابن عقيل، وتفسير السيوطى المسمى بالدر المنثور فى التفسير بالمأثور، وتفسير الطبرى.

ومن التفاسير إعراب القرآن للسفاقسى. قال القنُّوجى: ومن أحسن التفاسير المؤلفة فى هذا الزمان الأخير تفسير شيخنا الإمام المجتهد العلامة قاضى القضاة بصنعاء اليمن محمد بن على الشوكانى المتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين وألف من الهجرة المسمى بفتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير. (أعاننا الله على إخراجه).

وفى معرض تفاضل هذه التفاسير التى ذكرناها سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: أى التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة: الزمخشرى أم القرطبى أم البغوى أو غير هؤلاء؟ (١)

فأجاب - رحمه الله:

وأما التفاسير التى فى أيدى الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبرى فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل والكلبى.

والتفاسير المأثورة بالأسانيد كثيرة، كتفسير عبد الرزاق، وعبد بن حميد، ووكيع بن أبى قتيبة، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه.

وأما التفاسير الثلاثة المسؤول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوى، لكنه مختصر من تفسير الثعلبى وحذف منه الأحاديث الموضوعة والبدع التى فيه وحذف أشياء غير ذلك.

وأما الواحدى فإنه تلميذ الثعلبى وهو أخبر منه بالعربية، لكن الثعلبى فيه

---

١ - راجع كتابه: مقدمة فى علوم التفسير / ط دار إحياء الكتب العربية تحقيق طه عبد الرءوف سعد.

سلامة من البدع، وإن ذكرها تقليداً لغيره، وتفسيره وتفسير الواحدى البسيط والوسيط والوجيز، فيها فوائد جليلة، وفيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها.

وأما الزمخشرى فتفسيره محشو بالبدعة على طريقة المعتزلة من إنكار الصفات والرؤية والقول بخلق القرآن وأنكر أن الله مريد للكائنات، وخالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة.

وأصولهم خمسة يسمونها: التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[1]، وتفسير القرطبى خير منه بكثير، وأقرب إلى طريقة أهل الكتاب والسنة، وأبعد عن البدع، وإن كان كل من هذه الكتب لا بد أن تشتمل على ما يُنقد لكن يجب العدل بينها وإعطاء كل ذى حق حقه.

وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشرى وأصح نقلا وبحثا وأبعد عن البدع، وإن اشتمل على بعضها بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير، لكن تفسير ابن جرير أصح من هذه كلها.

* * *

ولا يفوتنا أن نذكر هنا بيانا للأزهر الشريف حول هذا الموضوع وبحث بيان من الأزهر الشريف القارئ على وجوب الدقة والتنبه عند قراءة كتب التفسير تساعده على فهم القرآن واستنباط الأحكام منه، دون الحاجة إلى كتب الفقه وتقليد واضعيها فيما قالوا به.

نقول قبل كل شيء: إن الاعتماد على كتب التفسير كالاعتماد على كتب الفقه لمعرفة أحكام القرآن، بجامع أن كلًّها ليس فيه استقلال بالاستنباط، ثم إن

١- راجع فى معرفة أصول المعتزلة (المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) تاليف طه عبد الرءوف سعد.

كتب التفسير على جلالة قدرها واحترامنا لأصحابها ليست كلها مساعدة على أخذ الأحكام الشرعية مباشرة من القرآن الكريم، فبعضها يهتم بالناحية العلمية والفلسفية، مع عدم الاهتمام بالأحكام الفقهية، على أن بعضها قد يكون له ميل إلى مذهب فى العقائد، أو اتجاه صوفى روحانى فيركز عليه اهتمامه، ويضل قارؤها فى متاهات الألغاز والشطحات والأفكار الغريبة، فلا يكاد يعثر على الحكم الشرعى إلاَّ بصعوبة، ولو كان فى بعض هذه الكتب اهتمام بالأحكام الفقهية والقضايا الإيمانية فقد يكون متأثرا بمذهب معين يحاول أن يقويه ويحمل الآيات عليه، وذلك إلى جانب ما فى بعضها من إسرائيليات وقصص غريبة وأحاديث نبوية غير صحيحة، وأسباب نزول كثيرة ليست كلها على درجة واحدة من القبول حتى يستعان بها على فهم الآية.

ومن هنا يكون القارئ غير المتمكن، لهذا الكتب راكباً متن الخطر، فمع عدم القدرة على التمييز بين الصحيح والخطأ، أو على الترجيح بين الأقوال والآراء قد يحكم بالخطأ بدل الصحة، وقد يقدم المرجوح على الراجح، وهذا مدرجة للانحراف إن تمسك به وتعصب له، متأثراً بهوى شخصى أو ثقافة معينة أو غرض خاص.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ** ﴾ [القصص: ٥٠] ويقول تعالى: ﴿ **وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ** ﴾ [يونس: ٣٦] وقد يقع تحت طائلة قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ** ﴾ [النحل: ١١٦].

وإليكم مثلا من خطأ من كتبوا للناس بغير علم فى طريق كتب التفسير: قال أحد هؤلاء فى مقدمة ما كتبه: إن قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ**

قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] نزل لأن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة، وهو قول ابن عباس.

أخذ قول ابن عباس وترك قول ابن مسعود مع أنه في صحيح مسلم، قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين، لكن ابن مسعود أسلم بمكة قديماً، وكان سادس ستة أسلموا، فإسلامه كان قبل إسلام عمر الذى أسلم سنة ست من النبوة، وعلى هذا تكون الآية قد نزلت فى السنة التاسعة من النبوة اى قبل الهجرة، وتكون مكية مع أن السورة مدنية فى قول الجميع، فكيف يمكن التوفيق بين حديث مسلم وبين الإجماع على أنها مدنية؟ ولذلك قيل: إن المعاتَبين ليسوا هم المؤمنين حقا، بل هم المنافقون بعد الهجرة بسنة، وكانوا مؤمنين ظاهراً كما قاله السدى وغيره، ولا سند له، فوقت نزول الآية مختلف فيه بين مكة والمدينة، والمعاتَبون مختلف فيهم أيضا.

وصاحب الكتاب اختار سبب نزول قول ابن عباس، وترك قول ابن مسعود الذى هو أصح منه.

ولعل السبب فى الاختلاف فى سبب النزول وروايته وعدم الفهم الحقيقى لاصطلاح العلماء فى قولهم: نزلت آية كذا فى كذا، أو بسبب كذا، فمن العلماء من قالوا: إن أسباب النزول تتعلق بالناحية التاريخية فلا بد من تحقيق وقت نزولها، ومنهم من قالوا: إنها تتعلق بالناحية التشريعية، فهى كدليل وليست سببا ترتب عليه نزول الآية.

هذا مثل من أمثلة كثيرة ترينا وجوب الدقة والتنبه عند قراءة كتب التفسير، وبخاصة منها، الكتب القديمة المملوءة بالآراء والروايات فهى لا تصلح مراجع للمبتدئين بل هى للباحثين المتمكنين. ا.هـ.

تم بيان الأزهر الشريف.

القول فى التفسير بالرأى:

هو أول ما يعتمد فيه المفسر فى بيان المعنى على فهمه الخاص واستنباطه بالرأى المجرد - وليس منه الفهم الذى يتفق مع روح الشريعة ويستند إلى نصوصها- فالرأى المجرد الذى لا شاهد له مدعاة للشطط فى كتاب الله، وأكثر الذين تناولوا التفسير بهذه الروح كانوا من أهل البدع الذين اعتقدوا مذاهب باطلة وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على رأيهم وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا فى رأيهم ولا فى تفسيرهم وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم، كتفسير عبد الرحمن ابن كيسان الأصم، والجبائى وعبد الجبار والرُّمَّانى والزمخشرى وأمثالهم.

ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدرس مذهبه فى كلام يروج على كثير من الناس كما صنع صاحب الكشاف فى اعتزالياته[1]، وإن بعضهم أخف من بعض فمنهم طوائف من أهل الكلام أوَّلت آيات الصفات بما يتفق مع مذهبها، وهؤلاء أقرب إلى أهل السنة من المعتزلة إلاَّ أنهم حين جاؤوا بما يخالف مذهب الصحابة والتابعين فقد شاركوا المعتزلة وغيرهم البدع.

حكم التفسير بالرأى:

وتفسير القرآن بمجرد الرأى والاجتهاد من غير أصل حرام لا يجوز تعاطيه، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [الإسراء: ٣٦]

وقال ﷺ: «من قال فى القرآن برأيه - أو بما لا يعلم - فليتبوأ مقعده فى النار» أخرجه الترمذى والنسائى وأبو داود، وقال الترمذى: هذا حسن.

وفى لفظ: «من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ».

ولهذا تحرج السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، فقد روى عن يحيى بن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال: إنا لا نقول فى القرآن شيئاً، رواه مالك فى الموطأ.

١- أى فى الآيات التى يستنبط منها برأيه مبادئ المعتزلة كما يذكرون فى العدل والتوحيد إلخ راجع كتاب المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين تاليف طه عبد الرءوف سعد.

وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام أن أبا بكر الصديق -رضى الله عنه- سئل عن الأبِّ فى قوله تعالى: ﴿ **وَفَاكِهَةً وَأَبًّا** ﴾ [عبس: ٣١] فقال: أى سماء تظلنى؟ وأى أرض تقلنى؟ إذا قلت فى كلام الله مالا أعلم. رواه ابن أبى شيبة والطبرى.

قـــال الطبرى (تفسيره ١ /٧٨، ٧٩) وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا مـــن أن ما كان من تأويل آى القرآن الذى لا يدرك علمه إلاَّ بنص بيان رسول الله ﷺ أو بنص به الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه، بل القائل فى ذلك برأيه - وإن أصاب الحق فيه - فمخطئ فيما كان من فعله، بقيله فيه برأيه؛ لأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق، وإنما هى إصابة خارص وظانٌّ والقائل فى دين الله بالظن قائل على الله ما لا يعلم وقد حرَّم الله جل ثناؤه ذلك فى كتابه على عباده فقال: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فهذه الآثار وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم من الكلام فى التفسير بما لا علم لهم به، أما من تكلم بما يعلم فى ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه، ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال فى التفسير - ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموا، وسكتوا عما جهلوا وهذا هو الواجب على كل إنسان، ويكون الأمر أشد نكيراً لو ترك التفسير بالمأثور الصحيح وعدل عنه إلى القول برأيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وفى الجملة مـــــن عـــدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً، بل مبتدعاً؛ لأنهم أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذى بعث الله به رسوله ﷺ.

يقول الإمام النووى - رحمه الله:

ويجرم تفسيره بغير علم، والكلام فى معانيه لمن ليس من أهلها، والأحاديث فى ذلك كثيرة، والإجماع منعقد عليه، وأما تفسير العلماء فجائز حسن، والإجماع منعقد عليه، فمن كان أهلا للتفسير، جامعاً للأدوات التى يعرف بها معناه وغلب على ظنه المراد فسَّره إن كان مما يدرك بالاجتهاد كالمعانى والأحكام الجلية والخفية والعموم والخصوص والإعراب وغير ذلك.

وإن كان مما لا يدرك بالاجتهاد كالأمور التى طريقها النقل وتفسير الألفاظ اللغوية فلا يجوز فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهله.

وأما من كان ليس من أهله لكونه غير جامع لأدواته فحرام عليه التفسير، لكن له أن ينقل التفسير عن المعتمدين من أهله، ثم المفسرون برأيهم من غير دليل صحيح أقسام:

منهم من يحتج بأنه على تصحيح مذهبه وتقوية خاطره مع أنه لا يغلب على ظنه أن ذلك هو المراد بالآية، وإنما يقصد الظهور على خصمه. ومنهم من يقصد الدعاء إلى خير ويحتج بآية من غير أن تظهر له دلالة لما قاله، ومنهم من يفسر ألفاظه العربية من غير وقوف على معانيها عند أهلها وهى مما لا يؤخذ إلا بالسماع من أهل العربية وأهل التفسير كبيان معنى الألفاظ وإعرابها وما فيها من الحذف والاختصار والإضمار والحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والتقديم والتأخير والإجمال والبيان وغير ذلك مما هو خلاف الظاهر.

ولا يكفى مع ذلك معرفة العربية وحدها بل لا بد معها من معرفة ما قاله أهل التفسير فيها، فقد يكونون مجمعين على ترك الظاهر أو على إرادة الخصوص أو الإضمار وغير ذلك مما هو خلاف الظاهر، وكما إذا كان اللفظ مشتركا فى معان، فعلم فى موضع أن المراد أحد المعانى ثم فسر كل ما جاء به فهذا كله تفسير بالرأى وهو حرام، والله أعلم.

وقد أفرد الإمام القرطبى فى كتابه الموسوم بفضائل القرآن فصلاً فيما جاء من الوعيد فى تفسير القرآن بالرأي والجرأة على ذلك قال فيه:

روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يفسِّر من كتاب الله إلا آيًا بعدد، علَّمه إياهن جبريل.

قال ابن عطية: معنى هذا الحديث فى مغيبات القرآن، وتفسير مجمله ونحو هذا، مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف من الله تعالى، ومن جملة مغيباته مالم يُعْلِم الله به، كوقت قيام الساعة ونحوها، ومما يستقرى من ألفاظه كعدد النفخات فى الصور، وكرتبة خلق السماوات والأرض. يقولﷺ:

«من كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار».

ولا يمكن أن يكون المراد به ألا يتكلم أحد فى القرآن إلا بما سمعه، فإن الصحابة رضى الله عنهم قد قرءوا القرآن واختلفوا فى تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبىﷺ فإن النبىﷺ دعا لابن عباس وقال: «**اللهم فقهه فى الدين وعلّمه التأويل**» فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل، فما فائدة تخصيصه بذلك؟ وهذا بيِّن لا إشكال فيه، وإنما النهى يُحمل على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون له فى الشيء رأى وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح من القرآن ذلك المعنى، وهذا النوع تارة مع العلم، كالذى يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك، ولكن مقصوده: أن يلبس على خصمه، وتارة يكون مع الجهل، وذلك إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه، ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه، فيكون قد فسر برأيه اى رأيه حمله على ذلك التفسير، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه. وتارة يكون له غرض

صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به، كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى، فيقول: قال الله تعالى: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ [طه: ٤٣] ويشير إلى قلبه، ويومئ إلى أنه المراد بفرعون، وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ فى المقاصد الصحيحة تحسينًا للكلام وترغيبًا للمستمع، وهو ممنوع لأنه قياس فى اللغة، وذلك غير جائز، وقد تستعمله الباطنية فى المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة، فهذه الفنون أحد وجهى المنع من التفسير بالرأى.

والوجه الثانى: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يُحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل فى زمرة من فسر القرآن بالرأى، والنقل والسماع لا بد له منه فى ظاهر التفسير أولا ليتقى به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط والغرائب التى لا يفهم إلا بالسماع كثيرة ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ [الإسراء: ٥٩] معناه: آية مبصرة، فقد حذف الموصوف وأثبت الصفة كما يقول علماء البلاغة فظلموا أنفسهم بقتلها، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة مبصرة، ولا يدرى بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم، فهذا من الحذف والإضمار، وأمثال هذا فى القرآن كثير.

وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهى إليه والله أعلم.

قال ابن عطية: وكان جملة من السلف كسعيد بن المسيب وعامر الشعبى وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطا لأنفسهم مع إدراكهم وتقدمهم.

وأشهر الكتب المؤلفة فى التفسير بالرأي هى:

١- تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم.

٢- تفسير أبى على الجبّائى.

٣- تفسير عبد الجبار.

٤- تفسير الزمخشرى «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل».

٥- تفسير فخر الدين الرازى «مفاتيح الغيب» المعروف بالتفسير الكبير.

٦- تفسير ابن فورك.

٧- تفسير النسفى «مدارك التنزيل وحقائق التأويل».

٨- تفسير الخازن «لباب التأويل فى معانى التنزيل».

٩- تفسير أبى حيان «البحر المحيط».

١٠- تفسير البيضاوى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل».

١١- تفسير الجلالين: جلال الدين المَحلى، وجلال الدين السيوطى.

١٢- تفسير القرطبى «الجامع لأحكام القرآن».

١٣- تفسير أبى السعود «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم».

١٤- تفسير الآلوسى: «روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى».

١٥- تفسير نظام الدين الحسن محمد النيسابورى «غرائب القرآن ورغائب الفرقان».

١٦- تفسير العلامة الشيخ محمد الشربيني الخطيب «السراج المنير في الإعانة على معرفة كلام ربنا الخبير».

ولا أقول فيها أن كلها مما لا يؤخذ به فإن فيها الفوائد الكثيرة. ولكن على القارئ أن يكون على حذر عند قراءتها.

التفسير بالمأثور:

هو الذي يعتمد على صحيح المنقول من تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة؛ لأنها جاءت مبينة لكتاب الله أو بما قاله كبار التابعين، لأنهم تلقوا ذلك غالباً من الصحابة.

وهذا المسلك يتوخى الآثار الواردة في معنى الآية فيذكرها، ولا يجتهد في بيان معنى من غير أصل ويتوقف عما لا طائل تحته ولا فائدة في معرفته مالم يرد فيه نقل صحيح.

قال ابن تيمية: يجب أن يعلم أن النبيﷺ بيَّن لأصحابه معاني القرآن كما بيَّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. يتناول هذا وهذا، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى سنة ٧٢هـ): حدثنا الذين كانوا يُقرؤوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبدالله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل.

قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا.

ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة، قال أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدَّ فينا. رواه أحمد في مسنده، وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثماني سنين، أخرجه مالك في الموطأ، وذلك أن الله تعالى قال:

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢، محمد: ٢٤] وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا فى فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه.

فكيف بكلام الله الذى هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم.

ومن التابعين من أخذ التفسير كله عن الصحابة، كمجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أستوقفه عند كل آية وأسأله عنها.

والتفسير بالمأثور يدور على رواية ما نقل عن صدر هذه الأمة، وكان الاختلاف بينهم قليلاً جدا بالنسبة إلى من بعدهم، وأكثره لا يعدو أن يكون خلافاً فى التعبير مع اتحاد المعنى، أو يكون من تفسير العام ببعض أفراده على طريق التمثيل، قال ابن تيمية: والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وذلك نوعان:

أحدهما: أن يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى فى المسمى غير المعنى الأخير مع اتحاد المسمى، كتفسيرهم: ﴿**الصراط المستقيم**﴾ قال بعضهم: القرآن أى اتِّباعه، وقال بعضهم: الإسلام، فالقولان متفقان لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن، ولكن كل منهما نبَّه على وصف غير الوصف الآخر.

الثانى: أن يذكر كل منهما من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع، ومثاله؛ ما نقل فى قوله: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ**﴾ [فاطر:٣٢] قيل السابق: الذى يصلى فى أول الوقت، والمقتصد: الذى

يصلي في أثنائه، والظالم لنفسه: الذى يؤخر العصر إلى الاصفرار، وقيل: السابق: المحسن بالصدقة مع الزكاة، والمقتصد: الذى يؤدى الزكاة المفروضة فقط، والظالم: مانع الزكاة.

وقد يكون الاختلاف لاحتمال اللفظ لأمرين، كلفظ ﴿**عسعس**﴾ الذى يراد به إقبال الليل وإدباره، أو لأن الألفاظ التي عبر بها عن المعاني متقاربة. كما إذا فسر بعضهم ﴿**تُبسل**﴾ بـ «تحبس» وبعضهم بـ «ترهن» لأن كلا منهما قريب من الآخر.

والتفسير بالمأثور هو الذى يجب اتباعه والأخذ به لأنه طريق المعرفة الصحيحة، وهو آمن سبيل للحفظ من الزلل والزيغ فى كتاب الله. وقد روى عن ابن عباس أنه قال:

التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامهم، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله.

فالذى تعرفه العرب هو الذى يرجع فيه إلى لسانهم ببيان اللغة.

والذى لا يعذر أحد بجهله هو ما يتبادر فهم معناه إلى الأذهان من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد ولا لبس فيها، فكل امرئ يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ [محمد: ١٩] وإن لم يعلم أن هذه العبارة وردت بطريق النفى والاستثناء فهى دالة على الحصر.

أما ما لا يعلمه إلا الله، فهى المغيبات، كحقيقة قيام الساعة، وحقيقة الروح.

وأما ما يعلمه العلماء فهو الذى يرجع إلى اجتهادهم المعتمد على الشواهد والدلائل دون مجرد الرأى، من بيان مجمل، أو تخصيص عام أو نحو ذلك.

المراحل التى مر بها التفسير بالمأثور:

والمرحلة الأولى: التى مر بها التفسير من عهد الرسولﷺ هى التفسير بالمأثور، وحتى هذه المرحلة تدرجت فى أطوار:

١- تفسير معانى القرآن بالقرآن كقوله تعالى: ﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ** ﴾ [البقرة: ٣٧] فسِّرت الكلمات بقوله تعالى: ﴿ **قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ٢٣].

٢- ما سئل فيه الرسولﷺ فأجاب عنه، مثل تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ [الأنفال: ٦٠] حيث قال الرسولﷺ: «**ألا إن القوة هى الرمى**» (رواه ابن حنبل فى مسنده)، ومثل ما روى عن على رضى الله عنه قال: سألت رسول اللهﷺ عن ﴿ **يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ** ﴾ [التوبة: ٣] فقال: «**يوم النحر**».

٣- معرفة أسباب التنزيل والحوادث والملابسات التى كانت سببا مباشراً لنزول الآيات هذا وإن كانت القاعدة الأصولية العامة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[١] إلا أن معرفة أسباب التنزيل وملابساته تعين على استيضاح المعانى المقصودة ودلالتها الذاتية.

ولزم من ذلك معرفة مضامين علوم الحديث والسيرة وضبط تواريخ النزول ونقد أشخاص الرواة.

٤- تبين فى عصر الصحابة أن بعض دلالات التركيب فى القرآن قد تكون محل إجمال أو إبهام عندما يكون التركيب صالحًا لمعانٍ متباينة كأن يقع التعبير على ذات بإحدى صفاتها أو لوازمها على الطرائق البيانية، فما رجع فيه إلى الرسولﷺ دخل ضمن علم الحديث، ومالم يرجع فيه

١- راجع كتاب (تنقيح الفصول) للقرافى (وإرشاد الفحول للشوكانى) فى علم أصول الفقه - الكتابين من تحقيق طه عبد الرءوف سعد.

إليه اجتهد الصحابة فى فهمه، وبذلك دخل التفسير أول أبواب النظر واشتهر عدد من الصحابة بدقة الفهم وكان أشهرهم عبدالله بن عباس رضى الله عنهما(١).

٥- أضاف ابن عباس إلى رواية الحديث وتفهم المبهم عنصراً ثالثًا هو اللغة للاستعانة بالمأثور من أقوال العرب من نثر أو شعر على فهم مضمون مفرد أو سر تركيب، كذلك أضاف الأخبار إلى مصدرها التاريخى العام وخصوصًا ما ورد عن أهل الكتاب اليهود والنصارى، وقد يكون هذا خروجا عن مفهوم المأثور ولكنه ألحق به.

٦- تناقل التابعون ما روى عن ابن عباس وفتحت الأمصار، ودخل فى الدين أخلاط متراكمة من الفرس والروم ومن تبعهم، بعضهم صادق الإسلام وبعضهم دخل خوفًاوتقية، وآخرون دخلوا غرضا أن يظفروا بحظوة أو بفرصة.

واضطربت اللغة وفشت اللكنة فكان لزاما ضبط اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، ونشأ من ذلك علم النحو والصرف، واستشرى الكذب وكثر وضع أقوال زعم واضعوها أنها صادرة من الرسولﷺ وغيرها عن صحابته وانتشر ذلك فكانت الضرورة إلى نقد الرواية والرواة ووضعت قواعد لتمييز الصحيح من الموضوع من الضعيف ونشأ من ذلك علم مصطلح الحديث تابعًا للتفسير بالمأثور.

المرحلة الثانية:

كانت كثرة الوضع والتزييف سببًا فى اهتزاز التفسير بالمأثور فتصدى طائفة للطعن فيه نظراً للشك فى أخباره، وأخرى للدفاع عنه وطلب تمحيصه، والابتعاد به عن مجالات الحديث الجزاف، والمزاعم الواهية عن أسماء القصاصين وأخبار

١- انظر تنوير المقباس من تفسير ابن عباس الذى نسب إلى عبدالله بن العباس رضى الله عنهما.

اليهود والنصارى والعجم، وذلك حتى ترجع إلى التفسير بالمأثور حرمته ومن هؤلاء كان البخارى، فقد ورد فى كشف الظنون أن البخارى أنشأ تفسيرا كبيراً ولكن لم يصل إلينا منه إلا الأحاديث التى جمعها فى صحيحه[1].

وبذلك أصبح التفسير بالمأثور يطلق على التفسير الأثرى النظرى، وأول من بدأ فى تدوينه غير البخارى على نحو جامع يجمع النواحى الأثرية والعلمية عبدالملك بن جريج المتوفى سنة ١٤٩هـ ثم يحيى بن سلام فى النصف الثانى من القرن الثانى، ولكن أهم من دون على هذا النحو كان فى القرن الثالث وهو أبو جعفر بن جرير الطبرى المولود فى سنة ٢٢٤هـ والمتوفى سنة ٣١٠هـ، ولا يزال منهجه العلمى محل إعجاب الدارسين لما يتضمنه من تمحيص للروايات وتصفية ما علق بها من الرواسب والسواقط، ويرى بعض الدارسين أنه تفسير بالمأثور فقط، ولا يرى آخرون ذلك؛ لأن طريقته فى التفسير ليست قاصرة على جمع الأخبار الواردة ولكنه يدلى برأيه أولا أو آخراً فيأتى بجملة من الأبحاث الرائعة الفياضة بالمعانى مما يعتبر من التفسير النظرى.

ويعتبر تفسير ابن كثير من هذا النوع؛ لأن أكثر تفسيره بالسنة الصحيحة والآثار المسندة إلى أصحابها من الصحابة والتابعين وأتباعهم مع نقد الرواة جرحًا وتعديلاً، وهو يعنى عناية شديدة بتفسير القرآن بالقرآن وسرد الآيات المتناسبة فى المعنى الواحد. وينبه على المنكر من الإسرائيليات ويحذر منها، ويدخل قليلاً فى المناقشات الفقهية.

١- له كتاب فى صحيحه يسمى كتاب التفسير ثم أتبعه بكتاب أسماه فضائل القرآن - راجع فتح البارى شرح صحيح البخارى من تحقيق طه عبد الرءوف سعد فى عدد من الطبعات: ط الكليات الأزهرية - مكتبة القاهرة - عالم الكتب / بيروت - دار الغد العربى القاهرة.

أشهر الكتب المؤلفة فى التفسير بالمأثور هى:

١- التفسير المنسوب لابن عباس (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) .

٢- تفسير ابن عيينة .

٣- تفسير ابن أبى حاتم .

٤- تفسير أبى الشيخ ابن حبان .

٥- تفسير ابن عطية « المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز » .

٦- تفسير أبى الليث السمرقندى « بحر العلوم » .

٧- تفسير أبى إسحاق « الكشف والبيان عن تفسير القرآن » .

٨- تفسير ابن جرير الطبرى « جامع البيان فى تفسير القرآن »[١] .

٩- تفسير ابن أبى شيبة .

١٠- تفسير البغوى « معالم التنزيل » .

١١- تفسير أبى الفداء الحافظ ابن كثير « تفسير القرآن العظيم » .

١٢- تفسير الثعالبى « الجواهر الحِسان فى تفسير القرآن » .

١٣- تفسير جلال الدين السيوطى « الدر المنثور فى التفسير بالمأثور » .

١٤- تفسير الشوكانى « فتح القدير » « أعاننا الله على إخراجه » .

١- وقد اختصره طه عبد الرءوف سعد فى مجلد واحد يظهر قريبا - إن شاء الله .

تفسير التسترى

يقول عنه فضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى .... وتفسيره هذا لم يستوعب كل الآيات وإن استوعب السور وقد سلك فيه مسلك الصوفية مع موافقته لأهل الظاهر.

ثم أورد أمثلة سوف تراها أنت داخل هذا التفسير – ثم يقول :

وهذا التفسير صغير غير أنه غزير المادة في موضوعه، مشتمل على كثير من علاج الشبهات ودفع الإشكالات وتوجد لهذا الكتاب مخطوط بدار الكتب الظاهرية (مكتبة الأسد) الآن وجاء بيانه كما يلى الرقم ٥١٥ – تفسير (١٢٠).

المؤلف : أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس... إلخ

أوله : أخبرنا الشيخ الواعظ...

آخره : فسكنت البلبلة...

كتبه الفقير الحقير المعترف بالعجز والتقصير أحمد بن حسن الجصيصى ووافق الفراغ من نسخه أواسط شهر شوال من شهور سنة (....)

أوصاف المخطوط:

نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى كتبت سنة ١١٤٠ كتبت بخط نسخى جيد – أسماء السور ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر.

المخطوط مفروط الأوراق غلافه من الجلد المزخرف وهو ممزق.

على الورقة الأولى قيد وقف الوزير الحاج سليمان باشا محافظ الشام على مدرسته وقيد تملك باسم سيواس أفندى.

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالمؤلف
سهل بن عبدالله التُّسْتَرى

المولود ٢٠٠هـ ٨١٥م

المتوفى ٢٨٣هـ ٨٩٦م

يقول عنه الإمام أبو عبد الرحمن السلمى وقد ذكره فى الطبقة الثانية للصوفية:

أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى بن عبدالله بن رفيع التسترى، أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين فى علوم الرياضيات والإخلاص وعيوب الأفعال – صحب خاله محمد بن سوار، وشاهد ذا النون المصرى سنة خروجه إلى الحج بمكة توفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل سنة ٢٩٣ وأظن أن التاريخ الأول أصح.

وأدرجه الإمام الشمس الذهبى فى الطبقة السادسة عشرة الرقم (٢٣٨٩) ومما قال عنه: له كلمات نافعة ومواعظ حسنة، وقدم راسخ فى الطريق.

وقال عنه الإمام القشيرى:

أحد أئمة القوم لم يكن له فى وقته نظير فى المعاملات والورع وكان صاحب الكرامات لقى ذا النون المصرى بمكة سنة خروجه إلى الحج. وقال سهل: كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالى محمد بن سوار وكان يقوم بالليل فربما كان يقول يا سهل اذهب فنم فقد شغلت قلبى..

يروى عن سهل بن عبدالله قال: قال خالى يوما: ألا تذكر الله الذى خلقك؟ فقلت: كيف أذكر؟ فقال قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معى، الله ناظر إلىَّ، الله شاهدى، فقلت ذلك ثلاث ليال ثم أعلمته قال لى: قل فى كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل فى كل ليلة إحدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقع فى قلبى حلاوة.

فلما كان بعد سنة قال لى خالى: احفظ ما علمتك ودُم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك فى الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة فى سرى تحملنى على ملازمتها وأمره بأن يقولها أولا ثلاثا ثم سبعا ثم إحدى عشرة على سبيل التدريج سهلا لانتقاله من شيء إلى ما هو أولى منه، وفى ذلك. تعليم وتدريج للمريد كيف يتعلم المراقبة، وأولها ذكر الله تعالى باللسان مع حضور القلب، فإذا تنبه ذكره بقلبه إن لم يكن فى ذكره بلسانه أيضا زيادة فضيلة؛ فلهذا لما رآه منتبها قال له فيما ذكر: قل بقلبك من غير أن تحرك به لسانك، وفى نقله له فى عدد الأفراد سر وهو أنه تعالى فرد يحب الفرد وكونه ثلاثا وسبعا وإحدى عشرة كأنه ليكون الثلاث أقل الجمع والسبع عدد السموات والأرضين وأيام الأسبوع والإحدى عشرة نهاية صلاة الوتر.

ثم قال لى خالى: يا سهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية. فكنت أخلو فبعثونى إلى الكُتَّاب فقلت إنى لأخشى أن يتفرق علىَّ همى ولكن شارطوا المعلم أنى أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فمضيت إلى الكتاب وحفظت القرآن وانا ابن ست سنين أو سبع، وكنت أصوم الدهر وقوتى خبز الشعير إلى أن بلغت اثنتى عشرة سنة، فسألت أهلى أن يبعثونى إلى البصرة فذهبت إليها وسألت علماءها فلم يشف أحد منهم عنى شيئا.

فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبى حبيب حمزة بن عبدالله العبادانى فسألته فأجابنى وأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتادب بآدابه، ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتى اقتصارا على أن يشترى لى بدرهم من الشعير فيطحن ويخبز لى فأفطر عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا إدام فكان يكفينى هذا الدرهم سنة.

ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة.

ثم خرجت أسيح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله.

وقد أرخه ابن العماد الحنبلي في وفيات سنة ٢٨٣هـ وقال عنه:

فيها توفي القدوة العارف أبو محمد سهل بن عبدالله التستري الزاهد في المحرم عن نحو من ثمانين سنة وله مواعظ وأحوال وكرامات.

وكان من أكبر مشايخ القوم - ومن كلامه وقد رأى أصحاب الحديث فقال: اجهدوا أن لا تلقوا الله تعالى إلا ومعكم المحابر.

وقيل له: إلى متى يكتب الرجل الحديث؟

قال: حتى يموت ويصب باقي حبره في قبره

وقال: من أراد الدنيا والآخرة فليكتب الحديث فإن فيه منفعة الدنيا والآخرة.

قال في حلية الأولياء عن كلامه:

عامة كلامه في تصفية الأعمال من المعايب والأعلال، وأسند عنه فيها أنه قال: من كان اقتداؤه بالنبي ﷺ لم يكن في قلبه اختيار لشيء من الأشياء سوى ما أحب الله ورسوله.

وقال: الدنيا كلها جهل إلا العلم منها والعلم كله وبال إلا العمل به، والعمل كله هباء منثور إلا الإخلاص فيه والإخلاص أنت منه على وجل حتى تعلم هل قبل أم لا.. ومن كلامه أيضا:

- الناس نيام فإذا انتبهوا ندموا وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم.

- ما طلعت شمس ولا غربت على أحد على وجه الأرض إلا وهم جهال بالله... إلا من يؤثر الله تعالى على نفسه وزوجه ودنياه وآخرته.

- أدنى الأدب أن تقف عند الجهل، وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة.

- شكر العلم العمل وشكر العمل زيادة العلم.

- ما من قلب ولا نفس إلا والله تعالى مطلع عليها فى ساعات الليل والنهار، فأيما قلب ولا نفس رأى فيه حاجة إلى سواه سلط عليه إبليس.

- الذى يلزم الصوفى ثلاثة أشياء: حفظ سره، وأداء فرضه، وصيانة فقره.

- الله تعالى قبلة النية وإليه قبلة القلب، والقلب قبلة البدن، والبدن قبلة الجوارح، والجوارح قبلة الدنيا.

- ليس فى الضرورة تدبير، فإذا صار إلى التدبير خرج من الضرورة.

- من لم تكن ضرورته لربه فهو مدع لنفسه.

- من أراد أن يسلم من الغيبة فليسد على نفسه باب الظنون، فمن سلم من الظن سلم من التجسس ومن سلم من التجسس سلم من الغيبة، ومن سلم من الغيبة سلم من الزور، ومن سلم من الزور سلم من البهتان.

- لا يستحق إنسان الرياسة حتى يجتمع فيه أربع خصل: يصرف جهله عن الناس، ويحمل جهلهم، ويترك ما فى أيديهم ويبذل ما فى يده لهم.

- من أخلاق الصديقين لا يحلفون بالله لا صادقين ولا كاذبين، ولا يغتابون ولا يغتاب عندهم، ولا يشبعون بطونهم، وإذا وعدوا لم يخلفوا ولا يتكلمون إلا والاستثناء فى كلامهم (إن شاء الله) ولا يمزحون أصلا.

- ذروا التدبير والاختيار، فإنهما يكدران على الناس عيشهم.

- اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه بالجوع والصبر والجهد؛ لفساد ما عليه أهل الزمان.

- أعمال البر يعملها البار والفاجر، ولا يجتنب المعاصى إلا صِدِّيق.

- من ظن حُرم اليقين، ومن تكلم فيما لا يعنيه حُرم الصدق، ومن شغل جوارحه بغير ما أمره الله تعالى به حرم الورع.

- الفتن ثلاث: فتنة العامة من إضاعة العلم، وفتنة الخاصة من الرخص والتأويلات، وفتنة أهل المعرفة من أن يلزمهم حق فى وقت فيؤخروه إلى وقت ثانٍ.

- أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى، والاقتداء بسنة رسوله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق.

- من أحب أن يطلع الخلق على ما بينه وبين الله تعالى فهو غافل.

- لقد أيس العلماء والحكماء من هذه الثلاث خلال: ملازمة التوبة، ومتابعة السُّنة، وترك أذى الخلق.

- البلوى من الله تعالى على وجهين: بلوى رحمة وبلوى عقوبة، فبلوى الرحمة تبعث صاحبها على إظهار فقره إلى الله تعالى، وترك التدبير، وبلوى العقوبة تبعث صاحبها على اختياره وتدبيره.

- من خلا قلبه من ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان.

- لا معين إلا الله تعالى، ولا دليل إلا رسول الله ﷺ، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر.

الآيات لله، والمعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء، والمغوثات للمريدين، والتمكين لأهل الخصوص.

- العيش على أربعة أوجه: عيش الملائكة فى الطاعة، وعيش الأنبياء فى العلم وانتظار الوحى، وعيش الصديقين فى الاقتداء، وعيش سائر الناس - عالما كان أو جاهلا - زاهدا كان أو عابدا - فى الأكل والشرب.

- الضرورة للأنبياء، والقوام للصديقين، والقوت للمؤمنين والمعلوم للبهائم.

- الأعمال بالتوفيق، والتوفيق من الله تعالى، ومفتاحه الدعاء والتضرع.

ومن كلامه أيضا ما أورده الإمام الشعراني:

- ما عمل عبد بما أمره الله تعالى عند فساد الأمور وتشويش الزمان

واختلاف الناس فى الرأى إلا جعله الله إماما يقتدى به هاديا مهديا وكان غريبا فى زمانه.

وسُئل عن الولى فقال: هو الذى تولت أفعاله على الموافقة.

وسُئل عن ذات الله عز وجل فقال: ذات موصوفة بالعلم غير مُدْرَكة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار فى دار الدنيا وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا حلول، وتراه العيون فى العقبى ظاهرا فى ملكه وقدرته.. وقد حجب سبحانه وتعالى الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته؛ فالقلوب تعرفه والأبصار لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون فى الآخرة بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية.

وكان يقول أيضاً:

- إن الله تعالى خلق الخلق ولم يحجبهم عنه وإنما جاءهم الحجاب من تدبيرهم واختيارهم مع الله تعالى وذلك هو الذى كدر على الخلق عيشهم.

- مخالطة الولى للناس ذل، وتفرده عنهم عز، وقلما رأيت وليا لله عز وجل إلا منفردا.

- يأتى على الناس زمان يذهب الحلال من أيدى أغنيائهم وتكون أموالهم من غير حلها فيسلط الله تعالى بعضهم على بعض بالأذى والمرافعات عند الحكام فتذهب لذة عيشهم ويلزم قلوبهم خوف فقر الدنيا وخوف شماتة الأعداء ولا يجد لذة العيش إلا عبيدهم، وتكون سادتهم فى بلاء وشقاء وعناء وخوف الظالمين ولا يستلذ العيش بعيش يومئذ إلا منافق لا يبالى من أين أخذ ولا فيما أنفق ولا كيف أهلك نفسه وحينئذ تكون رتبة القراء رتبة الجهلاء وعيشهم عيش الفجار وموتهم موت أهل الحيرة والضلال.

- الدنيا حرام على صفوة الله من خلقه حرم عليهم أن ينالوا منها شيئا كما حرم على الخلق أن يأكلوا من صيد الحرم ومن أكل منه لزمته الفدية، كذلك من أكل من أهل صفوته شيئا من الدنيا ليس له فى فدية إلا ترك الطاعات.

- إذا قام العبد بما لله تعالى عليه فحقيق على الله تعالى أن يقوم بما كان العبد قائما به لنفسه.

- من لم يكن مطعمه من الحلال لم يكشف عن قلبه حجاب وتسارع إليه العقاب ولا تنفعه صلاته ولا صومه ولا صدقته.

- إنما حجب الخلق عن مشاهدة الملكوت وعن الوصول بسوء المطعم وأذى الخلق.

- وكان يقول لأصحابه: مادامت النفس تطلب منكم المعصية فادبوها بالجوع والعطش فإذا لم تَرِدْ منكم المعصية فأطعموها ما شاءت واتركوها تنام الليل ما أحبت.

- من كمل إيمانه لم يخف من شيء سوى الله تعالى.

- خيار الناس العلماء الخائفون وخيار الخائفين المخلصون الذين وصلوا إخلاصهم بالموت.

يقول الإمام ابن قيم الجوزية:

- سئل سهل التستري: الرجل يأكل في اليوم أكلة؟ قال: أكل الصديقين. قيل له: فأكلتين؟ قال: أكل المؤمنين. قيل: فثلاث أكلات؟ فقال: قل لأهله يبنوا له معلفا[١].

مؤلفاته:

١- تفسير القرآن مختصر (وهو الكتاب الذى نقدم له)

٢- دقائق المحبين.

٣- مواعظ العارفين.

٤- جوابات أهل اليقين.

١- المعلف مكان العلف والعلف ما يأكله الحيوان.

٥- الغاية لأهل النهاية.

٦- قصص الأنبياء.

٧- المعارضة والرد على أهل الفرق وأهل الدعاوى.

٨- فهم القرآن الكريم.

٩- رسالة في الحروف.

المراجـــع:

بعد القرآن الكريم وتفاسيره وكتب الصحاح من الحديث رجعنا إلى :

١- طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى.

٢- سير أعلام النبلاء للذهبى.

٣- الرسالة القشيرية الإمام أبو القاسم القشيرى.

٤- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى.

٥- الطبقات الكبرى للإمام الشعرانى.

٦- الفوائد لابن قيم الجوزية.

٧- المعجم الوسيط.

٨- الأعلام للزركلى.

٩- الفهرست لابن النديم

١٠- هدية العارفين للبغدادى.

١١- حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى.

١٢- الموسوعة الذهبية - الدكتورة فاطمة محمد محجوب ومراجعها.

وكتبه المحققان

طه عبد الرءوف سعد، سعد حسن محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أخبرنا الشيخ الواعظ أبو نصر أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي النصر البلدى، إجازة عليه شافهني بها في داره يوسف أن جده الإمام أبا بكر محمد بن أحمد البلدى أخبره **قال: حدثنا** الفقيه أبو نصر أحمد بن على بن إبراهيم الطائفي الصفار **قال: حدثنا** أبو القاسم على بن أحمد بن محمد ابن الحسن الوضاحى **حدثنا** أبو العباس عبد الرحمن بن الحسن بن عمر البلخى ببلخ في سكة ساسان.

وقال أبو يوسف أحمد بن محمد بن قيس السجزى: **سمعت** أبا محمد سهل بن عبدالله التسترى رحمه الله تعالى في سنة خمس وسبعين ومائتين **يقول**: **حدثنا** محمد بن سوار عن أبي عاصم النبيل عن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما.

قال: سألت رسول الله ﷺ فيم النجاة غدا؟ فقال «عليك بكتاب الله عز وجل فإن فيه نبأ من كان قبلكم، وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم من دينكم الذى تعبدكم به الله عز وجل، به تصلون إلى المعرفة، ومن يرد الهدى فى غيره يضله الله، هو أمر الله الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الشفاء النافع، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**﴾[1] هو الذى ظاهره أنيق وباطنه عميق، وهو الذى يعجز عنه كل فهم، لقول الله تعالى ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا**

---

١ – الجن: ١، ٢.

إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١) فسأله رجل عن علم الله تعالى فى عباده هل هو شيء بدا له من بعد ما خلقهم أو كان قبل أن يخلقوا؟ فقال: ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ** ﴾(٢) أى كتاب محكم ﴿ **فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ** ﴾(٣) قبل أن يخلقوا.

وأن الله عز وجل فرغ من علم عباده وما يعملون قبل أن خلقهم، ولم يجبرهم على المعصية، ولا أكرههم على الطاعة، ولا أهملهم من تدبيره، بل نبه على ما تواعد به من كذب بقدره فقال: ﴿ **فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾(٤) على وجه التهديد إذ لا حول لهم ولا قوة إلا بما سبق علمه فيهم أنه سيكون منه بهم ولهم. قال الله تعالى ﴿ **وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ** ﴾(٥) فالخير من الله تعالى أمر وإليه الولاية فيه، والشر من الله نهى وإليه العصمة فيه.

(**قال**) سهل رضى الله تعالى عنه: وما من آية فى القرآن إلا ولها أربعة معان ظاهر وباطن وحد ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد حلالها وحرامها، والمطلع إشراف القلب على المراد بها فقها من الله عز وجل.

فالعلم الظاهر علم عام، والفهم لباطنه والمراد به خاص، قال تعالى ﴿ **فَمَالِ هَٰؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ﴾(٦) أى لا يفقهون خطابا.

(**قال**) سهل: فلا بد للعبد من مولاه، ولا بد له من كتابه، ولا بد له من نبيه ﷺ، إذا قلبه معدن توحيده، وصدره نور من جوهره، أخذ قواه من معدنه إلى هيكله، فمن لم يكن عنده شيء يتبع به أو أضرب عنه كذلك لم تكن الجنة منزلا له، وإذا لم يكن الله معه وناصره فمن معه؟!.

١- الأحقاف: ٢٩، ٣٠. ٢، ٣- البروج: ٢١، ٢٢.
٤- الكهف: ٢٩. ٥- الرعد: ١١. ٦- النساء: ٧٨.

وإذا لم يكن القرآن إمامه ولم يكن النبى ﷺ له شافعا من يشفع له؟ وإذا لم يكن فى الجنة فهو فى النار.

وقوله: صدره نور أى موضع النور من جوهره، وهو أصل محل النور فى الصدر الذى منه ينتشر النور فى جميع الصدر، وإضافة الجوهر إلى الله تعالى ليس المراد ذاته، وإنما هى على طريق الملك.

أخذ قواه يعنى قوى النور من معدنه وهو الصدر، وما حل مصدق إلى هيكله يعنى إلى جوارحه، وإنما عنى به نور الطاعات التى فى الجوارح، فمن لم يكن عنده شيء من الهداية سمع به أى فهم به.

وقال النبى ﷺ «القرآن شافع مشفع وماحل مصدق فمن شفع له القرآن نجا ومن محل به هلك».

وقال سهل: إن الله تعالى أنزل القرآن على نبيه ﷺ وجعل قلبه معدنا لتوحيده، والقرآن فقال: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ**﴾(1) وكلفه تبليغه والبيان عنه ليعلم المؤمنون به ما أنزل إليهم.

فمن آمن به وعلم تبيانه وعمل بحكمه كان كامل الإيمان لله تعالى، ومن آمن به وقرأه ولم يعمل بعلم ما فيه لم يكمل أجره.

والناس فى قراءة القرآن على ثلاثة مقامات: فقوم أعطوا الفهم بقيامهم بأداء الأمر واجتناب النهى من الظاهر والباطن، وصدقهم فيه بنور بصيرة اليقين، وهو سكون القلب إلى الله تعالى فى كل حال وعلى كل حال، فليس لهؤلاء همة فى الألحان ولا فى التطريب بطيبة الصوت تكلفا، إنما همهم التفهم وطلب المزيد من الله تعالى، فهما لأمره ونهيه، والمراد من أحكام فرضه وسنة نبيه ﷺ، فهم بعلمه

1- الشعراء: 193، 194.

عاملون، وبالله مستعينون، وعلى آدابه صابرون، كما أمرهم بقوله ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾(١) أى استعينوا بالله على أمر الله، بالسنة فرضا أى سنة الله، واصبروا على آدابه باطنا وظاهرا كى يكسبكم فهما وفطنة، والمراد منه تفضلا، لا يبالون بطيب حنجرة الأصوات، فهم الذين أعطاهم الله تعالى فهم القرآن، هم خاصة الله وأولياؤه، لا هُمْ للدنيا ولا الدنيا منهم فى شيء، ولا فيما فى الجنة رغبوا، أخذ منهم الدنيا فلم يبالوا، ووهبها لهم فردوها كما ردها نبيهم ﷺ لما عرضت عليه، طرحوا أنفسهم بين يديه رضا وسكونا إليه، وقالوا: لا بد لنا منك أنت أنت لا نريد سواك، فهم المتفردون بالله كما قال النبى ﷺ: «سيروا سير المتفردين إلى رحمة الله، قالوا: ومن المتفردون يا رسول الله قال: الذين اهتدوا بالذكر لله تعالى يأتون يوم القيامة خفافا قد حط الذكر عنهم أثقالهم».

قال سهل: هم المشايخ المستمرون، فى الذكر بالذكر لله تعالى مجالسون، كما قال النبى ﷺ: «يقول الله تعالى أنا جليس من ذكرنى حيثما التمسنى عبدى وجدنى» وقال تعالى ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾(٢).

١- الأعراف: ١٢٨.

٢- البقرة: ١١٥.

﴿ باب صفات طلاب فهم القرآن ﴾

قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾[١].

قـــال سهل: فعلى مقدار النور الذى قسمه الله تعالى له يجد هداية قلبه وبصيرته، فظهر على صفاته أنوار نوره.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾[٢] فالقرآن حبل الله بين الله وبين عباده، من تمسك به نجا، لأن الله تعالى جعل القرآن نورا وقال: ﴿ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٣] ومعنى ﴿ جَعَلْنَاهُ ﴾ بينا ما فيه من محكم ومتشابه، وحلال وحرام، وأمر ونهى، كما قال الله عز وجل ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[٤] أى بيناه بلسان عربى مبين، يعنى بحروف المعجم التى بينها الله لكم بها تعرفون ظاهرا وباطنا.

وقال الله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ﴾[٥] يعنى القرآن الذى قلب النبى ﷺ معدنه.

(قـــيل) له ما معنى قوله القرآن حبل الله بين الله وبين عباده؟ قال: أى لا طـــريق لهم إليـــه إلا به، وبفهم ما خاطبهم فيه للمراد منهم به، والعمل بالعلم للـــه مخلصين فيـــه، والاقتداء بسنة محمد ﷺ المبعوث إليهـــم، كمـــا قال ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[٦] يعنى من يطع الرسول ﷺ فى سنته فقد أطاع الله فى فرائضه.

١- الشعراء: ١٩٢-١٩٤.
٢- النور: ٤٠.
٣- الشورى: ٥٢.
٤- الزخرف: ٣.
٥- الأعراف: ١٥٧.
٦- النساء: ٨٠.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: أنزل الله تعالى القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نجمه(*) الله على النبى ﷺ خمس آيات، وأقل وأكثر.

قوله سبحانه وتعالى ﴿ **فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ** ﴾(١).

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: لم ينزل القرآن فى شهر ولا فى شهرين، ولا فى سنة ولا فى سنتين، بل كان بين نزول أوله ونزول آخره عشرون سنة أو ماشاء الله من ذلك، وذلك لأن لإسرافيل مكانا فى العرش خافض بصره، وحوله الملائكة السفرة الكرام البررة، ولوح من زمرد، فإذا أراد الله أمرا كان فى ذلك اللوح، فقرع ذلك جبينه ينظر ما فيه، فبعث الرسل، فذلك قوله: ﴿ **فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ** ﴾(٢) لأن القرآن أنزل جملة واحدة على السفرة الكرام الكاتبين، فنجمته السفرة الكرام الكاتبون على جبريل عليه السلام عشرين سنة، فنجمه جبريل عليه السلام على النبى ﷺ كذلك، فقال المشركون ﴿ **لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً** ﴾(٣) فقال الله تعالى ﴿ **كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ** ﴾(٤) أى ليكون ذلك جوابا لما يسألونك عنه، إذ لو أنزلناه جملة واحدة لم يكن عندك جواب سؤالهم إذا سألوك.

وقال سهل: أنزل الله القرآن على خمسة أخماس، خُمس محكم، وخمس متشابه، وخمس حلال، وخمس حرام(**)، وخمس أمثال، فالمؤمن العارف بالله تعالى يعمل بمحكمه، ويؤمن بمتشابهه، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويعقل

* نجم الشىء جعله اقساطا متفرقة.

١- الواقعة: ٧٥-٧٧.

٢- البروج: ٢٢.

٣- الفرقان: ٣٢.

٤- الفرقان: ٣٢.

** أى ما يبين الحلال وما يبين الحرام.

أمثاله، كما قال ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾[1] أى أهل العلم بالله تعالى والمعرفة به خاصة.

(قال) سهل: فى القرآن آيتان ما أشدهما على من يجادل فى القرآن وهما: قوله تعالى ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[2] أى يمارى فى آيات الله ويخاصم بهوى نفسه وطبع جبلة عقله، قال الله تعالى ﴿ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾[3] أى لا مراء فى الحج، والثانية قوله ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾[4] **قال** النبى ﷺ «معاشر الناس لا تجادلوا فى القرآن فإن جادل به المؤمن المهتدى أصاب، وإن جادل به المنافق المفترى أقام حجة بالقياس والهوى بغير صواب».

وقال النبى ﷺ: «شرار عباد الله يتبعون شرار المسائل ليمتحنوا بها عباد الله إعناتا[*]» والله تعالى خصمهم يوم القيامة، لأن كل سائل مسئول يوم القيامة ما أردت به»؟!.

وقال سهل: العجب كل العجب لمن قرأ القرآن ولم يعمل به، ولم يجتنب ما نهاه الله عنه، أما استحيا من الله ومحاربته ومخالفته، وأمره ونهيه بعد علمه به، فأى شيء أعظم من هذه المحاربة، ألم يسمع وعده ووعيده، ألم يسمع ما وعده الله به من النكال، فيرحم نفسه ويتوب، ألم يسمع قوله ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[5] فيجهد فى الإحسان، ألم يسمع قوله «ورحمتى سبقت عذابى[**]» فيرغب فى رحمته.

١- العنكبوت: ٤٣.

٢- غافر: ٤.

٣- البقرة: ١٩٧.

٤- البقرة: ١٧٦.

* تقول أعنته: أوقعه فى مشقة وشدة.

٥- الأعراف: ٥٦.

** حديث قدسى أو إلهى.

(وقــال) سهل: اللهم أنت أكرمتهم بالموهبة الجميلة، وخصصتهم بهذه الفضيلة، اللهم فاعف عنا وعنهم.

ثــم **قــال**: إن الله تعالى ما تولّى وليا من أمة محمد ﷺ إلا علمه القرآن، إما ظاهرا، وإما باطنا.

قيل له: إن الظاهر نعرفه، فالباطن ما هو؟ قال: فهمه وإن فهمه هو المراد.

(قــال) أبو بكر السجزى: سمع منى هذه الحكاية الجنيد، فقال: صدق سهل، كان عندنا ببغداد عبد أسود أعجمى اللسان نسأله عن القرآن آية آية فيجيبنا عن ذلك بأحسن جواب، وهو لا يحفظ القرآن، وتلك دلالة ولايته.

(قــال) سهل: روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال: ينبغى لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبصيامه إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يتكلمون، فينبغى أن يكون حامل القرآن باكيا حزينا، حكيما عالما، لا جافيا ولا غافلا، يعنى لا يكون كذابا.

(قال) سهل: أخبرنى محمد بن سوار أنه حج سنة من السنين، فرأى أيوب السختيانى قد ابتدأ بأول القرآن مصليا، وإذا بناحية منه رجل من أهل البصرة مستقبل الكعبة قد ابتدأ بسورة ويل للمطففين، وهو يردد قوله تعالى ﴿**أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾[1] **قــال**: فبلغ أيوب السختيانى إلى ثلثى القرآن وذلك الرجل يردد هذه الآية، فلما كان عند السحر بلغ أيوب الفيل(*) وانتهى الرجل إلى قوله ﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[2] وغشى عليه، فتقدمنا إلى الرجل فوجدناه ميتا..

١- المطففين: ٤، ٥.

* أى سورة الفيل.

٢- المطففين: ٦.

وقد اختلف الناس فى طلب فهم القرآن، فقوم طلبوا فهم القرآن بتكرار درسه ليستخرجوا فهم ظاهر أحكامه، فمنهم مقل، ومنهم مكثر، عالم عامل لله تعالى بمنازل الجنة، وعامل لله تعالى إيجابا، وعالم به لا عامل له، وقوم طلبوه لحفظ التلاوة والتعليم لغيرهم، منهم سليم فى فعله، ومنهم مغتر بربه، ورجل كثير الدرس له، ومراده تعلم طلب الألحان، ويريد أن يشار إليه، ويكسب من حطام الدنيا، فهو من أخسر الثلاثة عند الله تعالى.

(قال) سهل: وأخبر محمد بن سوار، عن عمرو بن مرداس، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «اقرءوا القرآن بلحون العرب من غير تكلف لغيرها، ولا تقرءوه بلحون أهل الكنائس والبِيَع وأهل الأهواء والبدع، فإنى وأمتى الأتقياء برآء من التكلف، وإنه سيأتى أقوام من بعدى يرجّعون فيه أصواتهم تراجع القينات(*) بالأغانى، مفتونة قلوبهم فتانة لقلب السامع أولئك هم الغافلون»

(قال) سهل: وإنى أخاف بعد ثلاثمائة(**) إلى ما فوقها أن يندرس القرآن بالتشاغل بالألحان والقصائد والأغانى، قيل له: وكيف ذلك يا أبا محمد؟ فقال: لأنهم ما أحدثوا هذه الألحان والقصائد والأغانى إلا للتكسب بها، حتى ملك إبليس قلوبهم كما ملك قلوب شعراء الجاهلية، وحرموا فهم القرآن والعمل لله به.

(وقد) حكى محمد بن سوّار عن ابن أبى ذئب، عن محمد بن عبد الرحمن، عن ثوبان أنه سمع النبى ﷺ يقول: «سماع الأغانى ينسى القرآن ويشغل عن الذكر».

---

* الجوارى المغنيات.

** أى الثلاثمائة من الهجرة النبوية.

(**قــال**) أبو بكر: كان أبو سعيد الخراز مقيما بمكة، وكان من أشد الناس محبة للسماع من قصائد الجذل وأشعار الغزل، فأخبرني غلامه أبو الأذنين أنه رآه بعد موته في المنام، وقال له: مافعل الله بك يا أبا سعيد؟ فقال: غفر لي بعد توبيخ وددت أنه أمر بي إلى النار ولم يوبخني، فقلت له: ولم ذلك؟ قال: أوقفني الحق بين يديه من وراء حجاب الخوف، وقال لي: حملت أمري على لَيْلى وسُعْدَى، ولولا أنك وقفت لي وقفة أردتني بها لأمرت بك إلى النار، فلما أن زال حجاب الخوف إلى حجاب الرضا، قلت يا إلهي: لم أجد من يحمل عني ما حملتني غيرك، فأشرت إليك، قال صدقت، وأمر بي إلى الجنة. والله أعلم.

* * *

﴿ فصل فى قوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

(قال أبو بكر) : سئل سهل عن معنى ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ **فقال** : البـاء بهـاء الله عـز وجـل، والسين سناء الله عـز وجـل، والميم مجد الله عز وجل.

والله هو الاسم الأعظم الذى حوى الأسماء كلها، وبين الألف واللام منه حرف مكنى غيب من غيب إلى غيب، وسر من سر إلى سر، وحقيقة من حقيقة إلى حقيقة، لا ينال فهمه إلا الطاهر من الأدناس، الآخذ من الحلال قواما ضرورة الإيمان.

والرحمن اسم فيه خاصية من الحرف المكنى بين الألف واللام.

والرحيم هو العاطف على عباده بالرزق فى الفرع، والابتداء فى الأصل رحمة لسابق علمه القديم.

(قال أبو بكر) : أى بنسيم روح الله اخترع من ملكه ماشاء رحمة لأنه رحيم..

وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه: الرحمن الرحيم اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر فنفى الله تعالى بهما القنوط على المؤمنين من عباده.

﴿ سورة فاتحة الكتاب ﴾(*)

﴿ **قال سهل** ﴾ معنى ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ الشكر لله، فالشكر لله هو الطاعة لله، والطاعة لله هى الولاية من الله تعالى، كما قال الله تعالى ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾(١) ولا تتم الولاية من الله تعالى إلا بالتبرى ممن سواه..

---

* يبدو أن رأيه أن البسملة ليست آية من الفاتحة والصحيح أنها آية منها.

١ ـ المائدة : ٥٥.

ومعنى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سيد الخلق المربى لهم، والقائم بأمرهم، المصلح المدبر لهم قبل كونهم وكون فعلهم، المتصرف بهم لسابق علمه فيهم كيف شاء لما شاء، وأراد وحكم وقدر من أمر ونهى لا رب لهم غيره

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أى يوم الحساب.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أى نخضع ونذل، ونعترف بربوبيتك، ونوحدك ونخدمك، ومنه اشتق اسم العبد.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أى على ما كلفتنا بما هو لك، وإليك المشيئة والإرادة فيه، والعلم والإخلاص لك، ولن نقدر على ذلك إلا بالمعونة والتسديد لنا منك، إذ لا حول لنا ولا قوة إلا من عندك.

فقيل له: أليس قد هدانا إلى الصراط المستقيم؟ قال: بلى، ولكن طلب الزيادة منه، كما قال ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[1] فكان معنى قوله اهدنا أمددنا منك بالمعونة والتمكين.

وقال مرة أخرى: اهدنا معناه أرشدنا إلى دين الإسلام الذى هو الطريق إليك، بمعونة منك وهى البصيرة، فإنا لا نهتدى إلا بك كما قال ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[2] أى يرشدنى قصد الطريق إليه.

(**قال**): وسمعت سهلا يحكى عن محمد بن سوّار، عن سفيان، عن سالم عن أبى الجعد، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل «قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ماسأل قال: فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدنى عبدى، فإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى علىَّ عبدى، وإذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى، فهذه الآيات لى ولعبدى بعدها ماسأل وإذا قال إياك نعبد

١- ق: ٣٥. ٢- القصص: ٢٢.

وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم إلى آخره يقول الله عز وجل هذا لعبدى ولعبدى ما سأل»

(قال) سهل: معنى قوله مجدنى عبدى أى وصفنى بكثرة الإحسان والإنعام.

(وقال) سهل: وروى عن مجاهد أنه قال (آمين) اسم من أسماء الله تعالى(*)..

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: «ما حسدتكم النصارى على شيء كما حسدتكم على قولكم آمين».. **وحكى** محمد بن سوَّار، عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن فإذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين فإن الله يرضى على قائلها ويقبل صلاته ويجيب دعاءه»..

وحكى الزهرى عن المسيب، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا قال الإمام ولا الضالين قولوا آمين فإن الملائكة يقولون آمين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»

﴿السورة التى يذكر فيها البقرة﴾(**)

(قال) سهل: ﴿الٓمٓ﴾ اسم الله عز وجل، فيه معان وصفات يعرفها أهل الفهم به، غير أن لأهل الظاهر فيه معانىَ كثيرة.

فأما ما هذه الحروف إذا انفردت، فالألف تأليف الله عز وجل أَلَّف الأشياء كما شاء، واللام لطفه القديم، والميم مجده العظيم.

---

* ليست من القرآن وإنما هى اسم فعل دعاء بمعنى استجب لنا يا رب ما دعوناك.

** كان رحمه الله - كبعض العلماء - يكره أن يقول سورة البقرة وإن كان لا مانع كما ورد فى الخبر وكما أباح الكثير من العلماء ويلاحظ أنه لا يفسر الآيات بحسب ترتيب المصحف بل يقدم ويؤخر ولا يفسر كل الآيات.

(قال) سهل: لكل كتاب أنزله الله تعالى سرّ، وسر القرآن فواتح السور لأنها أسماء وصفات مثل قوله: ﴿ **المص** ﴾ ﴿ **الر** ﴾ ﴿ **المر** ﴾ ﴿ **كهيعص** ﴾ ﴿ **طسم** ﴾ ﴿ **حمعسق** ﴾.

فإذا جمعت هذه الحروف بعضها إلى بعض كانت اسم الله الأعظم، أى إذا أخذ من كل سورة حرف على الولاء، أى على ما أنزلت السورة وما بعدهاعلى النسق ﴿ **الر** ﴾ ﴿ **وحم** ﴾ ﴿ **ونون** ﴾ معناه الرحمن..

وقال ابن عباس والضحاك: ﴿ **الٓمٓ** ﴾ معناه أنا الله أعلم..

وقال عليّ رضى الله عنه: هذه أسماء مقطعة إذا أخذ من كل حرف حرف لا يشبه صاحبه؛ فجمعن كان اسما من أسماء الرحمن، إذا عرفوه ودعوا به كان الاسم الأعظم الذى إذا دعى به أجاب.

(وقال) سهل: ﴿ **الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ** ﴾ الألف الله، واللام العبد، والميم محمد ﷺ، كى يتصل العبد بمولاه من مكان توحيده واقتدائه بنبيه.

(وقال) سهل: بلغنى عن ابن عباس أنه قال: أقسم الله تعالى أن هذا الكتاب الذى أُنزل علي محمد ﷺ هو الكتاب الذى هو من عند الله تعالى، فقال: ﴿ **الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ** ﴾ الألف الله، واللام جبريل عليه السلام، والميم محمد ﷺ فاقسم الله تعالى بنفسه، وجبريل ومحمد عليهما السلام.

وقال: إن الله تعالى اشتق من اسمه الأعظم الألف واللام والهاء فقال: إنى أنا الله رب العالمين، واشتق لهم اسما من أسمائه فجعله اسم نبيه ﷺ وآخر اسم نبيه آدم عليه السلام فقال: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ** ﴾[1] أى الشيطان..

ومعنى ﴿ **لا رَيْبَ فِيهِ** ﴾ اي لا شك فيه ﴿ **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ أى بيانا للمتقين، والمتقون هم الذين تبرؤا من دعوى الحول والقوة دون الله تعالى، ورجعوا إلى اللجأ

١- محمد: ١١.

والافتقار إلى حول الله وقوته في جميع أحوالهم، فأعانهم الله تعالى ورزقهم من حيث لا يحتسبون، وجعلهما فرجا ومخرجا مما ابتلاهم الله به.

(قال) سهل: حول الله وقوته فعله، وفعله بعلمه، وعلمه من صفات ذاته، وحول العبد وقوته دعواه الساعة وإلى الساعة، والساعة لا يملكها إلا الله تعالى، فالمتقون الذين يؤمنون بالغيب، فالله هو الغيب ودينه الغيب، فأمرهم الله عز وجل أن يؤمنوا بالغيب، وأن يتبرؤا عن الحول والقوة فيما أُمروا به ونُهوا عنه، اعتقادا وقولا وفعلا، ويقولوا لاحول لنا عن معصيتك إلا بعصمتك، ولا قوة لنا على طاعتك إلا بمعونتك، إشفاقا منه عليهم، ونظرا لهم من أن يَدَّعُوا الحول والقوة والاستطاعة، كما ادعاها من سبقت له الشقاوة، فلما عاينوا العذاب تبرؤا من ذلك، فلم ينفعهم تبرؤهم حين عاينوا العذاب.

وقد أخبر الله عمن هذا وصفهم في قوله ﴿ **فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ** ﴾[1] أي دعـــواهم لما رأوا بأسنا ﴿ **فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾[2] وكما ادعى الحول والقوة والاستطاعة فرعون، وقال: متى شئت أني أومن، فلما آمن لم يقبل منه، قال الله تعالى ﴿ **آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ** ﴾[3]..

قوله ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ **(قال)** سهل: إن الله تعالى وصف بذلك من جبله(*) بجبلة متعلقا بسبب من سببه، غير منفك عن مراقبته، وهم الذين لم يختاروا قط اختيارا ولا أرادوا شيئًا دونه، ولا اختيارا دون اختياره لهم كما اختاره لهم، ولا أرادوا شيئا منسوبا يغنيهم عنه، ومن غيره هم مبرؤن.

(قال) أبو بكر: قيل لسهل: لقد آتاك الله الحكمة، **فقال**: قد أوتيت إن شـــاء الله الحكمة، وغيبا علمت مـــن غيب سره، فأغناني عن علم ما سواه ﴿ **وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ** ﴾[4] وبإتمام ما بدأني به من فضله وإحسانه..

١- غافر: ٨٥. ٢- الأعراف: ٥. ٣- يونس: ٩١.

* أي طبعه.

٤- النجم ٤٢.

قوله عز وجل ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ : أى بيان من ربهم بنور هدايته القلوب، مشاهدة له وسكونا إليه من نوره الذى أفردهم به فى سابق علمه، فلا ينطقون إلا بالهدى، ولا يبصرون إلا إلى الهدى، فالذين به اهتدوا غير مفارق لهم، فكانوا بذلك مشاهدين، لأنهم غير غائبين عنه، ولو سُئلوا عنه أخبروا، ولو أرادوا لسبقت الأشياء إرادتهم، فهم المفلحون وهم المرشدون إلى الهدى والفلاح بهدايته لهم، والباقون فى الجنة مع بقاء الحق عز وجل.

(قال) سهل: ولقد بلغنى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود انظر لا أفوتك أنا فيفوتك كل شيء، فإنى خلقت محمداً ﷺ لأجلى، وخلقت آدم عليه السلام لأجله، وخلقت عبادى المؤمنين لعبادتى، وخلقت الأشياء لأجل ابن آدم، فإذا اشتغل بما خلقته من أجله حجبته عما خلقته من أجلى..

قوله تعالى ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾[1] (قال) سهل: أى أضدادا فأكبر الأضداد النفس الأمارة بالسوء، المتطلعة إلى حظوظها ومناها بغير هدى من الله.

(وسئل) عن قوله: ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾[2]

فقال: ليس فى الجنة شيء من فرش ولا آنية ولا لباس ولا طيب ولا طير ولا شيء من النبات ولا شيء من الفواكه كلها في الدنيا يشبه ذلك إلا اتفاق الأسماء فقط، وذلك أن رمان الجنة لا يشبه رمان الدنيا قط إلا باتفاق الأسماء فقط، وكذلك التمر والعناب وأشباه ذلك.

وإنما أراد بقوله ﴿ مُتَشَابِهًا ﴾ أى فى اللون، مختلفا فى الطعم، وذلك أن الملائكة تأتى الأولياء في الجنة بالتفاح في الغداء، ثم يأتون به فى العشاء، فيقول الأولياء: هذا ذلك، فيقال لهم: ذوقوه، فإذا ذاقوه أصابوا له غير طعم الأول، فلا يجوز أن تدفع قدرة الله تعالى أن يؤدى التفاح طعم الرمان واللوز والسفرجل.

١- البقرة: ٢٢.
٢- البقرة: ٢٥.

(قال) سهل: وإني لأعــــرف رجلا من الأولياء رأى في الدنيا رمانة كأكبر ما كان بين يدى رجل على شاطئ البحر، فقال له الولي: ما هذا بين يديك؟ فقال: رمانة رأيتها في الجنة فاشتهيتها، فأتاني الله بها، فلما وضعها بين يدى ندمت على استعجالي ذلك في الدنيا، قال له ذلك الرجل: أفآكل منها؟ قال له الرجل: إن قدرت أن تأكل منها فكل، فضرب بيده إليها فأكل أكثرها، فلما رآه يأكل منها أعظمه ذلك، فقال أبشر بالجنة فإني لم أعرف منزلتك قبل أكلك منها، وذلك أنه لا يأكل من طعام الجنة في الدنيا إلا من هو من أهل الجنة.

(قــال) أبو بكر: فقلت لسهل هل أخبرك الآكل من تلك الرمانة ما كان طعمها؟ فقال: نعم، فيها طعم يجمع طعوم الفواكه، ويزيد على ذلك في طعمه لين وبرد ليس هو في شيء من طعوم الدنيا.

(قــال) أبو بكر: فلم أشك ولا من سمع هذه الحكاية من سهل إلا أنه هو صاحب الرمانة والآكل منها..

وسئل عن قوله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(١)

قـال: إن الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه السلام قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، وخلق آدم عليه السلام من طين العزة من نور محمد ﷺ، وأعلمه أن نفسه الأمارة بالسوء أعدى عدو له، وأنه خلقها ليسارها عليه بمعلومه فيها خواطر وهمما، يأمرها بإدامة الافتقار واللجأ إليه، إن أبدى عليها طاعة قالت أعنّى، وإن حركت إلى معصية قالت أعصمني، وإن حركت إلى نعمة قالت أوزعني، وإن قال لها اصبرى على البلاء قالت صبرني، ولا يساكن قلبه أدنى وسوسة لها دون الرجوع عنها إلى ربه، وجعل طبعها في الأمر ساكنا، وفي النهي متحركا، وأمره بأن يسكن عن المتحرك، ويتحرك عن الساكن بلا حول ولا قوة إلا بالله، أي لا حول له عن معصيته إلا بعصمته، ولا قوة له على طاعته إلا بمعونته.

١- البقرة: ٣٠.

ثم أمره بدخول الجنة والأكل منها رغدا حيث شاء، ونص عليه النهى عن الأكل من الشجرة.

فلما دخل الجنة ورأى ما رأى، قال: لو خُلدنا وإنما لنا أجل مضروب إلى غاية معلومة، فأتاه إبليس من قبل مساكنة قلبه بوسوسة نفسه فى ذلك، فقال: هل أدلك على شجرة الخلد التى تتمناها فى هذه الدار، وهى سبب البقاء والخلود ﴿ وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾(١) فكانت دلالته هذه غرورا وألحق الله به عز وجل وسوسة العدو لسابق علمه فيه، وبلوغ تقديره وحكمه العادل عليه، وأول نسيان وقع فى الجنة نسيان آدم عليه السلام، وهو نسيان عمد لا نسيان خطأ يعنى ترك العهد(*).

(قال) سهل: بلغنى عن بعض التابعين أنه قال: النسيان فى كتاب الله عز وجل على وجهين: الترك كما قال فى سورة البقرة ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾(٢) أي نتركها فلا ننسخها.

ومثله قوله ﴿ وَلاَ تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾(٣) أى لا تتركوا الفضل بينكم، وكذلك فى طه ﴿ فَنَسِيَ ﴾(٤) يعنى ترك العهد.

ومثله فى تنزيل السجدة ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾(٥) أى تركناكم فى العذاب كما تركناكم من العصمة عند الإقامة على الإصر.

قال: والوجه الآخر من النسيان هو الذى لا يحفظ فيذهب من ذكره، كما

١– الأعراف: ٢٠.

* يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ ١١٥ من سورة طه.

٢– البقرة: ١٠٦.

٣– البقرة: ٢٣٧.

٤– طه: ١١٥.

٥– السجدة: ١٤.

قال في الكهف ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾[1] أي لم أحفظ ذكره، وذلك أن الله تعالى جعل للشيطان شركة مع نفس الجبلة فيما هو من حظوظها، الذى هو شيء غير الله تعالى، وقول موسى للخضر ﴿ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾[2] أي ذهب مني ذكره.

وقال في سبح ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾[3] أي سنحفظك فلا تنسى، وهذا لإطراقه إلى تدبير نفسه، ولم تكن فكرته اعتبارا فكانت تكون عبادة، وإنما كانت فكرة بطبع نفس الجبلة(*).

وهذا حكم الله تعالى به من قبل خلق السموات والأرض، أنه لا يرى بقلبه عنده شيئا وهو غيره مساكنا إياه إلا سلط عليه إبليس يوسوس في صدره إلى نفسه بالهوى في معنى دعته إليه، أو يرجع باللجأ إلى ربه والاعتصام به، فستر الله بذكره في أوطانه عند الإقامة على النهى، حتى تم سابق علم الله إليه فيما نهاه عنه أن سيكون ذلك منه، وصار فعله علم سنة في ذريته إلى يوم القيامة.

ولم يرد الله معاني الأكل في الحقيقة، وإنما أراد معاني مساكنة الهمة مع شيء هو غيره، أي لا يهم بشيء هو غيري، فآدم صلوات الله عليه لم يعتصم من الهمة والفعل في الجنة، فلحقه ما لحقه من أجل ذلك، وكذلك من ادعى ما ليس له، وساكنه قلبه ناظرا إلى هوى نفسه فيه لحقه الترك من الله عز وجل، مع ما حل عليه نفسه، إلا إن رحمه فيعصمه من تدبيره، وينصره على عدوه وعليها يعني إبليس.

فأهل الجنة معصومون فيها من التدبير الذى كانوا به في دار الدنيا، فآدم صلوات الله عليه لم يعصم من مساكنة قلبه تدبير نفسه بالخلود لما أدخل الجنة، ألا ترى أن البلاء دخل عليه من أجل سكون القلب إلى ما وسوست به نفسه، فغلب الهوى والشهوة على العلم والعقل والبيان ونور القلب لسابق القدر من الله تعالى حتى انتهى، كما قال النبي ﷺ «إن الهوى والشهوة يغلبان العلم والعقل..».

١- الكهف: ٦٣. ٢- الكهف: ٧٣. ٣- الأعلى: ٦.

* أصل الطبع.

سئل عن قوله ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾(١) ما هذه الكلمات التى تلقاها من ربه.

(قال) سهل: أخبرني محمد بن سوار عن أبيه، عن الثورى، عن عبد العزيز ابن رفيع، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لما ذكر آدم صلوات الله عليه خطيئته، قال يارب: أرأيت معصيتك التي عصيتك أشيء كتبته عليَّ قبل أن تخلقنى أم شيء ابتدعتَه.

قال: بل شيء كتبته عليك أنك ستفعله بترك العصمة منى قبل أن أخلقك بخمسين ألف عام.

قال آدم صلوات الله عليه: فكما كتبته عليّ فاغفر لى، فإنا قد ظلمنا أنفسنا، أى بالإقامة على همة النفس والسكون إلى تدبيرها، وتبنا عن الرجوع إليه، وإن لم تغفر لنا أى فى الدنيا، وترحمنا فيما بقى من أعمارنا لنكونن من الخاسرين، أى من الأشقياء المعذّبين فى الآخرة.

فكانت هذه الكلمات التى قال الله تعالى ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

وروى عن النبىﷺ: أنه قال آدم لموسى عليهما السلام بكم تجد الخطيئة كتبت عليّ من قبل أن أخلق، قال بأربعين ألف عام، قال النبىﷺ فحج آدم موسى عليهما السلام(*)..

وسئل عن قوله ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾(٢).

١– البقرة: ٣٧.

* ذلك أن موسى لام آدم عليهما السلام قائلا له إنك أخرجتنا من الجنة فقال آدم ما قال.

٢– البقرة: ٣٠.

فقال: أي نطهر انفسنا لك بقولنا ما ألهمتنا تفضلا منك علينا تباركت ربنا..

وسئل عن قوله ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[1] ما هذه الرهبة التي أمرهم بها.

فقال: أراد موضع نور النفس من بصر القلب والمعرفة من كلية القلب، لأن المكابدة والمجاهدة في الإيمان.

فإذا سكن القلب من التقوى إلى الغير انكشف نور اليقين، ووصل العبد ساكنا بالإيمان لله توحيدا على تمكين، أعني سكون قلبه إلى مولاه، فصار نور اليقين يكشف عن علم اليقين، وهو الوصول إلى الله تعالى، فلا ذلك اليقين بنور اليقين إلى عين اليقين ولا مخلوق، لأنه نور من نور ذات الحق، لا بمعنى الحلول ولا بمعنى الجمع، ولا بمعنى الاتصال، ولكن معنى اتصال العبد بمولاه من موضع توحيده وطاعته بالله ورسوله.

فعلى قدر قوته من البصر بالله، يدرك التقوى لله، والرهبة إياه.

وأصل التقوى مباينة النفس، فيباينها في ذلك، ولا يساكنها شيئا من ملاذ هواها، ولا ما تدعوه إليه من حظوظها التي لم تتعذر فيها.

واعلم أن الناس يتفاضلون في القيامة على قدر نور يقينهم، فمن كان أوزن يقينا كان أثقل ميزانا، وكان من دونه في ميزانه..

قيل بم تعرف صحة يقين العبد؟ **قال**: بقوة ثقته بالله تعالى، وحسن ظنه به، فالثقة بالله مشاهدة اليقين، وعين اليقين وكليته وكماله ونهايته الوصول إلى الله عز وجل..

فقيل له ما معنى قوله ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾[2] **قال**: أراد بذلك موضع علمه

١- البقرة: ٤٠.

٢- البقرة: ٤١.

السابق فيهم، أي لا تأمنوا المكر والاستدراج(*) فتسكن قلوبكم إلى ملاحظة سلامتكم فى الدنيا مع الإقامة على التقصير، وإلى حلمى عنكم فى المعاجلة لكم فى نفس أمنكم واغتراركم وغفلتكم فتهلكوا.

وقال النبى ﷺ: «لو زاد فى اليقين عيسى ابن مريم لمشى على الهواء كما مشى على الماء».

وقد مشى نبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء على الهواء لقوة نور يقينه الذى أعطاه الله تعالى من نوره، زيادة نور إلى نور كان من الله تعالى.

وقوله ﷺ: «لو ثبتت المعرفة على قلب داود صلوات الله عليه ولم يغفل ما عصى فلعمرى إن المعرفة أدرجت فى أوطانها لتجرى عليه ما كان من علم الله سابقا فيه» فلا بد من إظهاره على أوصافه إذا كان على حتم لا يتغير العلم إلى غير ما علم العالم جل وعز، فإنما ستر الله عز وجل فى أوطان داود صلوات الله عليه نور اليقين، الذى به يبصر عين اليقين، وكليته، ليتم حكم الله تعالى فيه.

الا ترى أن العبد إنما ينظر إلى الحق بسبب لطيفة من الحق بوصولها إلى قلبه، هى من أوصاف ذات ربه ليست بمكونة ولا مخلوقة ولا موصولة ولا مقطوعة، وهى سر من سر إلى سر، وغيب من غيب إلى غيب، فبالله اليقين، والعبد موقن بسبب منه إليه على قدر ما قسم الله له من الموهبة، وجملة سويداء قلبه(**) وللإيمان وطنان وهو ما سكن فلم يخرج، ونور اليقين خطرات فإذا سكن واستقر صار إيمانا، واليقين خطرات بعده فهو فى المزيد هكذا حاله أبدا..

وسئل عن قوله ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾[1] الآية، فقال: أى لا تلبسوا

---

* يقال استدرجه: أمهله ولم يباغته ولكن لم يهمله.

** حبة القلب.

١- البقرة: ٤٢.

بأمر الدنيا أمر الآخرة، وأراد لا يحل لأهل الحق كتمان الحق عن أهله خاصة، وعمن يرجون هدايته إلى الله عز وجل.

فأما أهله فإنهم يزدادون بصيرة به، وأما من كان من غير خاصة أهله فإن قول الحق لهم هداية وإرشاد إلى الله تعالى..

وسئل عن قوله ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ** ﴾(١) الآية **فقال**: الصبر ههنا الصوم، والصلاة وصلة المعرفة، فمن صحت له الصلاة وهى الوصلة(*) لم يبق له على الله تهمة، إذ السؤال تهمة، ولا يبقى السؤال مع الوصلة، الا ترى إلى قوله ﴿ **وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾(٢)..

وسئل عن قوله ﴿ **وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾(٣).

أى لو جاءت بكل شىء من الأعمال من كبير او صغير، أو كثير او قليل، لم يتقبل ذلك منها ولا شىء منه عند حصولهم فى القيامة والعدل المِثْل، الا ترى إلى قوله ﴿ **أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا** ﴾(٤) أى مثله وجزاؤه..

وسئل عن قوله ﴿ **فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ** ﴾(٥) **قال**: الصاعقة الموت، والصاعقة كل عذاب مهلك ينزله الله تعالى بمن يشاء من عباده، فينظرون إلى ذلك عيانا ويريه غيرهم فيهم اعتبارا وتحذيرا..

وسئل عن قوله ﴿ **لاَّ شِيَةَ فِيهَا** ﴾(٦) فقال: أى لا علامة فيها تشينها، ولا لون يخالف لون سائر جسدها، وتلك حكمة من صانعها وعبرة لمن اعتبر بها، وزاد لإيمانه وتوحيده يقينا..

١، ٢- البقرة: ٤٥.

* التى تصله بالله تعالى.

٣- البقرة: ٤٨.

٤- المائدة: ٩٥.

٥- البقرة: ٥٥.

٦- البقرة: ٧١.

قوله ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾[1] أى تنازعتم فيها..

قوله ﴿ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2].

(قال) سهل: هذا توبيخ من الله عز وجل لهم(*) بما كان من آبائهم من قتلهم الأنبياء، ألا ترى أنه لم يَقتل المخاطَبون بهذه الآية نبيا فى وقت محمد ﷺ، ولا كان فى وقتهم نبى غيره، فواجههم بفعل من كانوا من نسلهم ومن فوقهم، كما واجه النبى ﷺ بما خاطب به أمته، وذلك قوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾[3]

وكذلك معنى قوله ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾[4] لأى علة تسألون محمدا ﷺ وهو أعلم بذلك..

وسئل عن قوله ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾[5] **فقال**: أى على الفتوى من غير علم من السنة والشرع، والعبودية بعمل أهل النار..

قوله تعالى ﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[6] أى بعلم الله السابق فيه قبل وقوع ذلك الفعل من الفاعل..

قوله تعالى ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾[7] أراد فيما تعبدكم به لا فيما يستحقه الحق فى ذاته عز وجل..

قوله ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً ﴾[8] قال الرجز هو العذاب..

قوله تعالى ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[9]

١- البقرة: ٧٢.
٢- آل عمران: ١٨٣ مع العلم أن الراوى يتكلم عن سورة البقرة.
* أى لليهود.
٣- الطلاق: ١.
٤- النبأ: ١، ٢.
٥- البقرة: ١٧٥.
٦- البقرة: ١٠٢.
٧- آل عمران: ١٠٢ مع أنه يتكلم عن سورة البقرة.
٨- البقرة: ٥٩ ولم يرتب الراوى الآيات.
٩- البقرة: ١١٢.

(قال) سهل: أى دينه، كما قال في سورة النساء ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ** ﴾[1] أى ممن أخلص دينه لله وهو الإسلام وشرائعه، **وقال**: أى في لقمان ﴿ **وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾[2] يعنى يخلص دينه لله..

وسئل عن قوله ﴿ **لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ** ﴾[3] يعنى انهم يتمنون على الله الباطل، ميلا إلى هوى نفوسهم بغير هدى من الله، يعنى اليهود..

قوله ﴿ **وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ** ﴾[4] **قال**: القدس هو الحق، يعنى الذى طهر من الأولاد والشركاء والصاحبة..

قوله ﴿ **وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ** ﴾[5] **قال**: الأمة الجماعة، ومسلمة لك أى مسلمة لأمرك ونهيك بالرضا والقبول منك..

قيل له ما معنى ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ** ﴾[6] **قال**: أى تلك جماعة مضت لسابق علم الله فيهم..

قوله ﴿ **وَسَطًا** ﴾[7] أى عدلا، فالمؤمن مصدق لعباده، كما قال: ﴿ **يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[8] أى يصدق الله ويصدق المؤمنين.

قوله تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[9] أى شديد الرحمة والرأفة بهم، يعنى الرفق والحلم عنهم لعلمه بضعفهم، وأن لا حال لهم إليه إلا به ومنه.

﴿ **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا** ﴾[10] أراد أن الله تعالى يولى أهل كل ملة إلى الجهة التى يشاء..

قوله تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾[11] قال: هم الذين صار الصبر لهم عيشا وراحة ووطنا، يتلذذون بالصبر لله تعالى على كل حال..

١– النساء: ١٢٥. ٢– لقمان: ٢٢. ٣– البقرة: ٧٨.
٤– البقرة: ٨٧، ٢٥٣. ٥– البقرة: ١٢٨. ٦– البقرة: ١٣٤.
٧– البقرة: ١٤٣. ٨– التوبة: ٦١. ٩– البقرة: ١٤٣.
١٠– البقرة: ١٤٨. ١١– البقرة: ١٥٥.

قوله ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1].

(**قال**) سهل: أراد بالصلاة عليهم الترحم عليهم، أي ترحم من ربهم.

وقال النبيﷺ «اللهم صل على آل أبى أوفى» حين أتوه بالصدقات، أي ترحم عليهم.

(**وقال**) سهل: حدثنا محمد بن سوَّار، عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال: الصلاة على ثلاثة أوجه:

أحدها: الصلاة المفروضة بالركوع والسجود، كما قال ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[2] أى خذ شمالك بيمينك فى الصلاة، متذللا متخشعا بين يدى الله تعالى، كذا روى عن على رضى الله عنه(*).

والوجه الثانى: الترحم، والوجه الثالث: الدعاء، مثل الصلاة على الميت، وقد قال النبىﷺ: «إذا دعى أحدكم إلى الطعام فليجب فإن كان صائما فليصل» أى فليدع لهم بالبركة.

وقال ﷺ: فى حديثه «وصلت عليكم الملائكة» أى ترحمت عليكم.

وقال ﷺ فى ذلك الحديث: «وإذا أكل عنده الطعام صلت عليه الملائكة حتى يمسى» أى دعت له الملائكة.

(**قال**) سهل: الصلاة على وجهين: أحدهما: الاستغفار، والآخر: المغفرة.

فأما الاستغفار فقوله ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[3] أى استغفر لهم، وصلوات الرسول أى استغفار الرسول.

وأما المغفرة فقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾[4] أى يغفر لكم

١- البقرة: ١٥٧.

٢- الكوثر: ٢.

* وهذا أحد التفاسير للآية.

٣- التوبة: ١٠٣.

٤- الأحزاب: ٤٣.

﴿ وَمَلائِكَتُهُ ﴾ أى يستغفرون لكم، ومثله ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾(١) أى إن الله يغفر للنبى، وتستغفر له الملائكة، ثم قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾(٢) أى استغفروا له، وفى البقرة ﴿ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾(٣) أى مغفرة من ربهم..

قوله ﴿ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾(٤) أى الطرد لهم من رحمة الله، والإبعاد، وكذلك كل ملعون مطرود..

قوله ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾(٥) أى الوصلات التى كانوا يتواصلون بها فى الدنيا، وتنعقد المودات بينهم من أجلها من غير طاعة الله ورسوله وغير مرضاته..

قوله ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾(٦) **قال**: بالدعاء ﴿ وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾(٧) أى يصدقونى، فأنا حيث ما دعانى مخلصا لا آيسا ولا قنطا..

قوله ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾(٨) **قال**: هو الرفيق إلى ذكر الله تعالى خوفا، إذ لا زاد للمحب سوى محبوبه، وللعارف سوى معروفه..

وقال فى قوله ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾(٩) **قال**: الزاد والراحلة، ثم **قال**: أتدرون ما الزاد والراحلة؟ فقالوا لا، **فقال**: الزاد الذكر، والراحلة الصبر.

قال: وقد صحبه رجل فى طريق مكة فلم يجد يومين شيئا فقال يا أستاذ أحتاج إلى قوت **فقال**: القوت هو الله، فقال: لا بد من قوت يقوم به الجسد، **فقال**: الأجساد كلها بالله عز وجل، وأنشد:

١، ٢- الأحزاب: ٥٦. ٣- البقرة: ١٥٧.
٤- البقرة: ١٦١. ٥- البقرة: ١٦٦. ٦، ٧- البقرة: ١٨٦.
٨- البقرة: ١٩٧. ٩- آل عمران: ٩٧ وإن كان يفسر سورة البقرة.

يا حب زدني سقاك الشوق مـــن ديم(*) * يزيدني صوبها(**) الأحزان والكربا
ودام لي لـــــوعة في القلب تحرقنـــي * إني متى ازداد حبا زادني طــــــربا

ثم قال: الدنيا هي التي قطعت المنقطعين إلى الله عن الله عز وجل.

وقـــال: عيش الملائكة في الطاعة، وعيش الأنبياء بالعلم، وانتظار الفرج، وعيش الصديقين بالاقتداء، وسائر الناس في الأكل والشرب..

قـــوله ﴿ **وَاتَّقُـونِ يَا أُولِي الأَلْبَـابِ** ﴾[1] أي يا أهل الفـهم عَنَى به العـقـول السليـمـة، **وقـــال**: إن الله تعالى أمرهم أن يتقوه على مقدار طاقات عقولهم، بما خصهم به من نور الهداية بذاته، والقبول منه، وإفرادهم بالمعنى الذي ركبه فيهم، وعلمه بهم قبل خلقهم فذكرهم تلك النعمة عليهم، ودعاهم بتلك النعمة التي سبقت لهم إلى الاعتراف بنعمة ثانية بعد الموهبة الأزلية، وهي حقيقة المعرفة وقبول العلم بالعمل خالصا له..

قـيل: فما معنى التقوى وحقيقتها؟ **قـال**: الحقيقة لله عز وجل أن تعاجل لدى العمل القليل بالموت، وكذا الخطايا بالعقوبة، فيعرف ذلك فيتقيه، فلا يتكل على شيء سواه..

قيل له: قد اختلف أسباب تقوى الخلق، **قال**: نعم كما اختلف أفعالهم.

(قال) أبو بكر فقلت: لقد ثبت في القرآن أن تقوى كل امرئ على حسب طاقـتـه، **فـقــال**: نعــــم، قـــــد قـــال الله تعالى ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا** ﴾[2] فردهم إلى مافي طاقتهم..

فقلت له: لقد قال الله تعالى ﴿ **اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِه** ﴾[3].

* الديم جمع ديمة: المطر يطول زمانه في سكون.
** المطر بقدر ما ينفع ولا يؤذي.

١– البقرة: ١٩٧. ٢– التغابن: ١٦. ٣– آل عمران: ١٠٢.

(قــال) سهل: أما أصحابنا فيقولون: إن هذا الخطاب لقوم مخصوصين بأعيانهم، لأنهم طولبوا بما لم يطالب به الأنبياء عليهم السلام [كذا](*)، وكما قال إبراهيم ويعقوب لأولادهما ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١) وإنما تعبَّد الله الخلق على حسب طاقاتهم.

والذين قيل لهم اتقوا الله حق تقاته طولبوا بالتقوى على حسب معرفتهم بالله، فكان معنى ذلك، أي اتقوا الله حق تقاته ما قدرتم عليه، لا أنه رخص في ترك التقوى بتلك الآية ﴿وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٢) أي مسلمون لأمر الله بكل حال مفوضون إليه، والآخرون ردوا إلى الاجتهاد، فافهم الفرق بين الاثنين في الخطاب، إذا كان اللفظ متفقا والمعنى مختلفا خاص وعام.

(قال) أبو بكر: ثم قال سهل: لو دعا المتقون على المسرفين، لهلك الأولون والآخرون منهم، ولكن الله جعل المتقين رحمة للظالمين، ليستنقذهم بهم، فإن أكرم الخلق على الله عز وجل المتقون، كما قال الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٣) فمن أراد كرامة الله عز وجل فليتقه، فإنه ينال بالتقوى كرامته والدخول إلى جنته، ويسكن في جواره ويفوز فوزا عظيما، وقد قال النبي ﷺ: «من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن اتقى الله في سره قربه وأدناه»..

قوله ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي العلم والعبادة خالصا ﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾(٤) أي الرضا، كما قال ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾(٥)..

وسئل عن قوله ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا﴾(٦) ماهذا البر؟ فقال: يعني أن لا تصلوا القرابة، لعلة اليمين، فقيل له: لقد قال

---

* ولذا قيل إن الآية منسوخة في حق البشر.

١- البقرة: ١٣٢.　٢- آل عمران: ١٠٢.　٣- الحجرات: ١٣.　٤- البقرة: ٢٠١.

٥- المائدة: ١١٩.　٦- البقرة: ٢٢٤.

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾[١] فقال: يعني ليس من التقوى أن لا تفعلوا غير ذلك، ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾[٢] الآية، ألا تراه كيف قال: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾[٣] يعني اليهود، كانوا يامرون إخوانهم من الرضاعة[*] بطاعة الله تعالى، واتباع النبي ﷺ، وكانوا لا يفعلون ذلك..

قوله ﴿ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾[٤] أي مناكحة.

قوله ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾[٥] أي علم ما في غيب أنفسكم قبل خلقه لكم من فعل حركة أو سكون بخير، أمر به وأعان على فعله، وفعل ما نهى عنه، ولم يعصم من نزل به، وخلى من شاء مع الهوى لإظهار فعل ما نهى عنه، ولم يعصم عدلا منه وحكما، فكان معنى قوله ﴿ مَا فِي أَنفُسِكُمْ ﴾ اى مالم تفعلوه، وفي أنفسكم أي ما ستفعلونه، فاحذروه أي اضرعوا إليه فيه، حتى يكون هو الذي يتولى الأمر بالمعونة والتوفيق على الطاعة، ويعصم عن النهي بالنصر والتأييد، ألا ترون إلى قول عمر وابن مسعود رضي الله عنهما «اللهم إن كنا عندك في أم الكتاب أشقياء محرومين فامح ذلك عنا وأثبتنا سعداء مرحومين، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب»..

قوله ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾[٦] أي شديد الخصومة بالباطل، وقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «أبغض الرجال إلى الله تعالى الألد الخصم»..

قوله ﴿ وَزُلْزِلُوا ﴾[٧] أي أرادوا به وخوفوا به وحذروا مكر الله عز وجل..

وسئل عن قوله ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[٨] أكان قولهم استبطاءً للنصر؟

١، ٢– البقرة: ١٧٧. ٣– البقرة: ٤٤.

* إذ كان فيهم رضعاء من أبناء الأنصار.

٤، ٥– البقرة: ٢٣٥. ٦– البقرة: ٢٠٤. ٧، ٨– البقرة: ٢١٤.

(قال) سهل: لا، ولكن لما أيسوا من تدبيرهم قالوا متى نصر الله، فلما علم الله تعالى من تبريهم من حولهم وقوتهم وتدبيرهم لأنفسهم وإظهارهم الافتقار إليه وأن لا حيلة لهم دونه أجابهم بقوله ﴿ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾(١)

(قال) سهل البلاء والعافية من الله عز وجل، والأمر والنهى منه، والعصمة والتوفيق منه، والثواب والعقاب منه، والأعمال منسوبة إلى بنى آدم، فمن عمل خيرا وجب عليه الشكر ليستوجب به المزيد، ومن عمل شرا وجب عليه الاستغفار ليستوجب به الغفران.

والبلوى من الله على وجهين: بلوى رحمة، وبلوى عقوبة، فبلوى الرحمة يبعث صاحبه على إظهار فقره إلى الله عز وجل وترك التدبير، وبلوى العقوبة يبعث صاحبه على اختياره منه وتدبيره.

(فسئل) سهل: الصبر على العافية أشد أم على البلاء؟

فقال: طلب السلامة فى الأمن أشد من طلب السلامة فى الخوف..

وقال فى قوله: ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾(٢) قال: يؤمن بالله أن بلواه من الله، يهد قلبه لانتظار الفرج منه..

قوله ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾(٣) أى على أداء الفرائض، لأن البر الإيمان، وأداء الفرائض فرعه، والتقوى السنة فلا يتم فرض إلا بالسنة، ونهى عن التعاون على الإثم وهو الكفر والنفاق والعدوان، وهو البدعة والخصام، وهما لعبان فنهوا عن اللعب، كما أمروا بالبر وهو الفرض والسنة، وأخذ النفس بالصبر على ذلك كله خالصا لله فيه..

قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾(٤) من هؤلاء الملأ؟

١- البقرة: ٢١٤. ٢- التغابن: ١١. ٣- المائدة: ٢. ٤- البقرة: ٢٤٦.

(قال) سهل: أراد بذلك الرؤساء ألا ترون فى قول رسول الله ﷺ: وقد سمع رجلا بعد وقعة بدر وهو يقول: إنما قتلنا يوم بدر عجائز صلعا، فقال رسول الله ﷺ «أولئك الملأ من قريش» يعنى الأشراف والسادات..

وسئل عن قوله ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾(١)

فقال: هذه أعظم آية في كتاب الله تعالى، وفيها اسم الله الأعظم، وهو مكتوب بالنور الأخضر فى السماء سطرا واحدا من المشرق إلى المغرب، كنت رأيته كذلك فى ليلة القدر مكتوبا وأنا بعبادان(*)، لا إله إلا هو الحى القيوم، فمعنى الحى القيوم: القائم على خلقه كل شيء بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم، المجازى بالإحسان إحسانا، وبالسيئات غفرانا، وبالنفاق والكفر والبدعة عذابا.

فمن قال: لا إله إلا الله فقد بايع الله، فحرام عليه إذا بايعه أن يعصيه فى شيء من أمره ونهيه، فى سره وعلانيته، أو يوالى عدوه أو يعادى وليه..

قوله ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾(٢) فالسِّنة النعاس، وقال السنة ماخالط القلب من النوم.

(قال سهل) فى قول الله تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٣) أي ولاية الرضا، فهو المتولى لهم بما سبق لهم من هدايته، ومعرفته إياهم على توحيده، وذلك لعلمه بتبرئهم من كل سبب إلا من خالقهم فأخرجوا من الظلمات إلى النور، ومن الكفر والضلالة والمعاصى والبدع إلى الإيمان، وهو النور الذى أثبته الحق عز وجل فى قلوبهم، وهو نور بصيرة اليقين الذى به يستبصرون التوحيد والطاعة له فيما أمر ونهى، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾(٤)

قوله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾(٥) أى الشيطان.

١، ٢– البقرة: ٢٥٥.

* من بلاد فارس.

٣– البقرة: ٢٥٧. ٤– النور: ٤٠. ٥– البقرة: ٢٥٧.

(قال سهل): ورأس الطواغيت كلها النفس الأمارة بالسوء، لأن الشيطان لا يقدر على الإنسان إلا من طريق هوى النفس، فإن أحس منها بما تهم به ألقى إليها الوسوسة..

وسئل عن قوله ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾(١) أفكان شاكا في إيمانه حتى سأل ربه أن يريه آية ومعجزة ليصح معها إيمانه؟

(فقال) سهل: لم يكن سؤاله ذلك عن شك، وإنما كان طالبا زيادة يقين إلى إيمان كان معه، فسأل كشف غطاء العين بعيني رأسه ليزداد بنور اليقين يقينا في قدرة الله، وتمكينا في خلقه.

الا تراه كيف قال(*)؟ ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ(**) ﴾(٢) فلو كان شاكا لم يجب ببلى، ولو علم الله منه الشك وهو أخبر ببلى، وستر شكه، لكشف الله تعالى ذلك، إذ كان مثله بما لا يخفى عليه، فصح أن طلب طمأنينته كان على معنى طلب الزيادة في يقينه فقيل: إن أصحاب المائدة طلبوا الطمأنينة بإنزال المائدة، وكان ذلك شكا فكيف الوجه فيه؟.

فقال: إن إبراهيم عليه السلام أخبر أنه مؤمن، وإنما سأل الطمأنينة بعد الإيمان زيادة.

وأصحاب المائدة أخبروا أنهم يؤمنون بعد أن تطمئن قلوبهم، كما قال ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾(٣).

فاخبروه أن علمهم بصدقة بعد طمأنينتهم إلى معاينتهم المائدة يكون ابتداء إيمان لهم..

قال أبو بكر: وسمعته مرة أخرى يقول: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾(٤) أي لست آمن أن يعارضني عدو لك إذا قلت ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾(٥) فيقول:

١، ٢– البقرة: ٢٦٠.

* أي قال الله تعالى.

** قال إبراهيم بلى وهي للإيجاب بعد همزة الاستفهام المنفي.

٣– المائدة: ١١٣.

٤– البقرة: ٢٦٠.

٥– البقرة: ٢٥٨.

أنت رأيته يحيى ويميت، فيطمئن قلبى إلى الإجابة ينعم إذا شاهدت ذلك، ولذلك قال النبى ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة»

(**وقال سهل**) وفيها وجه آخر: أنه سأله أن يريه إحياء الموتى طمأنينة له فى أنه اتُّخذ خليلا.

(**قال سهل**) وفيه وجه آخر معناه أن سؤالى إياك لا أستحق بـــه عليك إلا ما تحققه لى، وذلك موقف الخواص من خلقه، فسؤالى إياك أن تريني إحياء الموتى ليطمئن قلبى منى، وقد كان فى الجاهلية يسمى الخليل..

قلنا: فقوله ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أى خلتى هذا لما أعلمه أنك تحيى وتميت..

وسئل سهل إذا بلغ العبد إلى كفاح العيان(*) ما علامته فى البيان.

فقال: يغلب بطرد الشيطان، وهو أن النفس فى معاينة الهوان، ولا سبيل إليه للنفس والشيطان بعزلهما عن الشيطان إلا بحفظ الرحمن، وقال:

كفايات الكفاح بحسن ظنى ... كنسج العنكبوت بباب غار

وحسن الظن جاوز كل حجب ... وحسن الظن جاوز نور نار

علامات المقرب واضحات ... بعيد أم قريب ليل سار

فمن كان الإله له عيانا ... فلا نوم القرار إلى النهار

تقاضاه الإله لهم ثلاثا ... فهل من سائل من لطف بار

متى نجس الولوغ ببكر ود ... فدع شقى النباح بباب دارى

ألا يا نفس والشيطان اخسوا ... كبطلان الوساوس والغمار

* أى مكاشفة.

قـــــــوله: كفايات الكفـــاح بحســـن ظني، كأنــــــه أشار إلى قولـه ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ ﴾(١) فقال رسول اللهﷺ: بلى يا رب.

وكـذلك لما أنزلت ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾(٢) قال رسول اللهﷺ بلى يا رب.

ومن طريق فهمهم القرآن أولم يكف بربك يا محمد بنصرتك في الدنيا على أعدائك بالقتل والهزيمة، وفي العقبى بالمقام المحمود والشفاعة، وفي الجنة باللقاء والزيارة..

وقـــــوله: كنسج العنكبوت بباب غار: وذلك أن غار العارفين هو السر، واطلاع رب العالمين إذا بلغوا إلى مقام الكفاح، وهو عيان العيان بعد البيان.

فليس بينهم وبين الله تعالى إلا حجاب العبودية، بنظره إلى صفات الربوبية والهوية والإلهية والصمدية إلى السرمدية بلا منع ولا حجاب، مثل من طريق الأمثال كنسج العنكبوت حول قلبه، وسره فؤاده بلطف الربوبية، وكمال الشفقة بلا حجاب بينه وبين الله تعالى، كنسج العنكبوت بباب غار رسول اللهﷺ، صرف الله به جميع أعدائه من صناديد قريش بدلالة إبليس إياهم عليه.

كذلك أهل المعرفة إذا بلغوا إلى مقام العيان بعد البيان، انقطع وصرف وساوس الشيطـــان وسلطان النفـــس، وصـــار كيـــدهم ضعيفا، بيانه قوله ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾(٣) يعنـــي صـــار عليهم ضعيفا، كما قال ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾(٤) لأن العبد إذا جاوز بحسن ظنه جميع الحجب حتى لا يكون بينه وبين الله حجاب، فليس للنفس والشيطان والدنيا دخول على قلبه وفؤاده بالوساوس.

١- فصلت: ٥٣.
٢- التين: ٨.
٣- النساء: ٧٦.
٤- الحجر: ٤٢.

ولذلك قال النبي ﷺ «رأيت البارحة عجبا عبد بينه وبين الله حجاب فجاء حسن ظنه بالله فأدخله الحجاب»..

وقوله: وحسن الظن جاوز نور نار؛ كأنه أشار إلى متابعة الرسول شرفا بتفضيله على الخليل والكليم (إبراهيم وموسى) لأن الأنبياء والأولياء فى مقام رؤية النار والنور على مقامات شتى.

فالخليل رأى النار وصارت عليه بردا وسلاما، والكليم رأى النار نورا، بيانه قوله: ﴿**إِنِّي آنَسْتُ نَارًا**﴾[1] وكان فى الأصل نورا مع قوله ﴿**أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ**﴾[2] يعنى موسى فى وسط النور، فاشتغل بالنور، فعاتبه فقال: لا تشتغل بالنور فإنى منور النور بيانه ﴿**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ**﴾[3].

وأما الحبيب ﷺ فأراه النار والنور، وجاوزه حجاب النار والنور، ثم أدناه بلا نار ولا نور، حتى رأى فى دنوه الأدنى منوِّر الأنوار بيانه قوله ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ**﴾[4] فرفع الحبيب عن مقام الخليل والكليم ومقامات جميع الأنبياء المقربين، حتى صار مكلّما بالله بلا وحى ولا ترجمان أحد، بيانه قوله ﴿**فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ**﴾[5] يعنى قال الحبيب للحبيب، سرا، وعلمه وأكرمه بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة(*)..

وقوله: علامات المقرب واضحات: أراد أن جميع الأنبياء والملائكة لهم قربة، ومحمد ﷺ أقربهم قربة على وزن أفعل، ويقول: قريب وأقرب(**).

فالقريب يدخل الفهم والوهم والتفسير، وأما الأقرب خارج عن الفهم والوهم والتفسير، وما بعده لا يدخل فى العبارة ولا فى الإشارة.

١- القصص: ٢٩. ٢- النمل: ٨. ٣- طه: ١٢. ٤- النجم: ١١. ٥- النجم: ١٠.

* ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه...**﴾ إلخ.

** فهو افعل تفضيل.

وذلك أن موسى عليه السلام لما سمع ليلة النار(*) نداء الوحدانية من الحق فقال: إلهى أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك، فنادى الكليم من مكان القريب والبعيد أنه قريب، ولم يكن هذا فى وصف الرسول، حينئذ صيره مقربا حتى سلم الله عليه، فقال السلام عليك(**) وأن الله تعالى مدح أمته فقال ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾(١) ولم يقل القريبون.

وعلامات المقرب واضحات من هذه الأمة، فالقريب وجد من الله المنة والكرامة، والبعيد وجد من الله العذاب والعقوبة، والمبعد وجد من الله الحجاب والقطيعة، والمقرب وجد من الله اللقاء والزيارة..

قوله: ومـــن كان الإله له عيانا: علامات المشتاقين، فليس لهم نوم ولا قرار لا بالليل ولا بالنهار، والمخصوص بهذه الصفة صهيب وبلال، لأن بلالا كان من المشتاقين وكذلك صهيب، لم يكن لهما نوم ولا قرار.

وقد حكى أن امرأة كانت اشترت صهيبا فرأته كذلك، فقالت: لا أرضى حتى تنام بالليل، لأنك تضعف فلا يتهيأ لك الاشتغال بأعمالى، فبكى صهيب وقال: إن صهيبا إذا ذكر النار طار نومه، وإذا ذكر الجنة. جاء شوقه، وإذا ذكر الله طال شوقه..

وقوله: تقاضاه الإله لهم ثلاثا: لأن (هل) من حروف الاستفهام، وأن الله عز وجل يرفع الحجاب كل ليلة فيقول: هل من سائل فأعطيه سؤله، هل من مستغفر فأغفر له، هل من داعٍ فأجيب دعوته، فإذا كانت ليلة القدر رفع الله الشرط فقال: غفرت لكم وإن لم تستغفرونى، وأعطيتكم وإن لم تسألونى، وأجبت لكم من قبل أن تدعونى، وهذا غاية الكرم..

** راجع قوله تعالى ﴿ ... إذ قال لأهله إنى آنست ناراً ﴾.

* كما ورد فى التشهد.

١- الواقعة: ١٠-١١.

وقوله متى نجس الولوغ ببكر ود: أشار إلى ولوغ الكلب إذا ولغ في الإناء، يغسل سبع مرات أو ثلاثا، باختلاف الألفاظ الواردة عن رسول الله ﷺ، فكيف ولو أن ألف ألف كلب ولغوا في بحر، فلا اختلاف بين الأمة أن البحر لا ينجس بوساوس الشيطان، وولوغه في قلوب العارفين والمحبين في بحر الوداد متى يوجب التنجس، لأنه كلما ولغ فيه جاءه موج فطهره..

وقوله فدع شقي النباح بباب داري: يعني دع يشقى إبليس يصيح على باب الدنيا بألوان الوساوس، فإنه لا يضرني كقوله ﴿ **إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا** ﴾[1] بالوحدانية مع قوله ﴿ **وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا** ﴾[2]..

قوله: اخسؤا تباعدوا عني: يقال للكلب اخسأ على كمال البعد والطرد، وبهذا عاقبهم في آخر عقوباته إياهم كقوله ﴿ **اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ** ﴾[3]..

قوله تعالى ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ** ﴾[4] أي داوموا على إقامتها.

وأما قوله: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾[5] فعلى وجهين: **أحدهما**: الإقرار بها من غير تصديق، كما قال في براءة (*)﴿ **فَإِن تَابُوا** ﴾[6] أي من الشرك ﴿ **وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ** ﴾[7] يعني وأقروا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فخلوا سبيلهم.

وكقوله ﴿ **فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ** ﴾[8] ونظيرها في السجدة.

١- الأعراف: ٢٠١. ٢- الإسراء: ٤٦. ٣- المؤمنون: ١٠٨.

٤- البقرة: ٢٣٨. ٥- البقرة: ٤٣.

* سورة التوبة.

٦، ٧، ٨- التوبة: ١١.

والوجه الثاني: الإقامة كما قال في المجادلة ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾(١) ونظيرها في المزمل(*)..

وقال في البقرة ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ ﴾(٢) أى يتمونها..

وسئل عن قوله ﴿ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾(٣) ما معنى ذكرها مفردة.

قال: إنما أفردها لاختصاصها من الصلوات، وإن كانت داخلة في جملتها، كما انفرد جبريل وغيره بالذكر(**) لاختصاصه من جملة الملائكة.

(قال): وفيها وجه آخر وهو: أن أوقات سائر الصلوات مشهورة عند العالم والجاهل فعلامتها واضحة، ووقت العصر أخفى، فحث على مراعاتها في وقتها بما خصها من الذكر..

قوله ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾(٤) أى: قوموا لله في الصلاة مطيعين، فكم من مصل غير مطيع كالمنافق ونحوه.

وسئل النبي ﷺ أى الصلاة أفضل؟ فقال: «طول القنوت» أى طول القيام.

وقال زيد بن أرقم رضي الله عنه: القنوت السكوت، لأنا كنا نتكلم في الصلاة، فأنزل الله تعالى ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ فأمسكنا عن الكلام.

(وقال) محمد بن سوار: يقول القنوت الوتر، سمى قنوتا لقيام الرجل فيه بالدعاء من غير قراءته القرآن بل هو التعظيم بالدعاء..

وسئل عن قوله ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾(٥).

قال: هو أن يأخذوا الشيء من غير حله ويضعوه في غير محله..

١- المجادلة: ١٣.

* راجع الآية ٢٠ آخر آية من سورة المزمل.

٢- البقرة: ٣. ٣، ٤- البقرة: ٢٣٨. ٥- البقرة: ٢٦٨.

** يقول الله تعالى ﴿ من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال... ﴾.

وسئل عن قوله ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(١).

قـــال: روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «القرآن حكمة الله عز وجل بين عباده فمن تعلم القرآن وعمل به فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه يحاسب حساب الأنبياء عليهم السلام إلا فى تبليغ الرسالة(*).

وأخبـرنى محمد بن سوار، عن عقيل عن الزهرى، عن ابن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القرآن حكمة فمن تعلم القرآن فى شبيبته خلط بلحمه ودمه ألا وإن النار لا تمس قلبا وعى القرآن ولا جسدا اجتنب محارمه وأحل حلاله وآمن بمحكمه ووقف عند متشابهه ولم يبتدع فيه».

وقال مجاهد وطاووس: الحكمة القرآن، كما قال فى سورة النحل ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾(٢) يعنى القرآن.

وقال الحسن: الحكمة الفهم فى القرآن، والحكمة النبوة، كما قال فى (ص) ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾(٣) يعنى النبوة، وقال لداود عليه السلام ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾(٤) يعنى النبوة من الكتاب.

وقال قتادة: الحكمة هى الفقه فى دين الله عز وجل، واتباع رسول الله ﷺ.

وقال السدى: الحكمة النبوة.

وقال زيد بن أسلم: الحكمة العقل.

وقال الربيع بن أنس: الحكمة خشية الله تعالى.

وقال ابن عمر: الحكمة ثلاث: آية محكمة، وسنة ماضية، ولسان ناطق بالقرآن.

١- البقرة: ٢٦٩.

* فإنه لا يسأل عن ذلك لأنه لم يؤمر بالتبليغ.

٢- النحل: ١٢٥. ٣- ص: ٢٠. ٤- البقرة: ٢٥١.

وقال أبو بكر: (قال) سهل: الحكمة إجماع العلوم وأصلها السنة.

قال الله تعالى ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾(١) فالآيات الفرض، والحكمة السنة.

وأراد سهل من ذلك أن العرب تقول: حكمت الرجل إذا منعته من الضرر والخروج عن الحق، مثل قوله ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾(٢) قال: أى تامة، كما قال ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾(٣) فهى حينئذ بلغت إلى أهلها دون غيرهم، فهم فى كل حال فيها ينطقون، وإلى أحكامها يفزعون، وعن معانيها يكشفون، كما قيل: زاحِم الحكماء، فإن الله يحيى القلوب الميتة بالحِكَم كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر.

ثم قال: رأس مال الحكمة ثلاث: الأول: رياض النفس فى المكروهات.

والثانى: فراغ القلب عن حب الشهوات.

والثالث: القيام على القلب بحفظ الخطرات، ومن راقب الله عند خطرات قلبه عصمه عند حركات جوارحه.

وقال عمر بن واصل: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾(٤) أى يؤتى الإصابة فى كتابه من يشاء، كما قال الله تعالى لأزواج النبىﷺ عند تعداد النعم عليهن ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ فالآيات القرآن، والحكمة ما جاء به الرسولﷺ من المستنبط منها، كما قال على رضى الله عنه: الآيات رجل آتاه الله فهما فى كتابه..

(وسئل) عن قوله ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(٥) وعن الفرق بينهم وبين المساكين.

فقال: الله تعالى وصف الفقير بصفة العدم من حال سؤال الافتقار واللجأ

١- الأحزاب: ٣٤. ٢- القمر: ٥. ٣- يوسف: ٢٢. ٤- البقرة: ٢٦٩. ٥- البقرة: ٢٧٣.

إليه، ووصفهم بالرضا والقنوع، فقال تعالى: ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾(١) وهم أصحاب صُفَّة(*) رسول الله ﷺ، وهم نحو من أربعين رجلا ليست لهم فى المدينة مساكن ولا عشائر.

فهذه أحوال أقوام مدحهم الله تعالى لشدة الافتقار إليه لا استطاعة لهم ولا قوة إلا به ومنه، هو حولهم وقوتهم، نزع عنهم قوة سكون قلوبهم إلى غيره وهو وسوسة النفس إلى شىء دون الله تعالى.

فهم بهذا الوصف أعلى حالا، فمن رده الله تعالى إلى مساكنة نفسه فقال ﴿ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾(٢) فردهم إلى حالتهم التى قد سكنوا إليها.

وأما الفقير الذى سلمه الفقر إلى الله تعالى، إن حركته فى موت نفسه، فهو أحسن حالاً من الذى سكن إلى حال له لمتابعة نفسه.

قال عمر بن واصل: وإذا كان الفقير إلى الله عز وجل الراضى لا يكن لا بالرضا والتسليم، فقد كمل له الاسمان جميعا الفقر والمسكنة..

قال (أبو بكر) سمعت سهلا **يقول**: الفقير: الفقير العاجز، وهو الفقر ببلبلة القلب إلى الله عز وجل والسكون إليه بالطاعة، والمسكنة ذل وهى المعصية لله.

قال: وحكى الحسن عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: لما أنزلت هذه الآية صانعوا الفقراء ليوم ملكهم فقيل يا رسول الله ومتى يوم ملكهم قال يوم القيامة»..

(وسئل) عن قوله ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾(٣).

فقال: هى آخر آية ختم الله تعالى بها القرآن وتوفى رسول الله ﷺ بعد نزولها بثمانين يوما.

١- البقرة: ٢٧٣.

* مكان آخر المسجد كان يأوى إليه الفقراء وهم ضيوف الله تعالى الإسلام.

٢- الكهف: ٧٩.   ٣- البقرة: ٢٨١.

ثم قال: إذا دخلت مظالم ليلة أهل الدنيا لأهل الدنيا ذهب النوم والقرار عن أهل السجن، ما يدرون ما يصنع بهم، بدعائى عليهم فيقتلون أو يعذبون، أم يعفى عنهم فيطلقون، فهذه مظالم أهل الدنيا لأهل الدنيا، فكيف مظالم الحق لأهل العقبى..

قوله ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[1] أى طاقتها، ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾[2] أى ثواب العمل الصالح ﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[3] يعنى أوزار الذنوب، ثم قال من لم تهمه الذنوب السالفة لم يعصم فى أيامه الغابرة، ومن لم يعصمه الله تعالى فى بقية أيامه فهو من الهالكين فى معاده..

قيل له: متى يعرف الرجل ذنوبه؟ فقال: إذا حفظ أنوار قلبه، فلم يترك شيئا يدخل عليه ولا يخرج منه إلا بوزن، حينئذ يعرف ذنوبه، فمن فتح على نفسه باب حسنة فتح الله عليه سبعين بابا من التوفيق، ومن فتح على نفسه باب سيئة فتح الله عليه سبعين بابا من الشر، من حيث لا يعلمه العبد، وما من قلب يهم بما لا يعنيه إلا عوقب فى الحال بتضييع ما يعنيه، ولا يعرف ذلك إلا العلماء بالله..

وسئل عن قوله ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾[4] ما هذا الخير عندك؟

قال: المال الحلال كما قال الله تعالى ﴿ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ ﴾[5] أى من مال حلال فى وجوهه وابتغاء مرضاته.

فقال: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ ﴾[6] أى من مال حلال، ﴿ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾[7] أى توفون الجزاء من الله تعالى على فعلكم وما قصدتم به..

وسئل عن قوله ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾[8] أى فى بداية الأمر بالسنة.

١، ٢، ٣- البقرة: ٢٨٦. ٤- البقرة: ١٨٠. ٥- البقرة: ٢١٥.

٦، ٧- البقرة: ٢٧٢. ٨- البقرة: ١٧٧.

(والضـراء) : أى فى اجتناب المنهى ظاهرا وباطنا فى أكل الحلال، والبأساء فى الظاهر. الفقر، والضراء الشدة، ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾[1] أى عند القتال..

وسئل عـن قوله ﴿ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ ﴾[2] قال: يعنى الحمية، كما قال فى ص: ﴿ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾[3] أى فى حمية واختلاف.

وقوله: ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[4] أى يحبون الأنداد كحبهم الله عز وجل، فقد وصف الله تعالى شدة كفرهم وصدقهم فى حال الكفر جهلا، ووصف محبة المؤمنين وصدقهم فى الإيمان بالله تعالى حقا، ثم فضل المؤمنين بالمعرفة، فقال: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ بمعرفتهم، وسائر أسباب العبد المؤمن إلى الإقبال عليه وإقامة الذكر له، وتلك منزلة العارفين المحبين، إذ المحبة عطف من الله تعالى بخالصة الحق.

فقيل له: ما علامة المحبة؟ قال: معانقة الطاعة ومباينة الفاقة، وقد حكى: أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أتدرى لم ألقيت عليك محبتى؟ فقال: لا يارب، فقال: لأنك ابتغيت مسرتى يا موسى، أنزلنى منك على بال، ولا تنس ذكرى على حال، وليكن همتك ذكرى، فإنه طريقك علىَّ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها آل عمران ﴾

﴿ الٓمٓ * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[5] قال: هو اسم الله الأعظم مكتوب على السماء بالنور الأخضر من المشرق إلى المغرب..

قوله ﴿ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾[6] يعنى القرآن فيه المخرج من الشبهة والضلالة.

١- البقرة: ١٧٧ « ويلاحظ انه لم يفسر سورة البقرة بترتيب الآيات ».
٢- البقرة: ٢٠٦.
٣- ص: ٢.
٤- البقرة: ١٦٥.
٥- آل عمران: ١، ٢.
٦- آل عمران: ٤.

قوله ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾(١) يعني الكفار، ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾(٢) يعني تفسيره على ما يوافق هوى نفوسهم، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنزل القرآن على أربعة أحرف، حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسره العرب، وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى، فمن ادعى علمه سوى الله عز وجل فهو كاذب.

قوله ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾(٤) قال: حكي عن علي رضي الله عنه، هم الذين حجبهم العلم عن الاقتحام بالهوى والحجج المضروبة دون الغيوب، لما هداهم الله وأشرفهم على أسراره المغيبة في خزائن العلوم.

فقالوا ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾(٥) فشكر الله تعالى لهم، وجعلهم أهل الرسوخ والمبالغة في العلم، زيادة منه لهم كما قال الله تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(٦)

(قال سهل): استثنى الله تبارك وتعالى الراسخين في العلم بقولهم ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾(٧) يعني الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وهم الكاشفون عن العلوم الثلاثة، إذ العلماء ثلاثة الربانيون، والنورانيون، والذاتيون، وبعد العلوم الأربعة: الوحي، والتجلي، والعندي، واللدني، كما قال تعالى ﴿ آتَيْنَاهُ(*) رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾(٨).

﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾(٩) أي وما يتذكر إلا أولو الفهم والعقول الذين يقولون:

﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾(١٠) أي لا تمل قلوبنا عن الإيمان بعد إذ هديتنا بهداية منك.

١–٥: آل عمران: ٧. ٦– طه: ١١٤. ٧– آل عمران: ٧.

* هو الخضر عليه السلام.

٨– الكهف: ٦٥. ٩– آل عمران: ٧. ١٠– آل عمران: ٨.

﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾[1] لمن رجع إليك بالافتقار والتضرع والمسكنة.

ثم **(قال سهل)**: ليس للعبد حيلة سوى أن يواظب فى جميع عمره على قول: ربٌ سلّم سلّم، الأمان الأمان، الغوث الغوث.

قال الله تعالى ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[2] يعنى ينبغى للموحد أن يعلم يقينا أنه ليس كل من أحب الحق أحبه، لأن إبليس قابله بعلاء الحب فقال: ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾[3] وأنت الله لا يجوز أن يُعبد غيرك، حتى لعنه، فليس كل من تقرب إليه قبله، وليس كل من أطاعه قبل طاعته، إنه بصير بما فى الضمير.

فلا يأمن أحد أن يُفعل به كما فعل بإبليس، لعنه بأنوار عصمته، وهو عنده فى حقائق لعنته، ستر عليه ما سبق منه إليه، حتى عاقبه بإظهاره عليه، فليس للعبد إلا استدامة الغوث بين يديه.

وقد كان الرسول ﷺ يقول: «يا ثابت المثبتين ثبتنى بثباتك يا ثابت الوحدانية لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين».

وكان يقول: «يا ولى الإسلام وأهله مكنى بالإسلام حتى ألقاك».

قال: وموضع الإيمان بالله تعالى القلب، وموضع الإسلام الصدر، وفيه تقع الزيادة والنقصان.

وقوله: ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾[4] يعنى من الأحداث التى كانت تنالهن فى الدنيا من الحيض وغيره، ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾[5] أى طهرهم به من بقاء أدناس الدنيا..

قوله ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾[6] قال: أى علم الله وبين، ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾[7]

١– آل عمران: ٨. ٢– الأعراف: ٢٩. ٣– الإسراء: ٦١.

٤– آل عمران: ١٥. ٥– الإنسان: ٢١. ٦، ٧– آل عمران: ١٨.

شهد لنفسه بنفسه، وهو خاص لذاته، واستشهد من استشهد من خلقه قبل خلقهم بعلمه، فنبه به أهل معرفته أنه عالم بما يكون قبل كونه، وأن حقيقة التوحيد ما كان بدون الأكوان، كما شهد به الحق لنفسه بنفسه قبل الأكوان.

وقال: عبد الواحد: كنت مع أيوب السختياني فرأى حمالا يحمل الحطب، **فقلت:** هل لك برب؟ **فقال:** أمثلي يسأل عن ربه، **فقلت** له: إن كان لك خالق كما تزعم فلم اشتغلت بالحطب، فأشار الرجل إلى السماء فصار الحطب ذهبا، فتعجبنا منه لذلك.

ثم قال: اللهم لا حاجة لي إلى هذا فتحول الذهب حطبا كما كان، **فقلنا** له: ما حملك على هذا؟ **فقال:** لأني عبد فأحمل هذا كي لا أنسى نفسي..

قوله ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ**﴾[1] يعني المعرفة والتوحيد، وشرائع دينك الإسلام، والعاقبة المحمودة، وهو أن يتولى الله العبد ولا يكله إلى نفسه..

قوله ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾[2] أي تمسكوا بعهده وهو التوحيد، كما قال تعالى ﴿**أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا**﴾[3] أي توحيدا، وتمسكوا بما ملككم من تادية فرضه، وسنة نبيه.

وكذلك قوله ﴿**إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ**﴾[4] معناه إلا بعهد من الله ودينه، وإنما سماه حبلا لأن من تمسك به توصل إلى الأمر الذي يؤمنه..

قوله ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾[5] **قال:** أي عدله، لأن النار عدله لمن خالفه، والجنة فضله لمن أطاعه.

ألا ترون إلى قوله ﷺ: «يا من لا يرجى إلا فضله، ولا يخشى إلا عدله»..

١- آل عمران: ٢٦. ٢- آل عمران: ١٠٣. ٣- مريم: ٧٨.
٤- آل عمران: ١١٢. ٥- آل عمران: ٢٨، ٣٠.

قوله ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾[1] أي حررته وأعتقته من رق الدنيا ومن متابعة هواه ومرادات نفسه، وجعلته خادما لعُباد بيت المقدس، خالصا لله تعالى.

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾[2] أي وقال: الملك الأعلى أولى بالمحرر عن رق النفس ورق الدنيا.

﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾[3] قال: بالعمل الصالح في ذكر الله تعالى، وجوارحها في خدمة الله، وقلبها في معرفة الله عز وجل.

﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾[4] أي لله فصلي، وإياه بالإخلاص فاعبدي وإليه بالدعاء فاقنتي(*) وتضرعي..

قوله ﴿ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[5] قال: إذا كان في علمه السابق الأزلي أمر فأراد إظهاره قال له: كن فيكون، قال القائل شعر.

قضى قبل خلق الخلق ما هو خالق … خلائق لا يخفى عليه أمورها

هواها ونجواها ومضمر قلبها … وقبل الهوى ماذا يكون ضميرها

قوله ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾[6] أي يدعو بعضنا على بعض باللعنة، والمبتهل الداعي، والابتهال الدعاء، والمسبح الذاكر وهو الذي لا تكتبه الحفظة، لأنه مشاهدة المذكور في الذكر بالمذكور، وهو معنى قوله: «أنا جليس من ذكرني وحيثما التمسني عبدي وجدني»..

١- آل عمران: ٣٥. ٢، ٣- آل عمران: ٣٧. ٤- آل عمران: ٤٣.

* قنت: أطاع الله وخضع له.

٥- آل عمران: ٤٧. ٦- آل عمران: ٦١.

قوله ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ﴾[1] يعنى إلى عدل بيننا وبينكم، لأنهم كانوا مقرين بأن خالقهم وخالق السموات والأرض هو الله تعالى، فنوحده ولا نعبد إلا إياه.

وأصل العبادة التوحيد مع أكل الحلال، وكف الأذى، ولا يحصل الأكل الحلال إلا بكف الأذى، ولا كف الأذى إلا بأكل الحلال، وأن تعلموا أكل الحلال وترك أذى الخلق.

والنية فى الأعمال كما تعلّموا فاتحة الكتاب، ليصفوا إيمانكم وقلوبكم وجوارحكم، فإنما هى الأصول..

قال حكى محمد بن سوار، عن الثورى أنه قال: منزلة لا إله إلا الله فى العبد بمنزلة الماء فى الدنيا، قال الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[2] فمن لم ينفعه اعتقاد لا إله إلا الله، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ فهو ميت.

(قال سهل): وإنى لأعرف رجلا من أولياء الله تعالى، اجتاز برجل مصلوب وجهه إلى غير القبلة، فقال: أين ذلك اللسان الذى كنت تقول به صادقا لا إله إلا الله، ثم قال: اللهم هب لى ذنبه.

(قال سهل) فاستدار له نحو القبلة بقدرة الله..

قوله ﴿ وَجْهَ النَّهَارِ ﴾[3] أى أول النهار..

قوله ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[4] أى كثير العطاء، يقدر بقدرته الأزلية أن يعطى جميع ما يُسأل، وهو المحيط بكل شىء كما قال: ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[5]..

وسئل عن قوله ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[6]..

١– آل عمران: ٦٤. ٢– الأنبياء: ٣٠. ٣– آل عمران: ٧٢.
٤– آل عمران: ٧٣. ٥– طه: ٩٨. ٦– آل عمران: ٧٩.

قال محمد بن سوار: الرباني الذى لا يختار على ربه أحدا سواه، وهو اسم مشتق من الربوبية..

(**وقال سهل**): الربانيون هم العالمون فى الدرجة من العلم بالعلم.

كما قال محمد ابن الحنفية لما مات عبدالله بن عباس رضى الله عنهما: لقد مات هذا اليوم ربانيٌ هذه الأمة، وإنما نسب إلى الرب لأنه عالم من علمه، كما قال: ﴿**مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**﴾(١) فنسبه إلى النبوة بما علمه الله عز وجل، وكل من أنبأك بخبر موافق للكتاب والسنة فهو منبئ، والعلماء ثلاثة: ربانى، ونورانى، وذاتى، بلا واسطة بينه وبين الله تعالى، فيه بقية من الله عز وجل.

وقال عمر بن واصل: الربانيون هم المجموعون من العلماء.

كما قال على رضى الله عنه: الناس ثلاثة: عالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق.

قوله.. ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا**﴾(٢) **قال**: الإسلام هو التفويض، كقوله ﴿**وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾(٣) أى مفوضون، وكذلك قوله ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾(٤)..

وسئل عن قوله ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾(٥) أى لن تبلغوا التقوى كلها حتى تحاربوا أنفسكم، فتنفقوا بعض ما تحبون، ولا إنفاق كإنفاق النفس فى مخالفتها، وطلب مرضات الله عز وجل.

وحكى عن عيسى عليه السلام إنه مر بثلاثة نفر نحلت أبدانهم، وتغيرت ألوانهم، قال: ما الذى بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الخوف من خالقنا، والحذر من عقوبة عصياننا، فقال: حق على الله أن يؤمن الخائف.

قال: فجاوزهم إلى ثلاثة هم أشد نحولا، فقال: ما الذى بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الشوق إلى ربنا، فقال: حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم فجاوزهم إلى

١- التحريم: ٣. ٢- آل عمران: ٨٥. ٣- آل عمران: ١٠٢.
٤- آل عمران: ١٩. ٥- آل عمران: ٩٢.

ثلاثة نفر هم أشد نحولا، كأن وجوههم البدور، قال: ما الذى بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الحب، قال: أنتم المقربون ثلاثا، فمن أحب الله تعالى فهو المقرب لأن من أحب شيئا تسارع إليه.

فالمرتبة الأولى: مرتبة التوابين، والمرتبة الثانية، مرتبة المشتاقين، ثم يبلغ العبد المرتبة الثالثة: وهى المحبة.

ألا ترون أنهم كيف اتفقوا كلهم فى مَن الكل له، وأعرضوا عن الكل إلى من له الكل..

وقوله ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا** ﴾[1] أى أول بيت وضع للناس بيت الله عز وجل بمكة، هذا هو الظاهر، وباطنها الرسول يؤمن به من أثبت الله فى قلبه التوحيد من الناس..

قوله ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ** ﴾[2] يعنى تبيض وجوه المؤمنين بنور إيمانهم، ﴿ **وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾[3] الكافرين بظلم كفرهم..

وسئل عن قوله: ﴿ **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ** ﴾[4] فقال: هذه الأجسام الغرض منها ما أودع الله فيها من الودائع، ابتلى الله الخليقة بها، فمنها ماهو اعتبار للطائعين وهو الكفر، ومنها ما هو حجة على الغافلين وهو المعرفة.

والتصديق فى الأقوال والأفعال كما قال ﴿ **وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ** ﴾[5] فباطن هذه الآية النور العلم، والظلمات الجهل، لقوله ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾[6] أى ما يستبصر به القلب الإيمان بالله، فنور الإيمان من أعظم منن الله عز وجل وكراماته، والثانى الطيب من القول وهو قوله تعالى ﴿ **تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ** ﴾[7] الآية.

١- آل عمران: ٩٦. ٢، ٣- آل عمران: ١٠٦. ٤- البقرة: ٦١.
٥- الأنعام: ١. ٦- النور: ٤٠. ٧- آل عمران: ٦٤.

والثالث: إطاعة بالجوارح، خالصا لله من إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والقنوع والرضا فدعاهم بذلك إلى أطيب القول، وأحسن الفعال.

ولو لم يكن الإيمان بالله والقرآن الذى هو علم الله فيه الدعوة إلى الإقرار بالربوبية والتعبد إياه فى الفزع، لم تعرف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أجابهم من الخلق.

قوله ﴿ **وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾(١) يعنى تخليصهم من عيوب الذنوب، كما أخلصوا له بالعمل وهو الجهاد فى سبيل الله.

﴿ **وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ** ﴾(٢) أى وليهلك الكافرين بالذنوب عن الابتلاء..

قوله ﴿ **وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ** ﴾(٣) يعنى الفئة المنهزمة يوم أحد حين لم يستأصلهم جميعا ﴿ **وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(٤) بالعفو عنهم وقبول التوبة منهم..

قوله ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا** ﴾(٥).

فسئل ما هذا الكسب؟ **فقال**: هو الإعجاب الذى كان منهم بكثرة عددهم يوم حُنَيْن، وأخذهم العزة يوم بدر، وكان لشرك الشيطان إياهم بعد مساكنة قلوبهم، ورؤيتهم نفوسهم بما سولت لهم أنفسهم من الإعجاب، فترك الله عصمتهم جزاءً لهم.

وقد قال النبى ﷺ حين سمع أصحابه يوم حنين يقولون لن نُؤْتَى من قلة «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله تعالى العافية» من تدبيركم إلى نفوسكم، بحال دون الافتقار إلى الله عز وجل.

١، ٢- آل عمران: ١٤١. ٣، ٤- آل عمران: ١٥٢. ٥- آل عمران: ١٥٥.

ألا ترى أن داود عليه السلام لما سأل ربه اللحوق بإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، فقيل: لست هناك يا داود، فقال: ولم يا رب؟ فقال: لأن أولئك ابتليتهم فصبروا، ولم يعرفوا الدنيا ولا عرفتهم، وإنك عرفت الدنيا وعرفتك، واتخذتها أهلا.

فقال داود عليه السلام: فأرني من عبادك من ابتليته صبر، فقال الله عز وجل: فإني مبتليك، فكان هو المبتدى فى طلب البلاء للامتحان من الله تعالى (يعنى وذلك لعلم الله السابق فى غيب مستور تفرد بمعرفته) فأتاه إبليس فى صورة حمامة وكان من قصته وقصة أوريان حنان ما كان(*)، والله تعالى لم يعصمه من الهم والقصد والفعل، وعصم يوسف من الفعل ولم يعصمه من الهم والقصد..

قوله ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ** ﴾[1] يعنى بتعطف من الله لنت لهم، ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا** ﴾ باللسان، ﴿ **غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ أى لتفرقوا من عندك، ﴿ **فَاعْفُ عَنْهُمْ** ﴾ أى تجاوز عن زللهم، ﴿ **وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ** ﴾ هزيمتهم يوم أحد، ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ أى لا تبعدهم بالعصيان عنك، واشملهم بفضلك فإنك بنا تعفو وبنا تستغفر، وإيانا تطالع ﴿ **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ أى: إذا أردت إمضاءه بعد المشورة فتوكل على الله، أى ثق بالله مع ذلك، وفوض إليه جميع أمورك، وافتقر إليه دون غيره.

فلم يخرج من الدنيا حتى كشف الله تعالى فى قلبه العلوم التى كانت بينه وبين الله تعالى بلا واسطة فيها، لما كان يحب من النظر والتفكر اعتبارا بقدرة ربه، كى ينال المزيد من الله تعالى، كما أمره بقوله تعالى ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾[2]

---

* وقد كذّب كثير من المفسرين تلك القصة وبرءوا داود من مثل هذه الفعلة الشنعاء وهى النظر إلى امرأة غيره.

١- آل عمران: ١٥٩. ٢- طه: ١١٤.

وقد حث على ذلك أمته، بما روى عنهﷺ أنه قال: «شاور المتقين الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون على أنفسهم في أموركم».

وقال: «شاوروا العلماء الصالحين فإذا عزمتم على إمضاء ذلك فتوكلوا على الله».

وقال آخ من الإخوان أهل التقى، واجعل مشورتك من يخاف الله تعالى، ولا يكن كلامك بدلا، ولا تعادين أحدا أبدا حتى تعلم كيف صنعه بينه وبين الله تعالى، فإن كان حسن الصنيع فلا تعادينه، فإن الله تعالى لا يكله إليك، وإن كان سيئ الصنيع فلا تعادينه فإن الصنيع السوء يكفيه.

وقال: من استشير فأشار بغير رأيه سلبه الله تعالى رأيه، يعني غشه فيما أشار به عليه.

وقال: من شاور واتكل في إمضاء ما عزم ثم ندم فقد اتهم الله تعالى.

قوله ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ**﴾(1).

قال: الخذلان هو غاية الترك، وأما الترك فإن صاحبه يذنب وهو مقر بذنبه، فإذا أذنب على أنه ديانة فهو الخذلان، وهو عقوبة الله تعالى صاحب الخذلان، لأنه أقامه على ذنبه مع علمه به، وتسويفه بالتوبة.

ألا ترى أن إبليس لما أبى وأصر عليه بعد الإباء خذله الله بعلمه السابق فيه، لأنه أراد منه ما علم، ولم يرد منه ما أمره به، وآدم عليه السلام لما لم يكن بالترك مخذولا أقر بالذنب بعد إتيانه، ورجع إلى ربه جل وعز فقبل توبته.

---

1 – آل عمران: 160.

وقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[1] أى نعم الكفيل بأرزاقنا ونعم الرب.

كقوله تعالى ﴿ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً ﴾[2] أى ربا.

قوله ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾[3] أي لم يعملوا بالكتاب ﴿ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ يعنى اشتروا بالآخرة الباقية عرض الدنيا الفانية.

قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[4].

قال: من أراد حفظ القرآن فليختم بثلاث ختمات على شرط الآية: ختمة قائما يصلى، وختمة قاعدا يدرس، وختمة مضجعا على جنبيه، فإنه لا ينسى إن شاء الله عز وجل.

ومن اشتغل بطلب العلم بالتقوى، وقراءة القرآن، وذكر الله عز وجل، واتباع السنة، واجتناب اللهو، لم تصبه الأمراض والأسقام.

ومن أطاع الله بالعلم وصدق النية لم يفقد عقله.

وقال النبي ﷺ: « من أطاع الله عز وجل فقد ذكره ومن عصاه فقد نسيه ».

قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[5].

قال: الإيمان أربعة أركان: الأول: التوكل على الله، والثانى: الاستسلام لأمره، والثالث: الرضا بقضائه، والرابع: الشكر لنعمائه والتقوى.

﴿ باب الإيمان ﴾

اليقين قلب الإيمان، والصبر عماد الإيمان، والإخلاص كمال

---

١ – آل عمران: ١٧٣.
٢ – الإسراء: ٢.
٣ – آل عمران: ١٨٧.
٤ – آل عمران: ١٩١.
٥ – آل عمران: ٢٠٠.

الإيمان، لأن العبد بالإخلاص ينال التصديق، وبالتصديق ينال التحقيق، وبالتحقيق يصل إلى الحق.

والإخلاص ثمرة اليقين، لأن اليقين مشاهدة السر، فمن لم تكن له مشاهدة السر مع مولاه، لم يخلص عمله لله، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها النساء ﴾

سُئل عن قوله ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** ﴾(١) **قال**: اعطوهن الصداق هبة(*) من الله عز وجل لهن.

وقد **قال**: إن النحلة الديانة.

وقال قال النبي ﷺ: «أقذر المعاصي عند الله تعالى منع الأجير أجرته ومنع المرأة مهرها».

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ** ﴾(٢).

قال: التائب يتقى المعصية ويلزم الطاعة، والمطيع يتقى الرياء ويلزم الذكر، والذاكر يتقى العجب ويلزم نفسه التقصير.

وحكى: أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: أن أنين المذنبين أحب إليَّ من صراخ الصديقين..

قوله ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾(٣) يعني لا تهلكوا أنفسكم بالمعاصي والإصرار وترك التوبة عند الرجوع إلى الاستقامة ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾(٤) حيث حرم عليكم المعصية كي لا تهلكوا.

١- النساء: ٤.

* لا كما يقول بعض المفسرين أن المهر جزاء البضع ولكنه هبة ومحبة وحسن تقدير للزوجة التي تتمتع به كما يتمتع بها فليس المهر مقابل بضع المرأة لأنهما في التمتع سواء.

٢- النساء: ١٧.

٣، ٤- النساء: ٢٩.

هو قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾(١).

وقال: روى عن ابن مسعود أنه قال: الكبائر من أول النساء إلى هذه الآية.

(قال سهل): الكبائر ما أوعد الله تعالى عليه النار فى كتابه(*).

قوله ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾(٢).

قال: أما ظاهرها: فالجار الجنب البعيد الأجنبى، والصاحب بالجنب هو الرفيق فى السفر، وقد قيل الزوجة، وابن السبيل الضيف.

وأما باطنها: فالجار ذو القربى هو القلب، والجار الجنب هو الطبيعة، والصاحب بالجنب هو العقل المقتدى بالشريعة، وابن السبيل هو الجوارح المطيعة لله، هذا باطن الآية..

قوله تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾(٣).

(قال سهل): إن الله تعالى وكل بكل عبد مسلم ثلاثمائة وستين ملكا بعدد عروقه، إن أراد خيرا أعانوه عليه، وإن أراد شرا عاتبوه عليه.

فإن عمل شيئا من ذلك حفظوه عليه، حتى إذا كان يوم القيامة عرضوه عليه، وواقفوه على ذلك، حتى إذا صاروا إلى الله تعالى شهدوا عليه بوفاء الطاعة واقتراف الخطيئة، قال الله تعالى ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾(٤).

قوله تعالى ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾(٥) أى: يحولها الله عن الهدى والبصيرة إلى طبع الجهالة..

١- النساء: ٣١.

* وراجع كتاب الكبائر للإمام الذهبى وراجع أيضا كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمى من تحقيق طه عبد الرءوف سعد.

٢- النساء: ٣٦. ٣- النساء: ٤١. ٤- ق: ٢١. ٥- النساء: ٤٧.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾(١).

قال: إذا لم يكن بينه وبين أحد مظلمة، وإنما كانت ذنوبه فيما بينه وبين الله تعالى، فإنه يغفرها وهو الجواد الكريم..

وقد روى عن النبيﷺ قال: «يؤتى بعبد يوم القيامة فيؤمر به إلى النار فيقول ما كذا كان ظنى، فيقول الله عز وجل ما كان ظنك بى؟ فيقول: أن تغفر لى، فيقول الله عز وجل: قد غفرت لك فيأمر به إلى الجنة»..

قوله تعالى﴿ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾(٢) أى مبلغا بلسانك كنه ما فى قلبك بأحسن العبارة عنى.

قوله ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾(٣).

قال: المؤمنون خصماء الله على أنفسهم، والمنافقون خصماء النفوس على الله عز وجل، يبتدرون إلى السؤال ولا يرضون بما يختار الله لهم، وهو سبيل الطاغوت، إذا النفس أكبر الطواغيت إذا خلى العبد معها، قيل له عن المعصية..

قوله تعالى ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾(٤) فسئل ما الدنيا؟ **فقال**: الدنيا كلها جهل إلا موضع العلم، والعلم كله حجة إلا موضع العمل به، والعمل كله هباء إلا موضع الإخلاص، والإخلاص لا يتم إلا بالسنة.

ثم **قال** دنياك نفسك، فإذا أفنيتها فلا دنيا لك..

١ـ النساء: ٤٨.
٢ـ النساء: ٦٣.
٣ـ النساء: ٧٦.
٤ـ النساء: ٧٧.

قوله تعالى ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾(١).

القول فى التوكل:

فسئل ما التوكل؟ **فقال**: التوكل طرح البدن فى العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والتبرى من الحول والقوة.

قيل له: ما حقيقة التوكل فى الأصل؟ **فقال**: حقيقة التوكل فى الأصل الإقرار بالتوحيد، وفى الفرع علم الساعة، وفى السكون المعاينة.

ثم **قال**: لا تجزعوا من التوكل فإنه عيش لأهله، **قيل** من أهله؟ **قال**: الذين خصوا بالخصوصية، فقيل له: لو زدت لنا وضوحا..

(فقال سهل): إن العلوم كلها أدنى باب من التعبد، وجملة التعبد أدنى باب من الورع، وجملة الزهد أدنى باب من ظهور القدرة، ولا تظهر القدرة إلا للمتوكل، وليس للتوكل غاية ووصف يوصف بـه، ولا حد يضرب له بالأمثال، ولا غاية ينتهى إليها.

فقيل له: صف لنا بعضه، **فقال**: إن المتوكل له ألف منزل، أول منزل منه المشى فى الهواء، **قيل** له: بماذا يصل العبد إليه؟

فقال: إن أول الأشياء المعرفة، ثم الإقرار، ثم الإسلام، ثم الإحسان، ثم التفويض، ثم التوكل، ثم السكون إلى الحق جل وعز فى جميع الحالات.

وقال: لا يصح التوكل إلا للمتقى، **قيل** ما التقوى؟ **قال**: كف الأذى..

قوله تعالى ﴿ **وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا** ﴾(٢) يعنى الحظ منها، لأنها تمنع رضا الله تعالى..

قوله تعالى ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾(٣) يعنى زيادة على سلامه الصدر بالنصح لله تعالى..

١- النساء: ٨١. ٢- النساء: ٨٥. ٣- النساء: ٨٦.

وقال النبي ﷺ «السلام اسم من أسماء الله تعالى أظهره في أرضه فافشوه بينكم».

قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾[1] يعني أعادهم إلى ما جبلت عليه أنفسهم من الجهل به.

وقال ﷺ «لا تستنجوا بعظم ولا روث فإنه ركس» يعني رجع من حاله الأول إلى أن صار طعام الجن.

﴿ أَتُرِيدُونَ ﴾[2] معشر المخلصين ﴿ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴾[3]..

(قال سهل) الإضلال من الله ترك العصمة عما نهى عنه وترك المعونة على ما أمر به..

قوله تعالى ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾[4] أي ضاقت قلوبهم عن قتالكم، وقتال قومهم، لحبهم السلامة وركونهم إلى العافية، وهم بنو مدلج..

قوله ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾[5] يعني بما علمك الله تعالى من الحكمة في القرآن وشرائع الإسلام..

قوله تعالى ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا ﴾[6] يعني أصواتا وهو الحجارة والحديد..

قوله عز وجل ﴿ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾[7] يعني معدلا..

قوله ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ ﴾[8] يعني المنافقين يبتغون عند اليهود المنعة والقوة.

ألا ترى إلى قوله ﷺ «ما نزل من السماء شيء أعز من اليقين» أي أمنع وأعظم..

قوله ﴿ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ﴾[9] يعني نغلب ونستولي عليكم..

١–٣– النساء: ٨٨.   ٤– النساء: ٩٠.   ٥– النساء: ١٠٥.   ٦– النساء: ١١٧.
٧– النساء: ١٢١.   ٨– النساء: ١٣٩.   ٩– النساء: ١٤١.

قوله ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾(١) أى يسرع لهم الجزاء على إظهار الإيمان، وإضمار الكفر بترك العصمة والتوفيق، وتمديد الأموال والبنين، والإطراق على عاجل الدنيا، وخاتمتهم النار.

فهذا هو المراد من قوله ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾(*).

قال تعالى فى قوله ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾(٢) أراد به سرعة مجازاتهم على الإقامة والنفى فسمى قوله باسم فعلهم..

وقد أخبر عنهم بالعجب فى مواضع قال فى قوله فى قل أوحى ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾(٣) وفى ق ﴿ بَلْ عَجِبُوا ﴾(٤) وفى ص ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾(٥)، وقد ذكر فى والصافات ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾.

أى رأيت جزاءهم عظيما، فسمى تعظيم الثواب عجبا، لأن المتعجِّب إنما يتعجب من أمر بلغ نهايته، فهذا هو المراد من قوله بل عجبت..

وقد حكى أن شقيقا قرأ على شريح ﴿ بَلْ عَجِبْتُ ﴾ [بضم التاء ضمير الفاعل] فقال له شريح: بل عجبتَ إن الله لا يعجب من شىء، إنما يعجب من لا يعلم.

قال شقيق: فأخبرت به إبراهيم، فقال: إن شريحا يعجبه علمه، وإن ابن مسعود أعلم منه، وكان يقرأ بل عجبتُ بالضم.

﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ ﴾(٦) فهذا من علامات المنافقين، حيث خانوا فى هذه الأمانة التى تحملوها فى الظاهر.

واعلم أن لله تعالى أمانة فى سمعك، وبصرك، ولسانك، وفرجك، وظاهرك، وباطنك، عرضها عليك فإن لم تحفظها خنت، والله لا يحب الخائنين.

وقد حكى عن أبى حيان أنه قال: ارتحلت إلى مكة وجئت سعيد بن جبير

١- النساء: ١٤٢.

* أى يجازيهم جزاء خداعهم.

٢- الصافات: ١٢.   ٣- الجن: ١.   ٤- ق: ٢.   ٥- ص: ٥.   ٦- النساء: ١٤٢.

فقلت له: جئتك من خراسان فى تأويل قوله ﷺ «علامة المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» ولا أرى أنها فى نفسى، فتبسم سعيد.

وقال: وقع فى سرى ما وقع فى سرك، فأتيت على بن أبى طالب، وعبدالله بن عباس رضى الله عنهم، وقت القيلولة فوجدتهما عند البيت فسألتهما عن تأويل هذا الحديث فتبسما **وقالا**: لقد أشكل علينا ما أشكل عليك، فذهبنا إلى النبى ﷺ وقت القيلولة فأذن لنا، فذكرنا له ﷺ هذا، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «ألستما على شهادة أن لا إله إلا الله، قلنا بلى، فقال: هل رجعتما عن ذلك؟ فقالا: لا، قال: لقد قلتما وصدقتما، ثم قال: ألستما على ما قررتكما عليه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث؟ قلنا نعم، كأنها رأى العين، فقال ﷺ: هذا من الإنجاز، ثم قال ﷺ: ألستما تصليان وتسجدان فى الصلاة فى الخلوة؟ فقلنا: نعم، فقال: هى الأمانة لا خيانة فيها».

(**وقال سهل**): إن اليقين أوتاد قلوب العارفين، وأرواح المشتاقين، كما أن جبال الدنيا مع جبال ق أوتاد الأرضين، قوام للعالمين، ثم زاد قوة قلبك حيث قال تعالى: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾(١) وقد أنزلته على قلوبهم حفظا، وعليكم أمرا، فلم يؤثر حمله فيكم لحفظى إياكم، ولطفى ونظرى إليكم.

ثم **قال**: أنتهت عقول المؤمنين سائرة إلى العرش، فسلمت وحفت بظرائف حكمه، وفنون بره، وسارت عقول المنافقين، فلما بلغت رامت الغيوب فردت منكسة، قال الله تعالى ﴿**وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾(٢)..

قوله تعالى ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾(٣) قال أي لا تجاوزوا دينكم بالبدع، وتعدلوا عن الحق، وهو الكتاب والسنة والإجماع ميلا إلى هوى نفوسكم.

١- الحشر: ٢١.　　٢- النساء: ٨٨، ١٤٣.　　٣- النساء: ١٧١.

وقال قوم: الدين والدنيا في ثلاث: العلم والأدب والمبادرة، وهلاك الدين والدنيا في ثلاث: الجهل والخرق والكسل.

وسمعته مرة أخرى **يقول**: أربع من دعائم الدين: القيام بالحق على نفسك وغيرها، والقعود عن باطل نفسك وغيرها، والمودة لأهل طاعة الله، والبغض لأهل معصيته.

﴿السورة التي يذكر فيها المائدة﴾

سئل عن قوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ**﴾(١) **فقال**: البر الطاعة لله، واتقاء المعصية.

قوله تعالى: ﴿**فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ**﴾(٢) يعني فلا تخشوا الكفار في عبادتي واخشوني في اتباعهم، **فقال**: أعجز الناس من خشي من لا ينفعه ولا يضره، والذي بيده النفع والضر يخاطبه في قوله فلا تخشوهم واخشوني.

قوله تعالى ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ**﴾(٣) **قال**: الطيبات الحلال من الرزق.

قوله ﴿**إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ**﴾(٤) قال: الطهارة أربعة أشياء: صفاء المطعم، وصدق اللسان، ومباينة الآثام(*)، وخشوع السر، وكل واحد من هذه الأربعة يقابل بكل واحد من تطهير الأعضاء الظاهرة(**).

قوله تعالى ﴿**وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ**﴾(٥) يعني يطهركم من أحوالكم، وأخلاقكم، وأفعالكم، لترجعوا إليه بحقيقة الفقر، من غير تعلق بسبب من الأسباب.

١- المائدة: ٢. ٢- المائدة: ٣. ٣- المائدة: ٥. ٤، ٥- المائدة: ٦.

* البعد عنها.

** الوجه واليدين والرأس والرجلين.

والطهارة على سبعة أوجه: طهارة العلم من الجهل، وطهارة الذكر من النسيان، وطهارة الطاعة من المعصية، وطهارة اليقين من الشك، وطهارة العقل من الحمق، وطهارة الظن من النميمة، وطهارة الإيمان مما دونه، ولكل عقوبة طهارة إلا عقوبة القلب فإنها قسوة..

قوله تعالى ﴿ **قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا** ﴾[1].

فسئل ما هذه النعمة؟

فقال: أنعم الله عليهما بالخوف والمراقبة، إذ الخوف والهم والحزن يزيد في الحسنات، والأشر والبطر[*] يزيد في السيئات.

قوله ﴿ **أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾[2] يعني غلاظ عليهم.

قوله ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾[3] **قال**: ولاية الله تعالى الاختيار لمن استولاه، ثم أعلم الرسول أنه وليُّ المؤمنين، فيجب عليه أن يوالي من والى الله تعالى والذين آمنوا.

ثم قال: ﴿ **وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾[4] يعني غالبون هوى نفوسهم.

قوله ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾[5] **قال**: يعني حكمه وأمره ونهيه نافذ في ملكه.

قوله ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم** ﴾[6] يعني لو عملوا بما أنزل الله على محمد ﷺ، فلو

١- المائدة: ٢٣.

* البطر والاستكبار.

٢- المائدة: ٥٤. ٣- المائدة: ٥٥. ٤- المائدة: ٥٦. ٥- المائدة: ٦٤. ٦- المائدة: ٦٦.

عملت به لبلغت هذه المنزلة كما بلغها من عمل بها، ولو أقبلت على الرزاق لكفيت مؤنة الرزق.

ثم **قال**: ولست أكبر من عمرو بن الليث، كان يمر وبين يديه ألف راكب وألف غلام، في يد كل غلام عمود من ذهب وفضة، فآل أمره إلى أن حبس في بيت حين حمل إلى الخليفة، ومنع عنه الطعام والشراب، وفتح الباب فوجدوه ميتا وفمه مملوء من الجص والآجر من شدة جوعه.

ثم **قال**: إني نصحت لكم وإني لكم من الناصحين..

وقد **حكى** مالك بن دينار، عن حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، أنهما دخلا على رابعة فذكرا شيئا من أمر الدنيا، فقالت: رابعة: لقد أكثرتما ذكر الدنيا، ما أظنكما إلا جياعا، فإن كنتما جياعا فاعمدا إلى القدر وذلك الدقيق فاصنعا لأنفسكما ما وسوس، قال بعض من كان معها: لو كان لنا ثوم، فقال حماد: فرأيت رابعة حركت شفتيها فما سكتت حتى جاء طير في منقاره رأس ثوم فرمى به ومضى..

قوله تعالى ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾[1] **قيل**: ما هذه العصمة؟ **فقال**: إن الله تعالى وعده أن لا يبتليه كما ابتلى سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إبراهيم بالنار، وإسماعيل بالذبح، وغيرهما، إذ كان لا يشعر بما يفعل به، كما قال ﴿**وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ**﴾[2] فاعلمه الله تعالى أنه يعصمه من الناس.

قوله ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ**﴾[3].

قال: هم القسيسون والرهبان، كان الناس يتمسحون بهم لعلمهم في الدين، قدموا على النبي ﷺ فقرأ عليهم القرآن فرقوا له، ففاضت أعينهم ولم

١- المائدة: ٦٧. ٢- الأحقاف: ٩. ٣- المائدة: ٨٣.

يستكبروا بعصمة الله إياهم عن الاستكبار، فدخلوا في دينه لما وضع الله تعالى من علمه فيهم.

ثم **قال**: فساد الدين بثلاث: الملوك إذا أخذوا فى السرف والشهوات، والعلماء إذا أفتوا بالرخص، والقراء إذا تعبدوا بغير علم(*)، وإن العلماء يحتاج إليهم الخلق فى الدنيا والآخرة(**).

وقد **حكى** عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «إن أهل الجنة يحتاجون إلى العلماء فى الجنة كما يحتاجون إليهم فى الدنيا يزورون ربهم فى كل جمعة، فيقال لهم تمنوا ما شئتم فينطلقون إلى العلماء فيقول لهم العلماء تمنوا كذا تمنوا كذا فيتمنون».

وقوله تعالى ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا** ﴾(١) **يعنى**: لا علم لنا بما كان فى قلوبهم من الإيمان بك وغيره، إنما علمنا بما أظهروا من الإقرار باللسان.

﴿ **إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** ﴾(٢) **فقيل** له: يطالبهم بحقيقة ما فى قلوب الأمة؟ **فقال**: لا، وإنما وقع السؤال بنفسه إياهم عن حقيقة الظاهر الذى لا يظهر إلا بحقيقة الباطن، فأجابوا بالإشارة إلى رد العلم إليه، ويحتمل أن يكون معناه لا علم لنا بمعنى سؤالك مع علمك بما أجبنا إنك أنت علام الغيوب.

قوله تعالى ﴿ **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ** ﴾(٣) أى لا أعلم غيبك فى سؤالك مع علمك به، ويحتمل أن يريد تعلم ما فى سرى ولا أعلم ما فى نفسك المستودع فى سرى، لأن سرك بينك وبينها لا يطلع عليه أحد دونك، وهى العين التى ترى بها الحق، وأذن تسمع بها الحق، ولسان ينادى بالحق، والدليل عليه

---

* على حافظ القرآن أن يعلم حلاله من حرامه وأوامره ونواهيه ويلتزم بكل ما فيه مع تلاوته.

** فى الآخرة أيضا لأجل الشفاعة.

١، ٢- المائدة: ١٠٩. ٣- المائدة: ١١٦.

قوله تعالى: للمنافقين: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾(١) لأنه لم يكن لهم هذه المستودعات، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التى يذكر فيها الأنعام﴾

سئل عن قوله: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾(٢).

قال: أى يريدون وجه الله ورضاه، ولا يغيبون عنه ساعة، ثم **قال**: أزهد الناس أصفاهم مطعما، وأعبد الناس أشدهم اجتهادا فى القيام بالأمر والنهى، وأحبهم إلى الله أنصحهم لخلقه.

وسئل عن العمر(*) قال الذى يضيع العمر.

قوله تعالى ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

وقد **حكى** أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود من عرفنى أرادنى، ومن أرادنى أحبنى، ومن أحبنى طلبنى، ومن طلبنى وجدنى، ومن وجدنى حفظنى.

فقال داود صلوات الله عليه: إلهى أين أجدك إذا طلبتك؟ فقال: عند المنكسرة قلوبهم من مخافتى، فقال: إلهى أتيت أطباء عبادك للتداوى فكلهم دلونى عليك، فبؤسا للقانطين من رحمتك، فهل لى وجه أن تداوينى؟

فقال الله عز وجل: الذين أتيتهم كلهم دلوك علىّ؟ فقال: نعم، قال: فاذهب فبشر المؤمنين، وأنذر الصديقين، فتحير داود، فقال: يا رب غلطت أنا أم

١- البقرة: ١٨، ١٧١.

٢- الأنعام: ٥٢.

* هكذا بياض فى الأصل.

٣- الأنعام: ٥٤.

لا؟ قال: ما غلطت يا داود، قال: وكيف ذلك؟ قال: بشر المذنبين بأني غفور، وأنذر الصديقين بأني غيور.

فسئل من الصديقون؟ **فقال**: الذين عدوا أنفاسهم بالتسبيح والتقديس، وحفظوا الجوارح والحواس، فصار قولهم وفعلهم صدقا، وصار ظاهرهم وباطنهم صدقا، وصار دخولهم فى الأشياء وخروجهم عنها بالصدق، ومرجعهم إلى مقعد صدق بقدم صدق عند مليك مقتدر.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلَكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾(١) **قال**: إن الله تعالى أخذ على أوليائه التذكرة لعباده، كما أخذ التبليغ على أنبيائه صلوات الله عليهم أجمعين، فعلى أولياء الله أن يدلوا عليه، فمتى قعدوا عن ذلك كانوا مقصرين.

قيل له: فقد رأينا كثيرا منهم قعدوا عن ذلك، **فقال**: إنهم لم يقعدوا عنه إلا عند عدم الاحتياج إليه، كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وقد كان عندنا رجل بالبصرة له منزلة رفيعة، لزمه فرض من ذلك فى وقت من الأوقات، فبادر نحوه، فلقيه رجل آخر وقال له: إن الله تعالى أمرنى بما عزمت عليه وكفاك إياه، فرجع إلى منزله وحمد الله تعالى على حسن الكفاية والله أعلم.

وقوله عز وجل ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي** ﴾(٢).

فقال: كان هذا القول منه تعريضا لقومه عند حيرة قلوبهم، لأنه كان أوتى رشده من قبل كما قال ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾(٣).

قيل ما معنى قوله ﴿ **لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي** ﴾(٤) **قال**: يعنى لئن لم يدم لى الهداية.

﴿ **لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ** ﴾(٥) ثم **قال**: كانت ملة إبراهيم عليه السلام

١- الأنعام: ٦٩. ٢- الأنعام: ٧٦. ٣- الأنعام ٧٥. ٤، ٥- الأنعام: ٧٧.

السخاوة، وحاله التبرى من كل شىء سوى الله تعالى، ألا تراه حين قال جبريل عليه السلام هل لك حاجة(*)؟ قال: أما إليك فلا، لم يعتمد على أحد سواه فى كل حال.

وقوله تعالى ﴿ **فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ** ﴾(١) أى: مستقر فى أرحام النساء، ومستودع: يعنى النطفة فى صلب آدم عليه السلام.

وقوله: ﴿ **وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ** ﴾(٢) يعنى اتركوا المعاصى بالجوارح، ومحبتها بالقلب وبالإصرار عليها.

وقوله ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ** ﴾(٣).

(قال سهل): إن الله ميز بين المريد والمراد فى هذه الآية، وإن كان الجميع من عنده، وإنما أراد أن يبين موضع الخصوص من العموم، فخص المراد فى هذه السورة وغيرها، وذكر المريد وهو موضع العموم فى هذه السورة أيضا، وهو قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾(٤) فهو قصد العبد فى حركاته وسكونه إليه، كما قال ﴿ **الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ** ﴾(٥) فكل من وجد حال المريد والمراد فهو من فضل الله عليه.

ألا ترى أنه جمع بينهما فى قوله تعالى ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾(٦).

قيل له: فما الفصل بينهما؟

فقال: المريد الذى يتكلف القصد إليه، والعبادة لله تعالى، ويطلب الطريق إليه، فهو فى الطلب بعدُ، والمراد قيام الله تعالى له بها، والرجل يجد فى نفسه ما يدل على المريد، والمراد يدخل فى الطاعات وقتا يجد ما يحمله على الأعمال

---

* وذلك حينما قذفوه فى النار.

١ــ الأنعام: ٩٨. ٢ــ الأنعام: ١٢٠. ٣ــ الأنعام ١٢٥.

٤ــ الأنعام: ٥٢. ٥ــ الشورى: ٣٨. ٦ــ النحل: ٥٣.

من غير تكلف وجهد، نظرا من الله تعالى له، ثم يخرج بعد ذلك إلى علو المقامات ورفيع الدرجات.

قيل له: ما معنى المقامات؟ **فقال**: هى موجودة فى كتاب الله تعالى فى قصة الملائكة ﴿ **وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ** ﴾(١) وقال ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا** ﴾(٢).

وقيل فى صفة المريد: شغل المريد إقامة الفرض، والاستغفار من الذنب، وطلب السلامة من الخلق.

(وقال سهل): إن الله عز وجل ينظر فى القلوب، والقلوب عنده، فما كان أشدها تواضعا له خصه بما شاء، ثم بعد ذلك ما كان أسرعها رجوعا، وهما هاتان الخصلتان.

وقال: ما اطلع الله على قلب فرأى فيه نهم الدنيا إلا مقته، والمقت أن يتركه ونفسه.

وقال: القلب لا يملكه أحد إلا الله تعالى، ولا يطيع أحدا إلا الله، فإذا ذكرت به فضع سرك مع الله، فإنه ليس من أحد وضعت سرك عنده إلا هتكه إلا الله عز وجل.

قوله ﴿ **لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ** ﴾(٣) **قال**: يعنى سلم فيه من هواجس نفسه، ووساوس عدوه.

قوله تعالى ﴿ **وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾(٤) أى ينتقم الله تعالى من الظالم بالظالم، ثم ينتقم من الجميع بنفسه.

قوله تعالى ﴿ **فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ** ﴾(٥).

(قال سهل): **قيل** لرسول الله ﷺ من أعرض عنك فرغبه فىّ، فإن من رغب

١- الصافات: ١٦٤. ٢- الأحقاف: ١٩. ٣- الأنعام: ١٢٧. ٤- الأنعام: ١٢٩. ٥- الأنعام: ١٤٧.

فينا فضيك رغب لا غير، فاطمعْهم في الرحمة، ولا تقطع قلبك عنهم، فقل ربكم ذو رحمة واسعة.

قوله تعالى: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[1] ما ظهر منها: ما نهى عن إتيانه بالجوارح الظاهرة، وما بطن: يعنى الإصرار عليه، هو على ضربين: فواحد يأتى بمعصية ويبقى مصرا عليها مقيما على إتيانها، وآخر مصر على المعصية لمحبتها فى القلب، ولا يقدر أن يفعلها متى وجدها لضعف جوارحه، وهو على أن يفعلها لراغب، وهذا من أعظم الإصرار.

(**وقال سهل**): من أكل الحلال بالشهوة فهو مُصر، ومن جاوز حاله إلى الغد ما لم يأت الغد فهو مصر.

فسئل عن الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين فى التفكر فيما لا يعنيهم: **فقال**: يجوز عليهم الفعل بالجوارح حتى تابوا إلى الله تعالى عن ذلك، فكيف الفكرة.

قيل له: هل للقلب من تعبد استعبده الله به دون الجوارح؟ فقال: نعم، سكون القلب، **قيل** له: السكون هو الغرض أم العلم الذى به السكون؟ **فقال**: هو علم أسميه السكون، يجر ذلك السكون إلى اليقين، فالسكون مع اليقين فريضة.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾[2] **قال**: تكلَّم أهل الصدق على أربعة أوجه: قوم تكلموا فى الله وبالله ولله ومع الله، وقوم تكلموا فى أنفسهم لأنفسهم فسلموا من آفة الكلام، وقوم تكلموا فى الخلق ونسوا أنفسهم، وابتذعوا وضلوا وبئس ما صنعوا إلى أنفسهم، فاتركوا الكلام للعلم، ثم تكلموا على الضرورة تسلموا من آفات الكلام، يعنى أن لا تتكلم حتى تخاف من الإثم.

ثم قال: من ظن حُرم اليقين، ومن تكلم بما لا يعنيه حرم الصدق، ومن شغل جوارحه فى غير الله حرم الورع، فإذا حُرم العبد هذه الثلاثة هلك، وهو مثبت فى ديوان الأعداء.

١- الأنعام: ١٥١.

٢- الأنعام: ١٥٢.

وقد حكى عن الربيع بن خثيم رحمه الله أنه قال: ما أنا عن نفسي براض، فأتفرغ من نفسي إلى ذم الناس، خافوا الله في ذنوب العباد، وتوائبوا في ذنوب أنفسهم.

قوله عز وجل ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً ﴾(١) **قال**: الطريق المستقيم هو الذي لا يكون لأصحاب الأهواء والبدع في الدين هم ليست لهم توبة، كما روى عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل ذنب توبة إلا لأصحاب البدع والأهواء وإني منهم بريءٌ وهم مني برآء وأن الله عز وجل حجز عنهم التوبة» أي ضيق عليهم التوبة(*).

قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

قال: يعني عقوبة القلب، وهو الستر والحجاب حتى يميل إلى من سواه، وما من عبد يطلع الله على قلبه فيرى فيه غيره إلا سلط عليه عدوه، وإنه لغفور لمن تاب منه.

قال: ولا يقال لشيء من المضار عقوبة، فإنها طهارة وكفارة، إلا قسوة القلب فإنها عقوبة، وعقوبات العلانية العذاب، وعقوبات القلب درجات، فالقلب للنفس فيه حظ ومراد.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾(٣) **قال**: المحجوب الذي يسلط الله عليه عدوه، لا يجول قلبه في الملكوت، ولا تظهر له القدرة، ولا يشاهد الله، والقلب القاسي أن يكله الله إلى تدبيره وأسبابه، وإنما مثل ميل القلب اللسان، إذا تكلم اللسان بشئ لم يتكلم بغيره، كذلك القلب إذا هم بشيء لم يكن معه غيره، والله سبحانه وتعالى أعلم.

١- الأنعام: ١٥٣.

* إن الله أباح التوبة لكل خلقه حتى لإبليس ولكن لشقوتهم لا يتوبون.

٢- الأنعام: ١٦٥.

٣- الأنعام: ١٥٩.

﴿السورة التى يذكر فيها الأعراف﴾

قوله عز وجل ﴿الٓمٓصٓ﴾(١) يعنى أنا الله أقضى بين الخلق بالحق، ومن هذه الحروف اسم الله تعالى وهو الصمد.

قوله تعالى ﴿**لأَقْعُدَنَّ**(*) **لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾(٢) **أى**: شرائع الإسلام بعد أن بينها الله تعالى لهم، لقوله تعالى ﴿**أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ**﴾(٣) **أى**: أولم نبين لهم طريق الخير، وهو الأمر، وطريق الشر وهو النهى، فمالوا إلى حظ نفوسهم كما ﴿**قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ**﴾(٤).

قوله ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ**﴾(٥) **قال**: الوسوسة ذكر الطبع، ثم النفس، ثم الهم والتدبير، ووسواس العدو على ثلاثة مقامات: **فالأول**: يدعوه ويوسوس له، والثانى: يا من إذا علم أنه يقبل، والثالث: ليس له إلا الانتظار والطمع وهو للصديقين.

وقوله تعالى ﴿**وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾(٦) **فقال**: اطلبوا من السر بالنية الإخلاص، فإن الرياء لا يعرفه إلا المخلصون، واطلبوا من العلانية الفعل بالاقتداء، فإن من لم يكن اقتداؤه فى جميع أموره بالنبى ﷺ فهو ضال، وغير هذين مغاليط.

قوله تعالى ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾(٧) **قال**: الأكل على خمسة: الضرورة، والقوام، والقوت، والمعلوم، والفقد، والسادس لا خير فيه وهو التخليط.

فإن الله تعالى خلق الدنيا فجعل العلم والحكمة فى الجوع، وجعل الجهل والمعصية فى الشبع، فإذا جعتم فاطلبوا الشبع ممن ابتلاكم بالجوع، وإذا شبعتم

١- الأعراف: ١.

* القائل لأقعدن هو إبليس عليه من الله اللعنة.

٢- الأعراف: ١٦. ٣- السجدة: ٢٦. ٤- يس: ١٩.

٥- الأعراف: ٢٠. ٦- الأعراف: ٢٩. ٧- الأعراف: ٣١.

فاطلبوا الجوع ممن ابتلاكم بالشبع، وإلا تماديتم وطغيتم، ثم قرأ ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾(١).

وقال: إن الجوع سر من أسرار الله تعالى في الأرض، لا يودعه عند من يذيعه.

وقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾(٢) **قال**: يعني الحسد بقلبه، والفعل بجوارحه، ولو أن يترك التدبير فيهما كان من أوتاد الأرض، ولكن العبد بين حالين: إما أن يدبر بقلبه ما لا يعنيه، أو يعمل بجوارحه ما لا يعنيه، ليس ينجو من أحدهما إلا بعصمة الله تعالى، فعيش القلوب اليقين، وظلمتها التدبير.

(قال): وكنا مع سهل عند غروب الشمس، فقال لأحمد بن سالم: اترك الحيل حتى نصلي العشاء بمكة.

وقوله تعالى ﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾(٣) **قال**: من تكلم عن الله من غير إذن، وعلى غير سبيل الحرمة وحفظ الأدب، فقد هتك الستر، وقد منع الله تعالى أن يقول عليه أحد ما لم يعلم.

وقوله تعالى ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾(٤) **قال**: هو الأهواء والبدع.

وقوله تعالى ﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾(٥) **قال**: أصحاب الأعراف هم أهل المعرفة، قال الله تعالى ﴿ يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾(٦) إقامتهم لشرفهم في الدارين وأهلهما، يعرفهم الملكان كما أشرفهم على أسرار العباد في الدنيا وأحوالهم.

١- العلق: ٦، ٧. ٢، ٣- الأعراف: ٣٣. ٤- الأعراف: ٤٣.
٥- الأعراف: ٤٦. ٦- الأعراف: ٤٨.

وقولـه تعالى: ﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ﴾[1] **قال**: أن لا تفسدوا الطاعة بالمعصية، وذلك أن من كان مقيما على المعصية على أدنى منهى فجميع حسناته ممزوجة بتلك المعصية، ولا تخلص له حسناته البتة، وهو مقيم على سيئة واحدة حتى يتوب وينخلع عن ذلك المنهى، ويصفيها عن كدورات المعاصي في السر والعلانية.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾[2] ومن لم ينصح الله في نفسه ولم ينصحه في خلقه هلك، ونصيحة الخلق أشد من النفس، وأدنى نصيحة النفس الشكر، وهو أن لا يعصى الله بنعمه وسمعته مرة أخرى، **يقول**: النصيحة أن لا تدخل في شيء لا تملك صلاحه.

وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾[3] **قال**: يعني فقد قلوبهم بالجهل عن العلم والشدة في دنياهم حتى اشتغلوا بها عن آخرتهم، ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا ﴾[4] **أي**: كثروا ليس هو العفو بعينه، قال الله تعالى ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾[5] **أي**: الفضل في أموالهم التي هي وديعة الله عندهم، لأن الله تعالى قد ابتاعها منهم، فليس له نفس ولا مال.

قيل له: فاين نفسه؟ **قال**: دخلت تحت مبايعة الله تعالى، **قال**: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾[6].

وقوله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴾[7] قال: المكر المضاف إلى تدبيره في سابق علمه من قدرته، فلا ينبغي لأحد أن يأمن مكره، لأن أمن المكر لا يدفع القدر، ولا يخرج أحدا عن قدرة الله تعالى، ولا يخلو أحد من خوف، وإن بلغ كل خوف، وإذا عرف منزلته عند الله تعالى ازداد علمه وتكاملت رغبته.

١- الأعراف: ٥٦. ٢- الأعراف: ٦٨. ٣- الأعراف: ٩٤. ٤- الأعراف: ٩٥.
٥- الأعراف: ١٩٩. ٦- التوبة: ١١١. ٧- الأعراف: ٩٩.

فأما من لم يعرف منزلته فذلك عار عليه.

قال عمر بن واصل: فقلت له: كيف يزداد مع علمه منزلة؟ **فقال**: هما رجلان، فرجل ازداد وطلب الزيادة وحرص لذلك، ورجل أضعف منه كان ذلك منه شكرا لئلا يسلب ما أعطاه.

وقوله تعالى ﴿ **قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا** ﴾(١) **قال**: أمرهم أن يستعينوا بالله على أمر الله، فيقهروا ما فيها ويستولوا عليها وعلى مخالفتها، وأن يصبروا على ذلك تأدبا.

قوله ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾(٢) **قال**: هو أن يحرمهم فهم القرآن، والاقتداء بالرسول ﷺ.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «من أعطى فهم القرآن فقد أعطى الخير الكثير، ومن فاته فهم القرآن فقد فاته علم عظيم».

وقال النبي ﷺ: «من تعظيم الله إكرام ذى الشيبة فى الإسلام وإكرام الإمام العادل وإكرام حامل القرآن غير الغالى فيه»

قوله ﴿ **وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً** ﴾(٣) **قال**: ردهم إلى سابق علمه فيهم، أنهم سيفعلون ذلك لخذلانه إياهم، بما دلتهم عليه أنفسهم الطبيعية من الحركة في النهى، والسكون في الأمر، وادعاء الحول والقوة على ما جبلت عليه أنفسهم، والاغترار به..

قوله تعالى ﴿ **وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ** ﴾(٤) **قال**: عجل كل إنسان ما أقبل عليه، فأعرض به عن الله من أهل وولد، ولا يتخلص من ذلك إلا بعد إفناء جميع حظوظه من أسبابه، كما لم يتخلص عبدة العجل من عبادته إلا بعد قتل النفوس.

١- الأعراف: ١٢٨. ٢، ٣- الأعراف: ١٤٦. ٤- الأعراف: ١٤٨.

قوله عز وجل ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾(١) قال: يعني ندموا، يقال سقط الرجل في يديه إذا ندم على أمر.

قوله تعالى ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾(٢) أي: تبنا إليك.

قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾(٣) قال: يعدون في اتباع الهوى في السبت.

قوله تعالى ﴿ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾(٤) أي: تركوا العمل به.

وقوله ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ ﴾(٥) قال: يعني فتقنا وقد زعزعنا، كما قال العجاج

قد ربوا أحلامنا الجلائلا وفتقوا أحلامنا الأثاقلا

وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾(٦) قال: إن الله تعالى أخذ الأنبياء من ظهر آدم عليهم الصلاة والسلام، ثم أخذ من ظهر كل نبي ذريته كهيئة الذر، لهم عقول، فأخذ من الأنبياء ميثاقهم.

كما قال ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾(٧).

وكان الميثاق عليهم أن يبلغوا عن الله تعالى أمره ونهيه، ثم دعاهم جميعا إلى الإقرار بربوبيته لقوله تعالى ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وأظهر قدرته، حتى قالوا بلى، فجمع الله مراده من خلقه، وما هم عليه من الابتداء والانتهاء في قولهم (بلى) إذ هو على جهة الابتلاء.

وقد قال الله تعالى ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾(٨) وأشهد الأنبياء عليهم حجة، كما قال ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾، ثم أعادهم في صلب آدم عليه السلام.

١- الأعراف: ١٤٩. ٢- الأعراف: ١٥٦. ٣- الأعراف: ١٦٣. ٤- الأعراف: ١٦٩.
٥- الأعراف: ١٧١. ٦- الأعراف: ١٧٢. ٧- الأحزاب: ٧. ٨- هود: ٧.

ثم بعث الأنبياء ليذكرهم عهده وميثاقه، وكان فى علمه يوم أقروا بما أقروا به من يكذب به ومن يصدق به، فلا تقوم الساعة حتى تخرج كل نسمة قد أخذ الميثاق عليها، ثم تقوم الساعة.

فقيل: ما علامة السعادة والشقاوة؟ **قال**: إن من علامات الشقاوة إنكار القدرة وإن من علامة السعادة أن تكون واسع القلب بالإيمان، وأن ترزق الغنى فى القلب، والعصمة فى الطاعة، والتوفيق فى الزهد، ومن ألهم الأدب فيما بينه وبين الله تعالى طهر قلبه، ويرزق السعادة، وليس شىء أضيق من حفظ الأدب.

فقيل له: ما الأدب؟ **قال**: اجعلوا طعامكم الشعير، وحلواكم التمر. وإدامكم الملح، ودسمكم اللبن، ولباسكم الصوف، وبيوتكم المساجد، وضياءكم الشمس، وسراجكم القمر، وطيبكم الماء، وبهاكم النظافة، وزينتكم الحذر، وعملكم الارتضاء أو **قال**: الرضا، وزادكم التقوى، وأكلكم بالليل، ونومكم بالنهار، وكلامكم الذكر، وصمتكم وهمتكم التفكر، ونظركم العبرة، وملجأكم وناصركم مولاكم، واصبروا عليه إلى الممات.

وقال: ثلاث من علامات الشقاوة: أن تفوته الجماعة وهو بقرب من المسجد، وأن تفوته الجمعة وهو فى المدينة، وأن يفوته الحج وهو بمكة.

(قال سهل): والذرية ثلاث أول وثانى وثالث.

فالأول: محمد ﷺ، لأن الله تعالى لما أراد أن يخلق محمدا ﷺ أظهر من نوره نورا، فلما بلغ حجاب العظمة سجد لله سجدة، فخلق الله من سجدته عمودا عظيما كالزجاج من النور، أى باطنه وظاهره فيه عين محمد ﷺ، فوقف بين يدى رب العالمين بالخدمة ألف ألف عام بطبائع الإيمان، وهو معاينة الإيمان، ومكاشفة اليقين، ومشاهدة الرب، فأكرمه الله تعالى بالمشاهدة قبل بدء الخلق بألف ألف عام.

وما من أحد فى الدنيا إلا غلبه إبليس لعنه الله فأسره إلا الأنبياء صلوات الله عليهم، والصديقون الذين شاهدت قلوبهم إيمانهم فى مقاماتهم، وعرفوا اطلاع الله عليهم فى جميع أحوالهم، فعلى قدر مشاهدتهم يعرفون الابتلاء، وعلى قدر معرفتهم الابتلاء يطلبون العصمة، وعلى قدر فقرهم وفاقتهم إليه يعرفون الضر والنفع، ويزدادون علما وفهما ونظرا.

ثم قال: ما حمل الله على أحد من الأنبياء ما حمل على نبينا محمدﷺ من الخدمة، وما من مقام خدمة خدم الله تعالى بها من ولد آدم عليه السلام إلى أن بعث نبيناﷺ إلا وقد خدم الله بها نبيناﷺ.

وقد سئل عن معنى قولهﷺ «إنى لست كأحدكم إن ربى يطعمنى ويسقين(*)».

فقال: ما كان معه طعام ولا شراب، ولكنه كان يذكر خصوصيته عند الله تعالى، فيكون كمن أكل الطعام، وشرب الشراب، ولو كان معه شراب أو طعام لآثر أهله وأهل الصُّفة(**) على نفسه.

الثانى: آدم صلوات الله عليه، خلقه من نور، قال عليه السلام: وخلق محمداﷺ يعنى جسده من طين آدم عليه السلام.

والثالث: ذرية آدم، وأن الله عز وجل خلق المريدين من نور آدم، وخلق المرادين من نور محمدﷺ، فالعامة من الخلق يعيشون فى رحمة أهل القرب، وأهل القرب يعيشون فى رحمة المقرب، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم.

وقوله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾[1] **يعنى** بلعام بن باعوراء(***)،

* فقد نهى عن الوصال فى الصيام وواصل هو وعندما سئل عن ذلك قال ما قال.

** قلنا هم الفقراء أضياف الإسلام لم يكن لهم ماوى إلا المسجد النبوى رضى الله عنهم.

١ـ الأعراف: ١٧٦.

*** انظر قصته فى كتاب: من قصص القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف لابن كثير ـ تحقيق طه عبد الرءوف سعد.

ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه وأعرض لمتابعة هواه، وأن الله تعالى قسم الأعضاء في الهوى لكل عضو حظا منه، فإذا مال عضو من أعضائه إلى الهوى يرجع ضره إلى القلب.

واعلموا أن للنفس سرا، ما ظهر ذلك السر على أحد من خلقه إلا على فرعون، فقال ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ**﴾[1]

فقال: كيف نسلم من الهوى؟ **فقال**: من ألزم نفسه الأدب سلم منه، فإنه من قهر نفسه بالأدب عَبَدَ الله عز وجل بالإخلاص.

قال: وللنفس سبعة حجب سماوية، وسبعة حجب أرضية، فكلما يدفن العبد نفسه أرضا سما قلبه سماء سماء، فإذا دفن النفس تحت الثرى وصل القلب إلى العرش.

وقد حكى عن كهمس أنه كان يصلى كل يوم وليلة ألف ركعة، وكان يسلم بين كل ركعتين ثم يقول لنفسه: قومي يا مأوى كل شر، ما رضيت عنك.

قوله تعالى ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[2] **قال**: إن وراء الأسامي والصفات صفات لا تخرقها الأفهام، لأن الحق نار تتضرم لا سبيل إليه، ولا بد من الاقتحام فيه.

وقوله ﴿**وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾[3] يعني يجورون في أسمائه يكذبون.

وقوله ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ**﴾[4].

قال: يعني نمدهم بالنعم، وننسيهم الشكر عليها، فإذا سكنوا وحجبوا عن المنعم أُخذوا.

١- النازعات: ٢٤. ٢- الأعراف: ١٨٠. ٣- الأعراف: ١٨٠. ٤- الأعراف: ١٨٢.

وقوله ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(١).

قال: ذكر الله تعالى قدرته في خلقه، ووصف حاجتهم إليه، وما خلق من شيء سمعوه ولم يروه فاغتروا به، ولو شاهدوا ذلك بقلوبهم لآمنوا بالغيب، فأداهم الإيمان إلى مشاهدة الغيب الذي غاب عنهم، وورثوا درجات الأبرار فصاروا أعلاما للهدى.

وقوله ﴿لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾(٢) **يعني**: لا يجلي نفس الطبع من الهوى إلى طاعته إلا هو هذا باطن الآية(*).

قوله ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾(٣) أي عالم بوقتها.

قوله ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾(٤) فكيف ينفع غيره من لم يملك نفعه، وإنما ذلك إلى الله تعالى.

وقوله ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾(٥) قال: هي القلوب التي لم يزينها الله تعالى بأنواره والقربة، فهو أعمى عن درك الحقائق ورؤية الأكابر..

وقوله ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾(٦) ما حقيقة الذكر؟ **قال**: تحقيق العلم بأن الله تعالى مشاهدك، وتراه بقلبك قريبا منك، وتستحي منه ثم تؤثره على نفسك في أحوالك كلها.

ثم قال: ليس من ادعى الذكر فهو ذاكر.

فقيل له: ما معنى قوله ﷺ «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى»

قوله: ذكر الله ههنا الزهد عن الحرام، وهو أن يستقبله حرام فيذكر الله تعالى، ويعلم أنه مطلع عليه فيتجنب ذلك الحرام.

وقوله ﴿وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾(٧).

١- الأعراف: ١٨٥. ٢، ٣- الأعراف: ١٨٧.

* أما ظاهرها فإن الله تعالى يتحدث عن قيام الساعة.

٤- الأعراف: ١٨٨. ٥- الأعراف: ١٩٨. ٦، ٧- الأعراف: ٢٠٥.

(**قال سهل**) : حقا أقول لكم ولا باطل، يقينا ولا شك، ما من أحد ذهب منه نفس واحد فى غير ذكر الله إلا وهو غافل عن الله عز وجل.

وقال : غفلة الخاص السكون إلى الشيء، وغفلة العام الافتخار بالشيء، يعنى السكون، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها الأنفال ﴾

قوله تعالى ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ** ﴾(١) **قال** : التقوى ترك كل شيء تقع عليه، فهو فى الآداب مكارم الأخلاق، وفى الترغيب أن لا يظهر ما فى سره، وفى الترهيب أن لا يقف مع الجهل، ولا تصح التقوى إلا بالمقتدِى بالنبى ﷺ، وبالصحابة.

قوله ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾(٢) **قال** : هاجت من خشية الفراق، فخشعت الجوارح لله بالخدمة.

وقوله تعالى ﴿ **إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ** ﴾(٣) **قال** : النعاس ينزل من الدماغ والقلب حى، والنوم على القلب من الظاهر، وهو حكم النوم، وحكم النعاس حكم الروح.

وقوله ﴿ **إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ** ﴾(٤) وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم انصر أفضل الدينين عندك وأرضاهما لديك، فنزل ﴿ **إِن تَسْتَفْتِحُوا** ﴾ يعنى تستنصرون.

وقد روى عن النبى ﷺ : أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين أى يستنصر بفقرائهم(*).

١- الأنفال : ١. ٢- الأنفال : ٢. ٣- الأنفال : ١١. ٤- الأنفال : ١٩.

* فالنصر والرزق إنما هو بالفقراء.

وقوله ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾[١] أى لفتح أقفال قلوبهم بالإيمان.

وقوله ﴿ **إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا** ﴾[٢] أى نورا فى الدين من الشبهة بين الحق والباطل.

وقوله ﴿ **لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** ﴾[٣] **قال**: الخبيث على ضروب: الكفر، والنفاق، والكبائر.

والطيب على ضروب: وهو الإيمان فيه درجة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، فأخبر الله تعالى أنه يميز بينهما، ثم يجعل الخبيث بعضه على بعض على مقدار ذنوبهم، طبقة طبقة، كما قال ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** ﴾[٤].

وقوله ﴿ **وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾[٥] أى دولتكم.

وقوله ﴿ **نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ** ﴾[٦] من حيث جاء.

وقوله ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾[٧].

قال: إن الله تعالى خص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبعض الصديقين بمعرفة أنعم الله عليهم قبل زوالها، وحلم الله عنهم.

وقوله ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا** ﴾[٨] **قال**: الحلال ما لا يعصى الله فيه، والطيب ما لا ينسى الله فيه.

وقوله ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ** ﴾[٩].

١- الأنفال: ٢٣. ٢- الأنفال: ٢٩. ٣- الأنفال: ٣٧. ٤- النساء: ١٤٥. ٥- الأنفال: ٤٦.
٦- الأنفال: ٤٨. ٧- الأنفال: ٥٣. ٨- الأنفال: ٦٩. ٩- الأنفال: ٧٢.

قـــال : جـميع الطاعـات لله جـهـاد النفس، وليس جـهـاد أسـهـل من جـهـاد السيف، ولا جهاد أشد من مخالفة النفس(*).

﴿السورة التى يذكر فيها التوبة﴾

(قال سهل) : أخبرنى محمد بن سوار، عن مالك بن دينار، ومعروف بن علىّ، عن الحسن، عن محارب بن دينار، عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «لما أنزلت سورة براءة بعثت بمداراة الناس»

قوله تعالى ﴿**فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ**﴾(١) يعنى سيروا فيها اعتبارا، وبالله إقرارا.

وقوله تعالى ﴿**إِلاًّ وَلا ذِمَّةً**﴾(٢) **قال** : الإل هو القرابة، والذمة العهد.

قوله ﴿**وَلِيجَةً**﴾(٣) **قال** عمر بن واصل العنبرى : كل شىء أدخلته شيئا وليس منه فهو وليجة.

(قال سهل) : يعنى لم يغفلوا عنه بميل القلوب إلى أنفسهم.

قوله ﴿**وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ**﴾(٤) أى لا يطيعون، ومن كان فى سلطان رجل فهو فى دينه، كما قال الله تعالى ﴿**مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ**﴾(٥) أى فى سلطانه، كذلك إذا دخلت النفس فى الإخلاص لله تعالى كانت داخلة فى سلطان القلب والعقل، ونفس الروح، وطاعة البدن بالذكر لله تعالى.

قوله ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾(٦) يعنى يريدون أن يردوا القرآن بتكذيبهم بالسنتهم، ﴿**وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ**﴾ أى يظهر دينه الإسلام.

قوله عز وجل ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾(٧) **قال** : يعنى نسوا نعم الله عندهم فأنساهم شكر النعم.

---

* يقول ﷺ بعد رجوعه من إحدى الغزوات رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس.

١– التوبة : ٢. ٢– التوبة : ٨. ٣– التوبة : ١٦. ٤– التوبة : ٢٩.

٥– يوسف : ٧٦. ٦– التوبة : ٣٢. ٧– التوبة : ٦٧.

قوله ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[1] **قال**: موالاته مع المؤمنين كف الأذى عنهم.

قال: واعلموا أن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يكون لعباد الله كالأرض، إذ هم عليها ومنافعهم منها.

وقال: الوصول عندنا سبع: التمسك بكتاب الله، والاقتداء برسول الله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق.

قوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾[2] **قال**: جاهد نفسك بسيف المخالفة، وحمّلها حمولات الندم، وسيرها في مفاوز الخوف، لعلك تردها إلى طريق التوبة والإنابة.

ولا تصح التوبة إلا من متحير في أمره، مبهوت في شأنه، واله القلب مما جرى عليه، قال الله تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾[3] الآية.

قوله: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ﴾[4] **قال**: هذه الطهارة أراد بها الذكر لله تعالى سرا وعلانية والطاعة له.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾[5].

يعني اشتراها من شهوات الدنيا، وما يوجب الاشتغال عن ذكره، حتى تكون نفسه وماله خالصة له، فمن لم يبع من الله حياته الفانية وشهواته الزائلة كيف يعيش مع الله تعالى، وكيف يحيا حياة طيبة.

يقول تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ﴾ بما لا خير فيه وعوضهم ما فيه الخير كله، مع أن ما في الكونين فهو ملكه، وهذا من غاية لطفه وكرمه بعباده المؤمنين.

١- التوبة: ٧١. ٢- التوبة: ٧٣. ٣- التوبة: ١١٨.

٤- التوبة: ١٠٨. ٥- التوبة: ١١١.

وقد حكى عن مالك بن دينار أنه مر بقصر يعمر فسأل الأجراء عن أجرتهم: فأجابه كل واحد منهم بما كانت أجرته، ولم يجبه واحد، فقال: ما أجرتك؟ فقال: لا أجر لي، فقال: ولم ذلك؟ قال: لأني عبد صاحب القصر، فقال مالك: إلهي ما أسخاك، الخلق كلهم عبيدك كلفتهم العمل ووعدتهم الأجر.

قوله ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾(١)

(قال سهل): ليس شيء في الدنيا من الحقوق أوجب على الخلق من التوبة، فهي واجبة في كل لمحة ولحظة، ولا عقوبة عليهم أشد من فقد علم التوبة.

فقيل: ما التوبة؟ **فقال**: أن لا تنسى ذنبك، **وقال**: أول ما يؤمر به المبتدئ التحويل من الحركات المذمومة إلى الحركات المحمودة وهي التوبة، ولا تصح له التوبة حتى يلزم نفسه الصمت، ولا يصح له الصمت حتى يلزم الخلوة، ولا تصح له الخلوة إلا بأكل الحلال، ولا يصح له أكل الحلال إلا بأداء حق الله تعالى، ولا يصح له أداء الحق إلا بحفظ الجوارح والقلب، ولا يصح له ما وصفنا حتى يستعين بالله عز وجل على جميعه.

فقيل: ما علامة صدق التوبة؟ **قال**: علامتها أن يدع ماله سوى ما ليس له.

وسئل (سهل) عن الرجل يتوب ويقلع عن ذلك الذنب، ثم يخطر ذلك بقلبه أو يراه أو يسمع به فيجد حلاوة ذلك الذنب السيئ كيف الحيلة فيه؟

فقال: وجدان الحلاوة من الطبع لا يتحول، فيصير المحبوب مكروها، ولكن يقهر عزم القلب فيرجع في ذلك إلى الله عز وجل، ويرفع إليه شكواه، ويلزم نفسه وقلبه الإنكار، ولا يفارقه، فإنه إن غفل عن الإنكار طرفة عين تخوفت عليه أن لا يسلم منه.

١- التوبة: ١١٢.

قال: دعوا القال والقيل كله فى هذا الزمان، وعليكم بثلاث: توبوا إلى الله عز وجل مما تعرفونه بينكم وبينه، وأدوا مظالم العباد التى قبلكم، فإذا أصبحتم فلا تحدثوا أنفسكم بالمساء، وإذا أمسيتم فلا تحدثوا أنفسكم بالصباح، لأن الأحداث قد كثرت، والخطر عظيم، فاتقوا الله والزموا أنفسكم التوبة.

قوله تعالى ﴿ **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ** ﴾[1] **قال**: ليتعلموا ما يحتاج إليه فى أمر الدين.

وقد **حكى** عن الحسن البصرى أنه قال: الفقيه هو الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير فى أمر دينه.

(وسئل سهل) عن معنى قوله ﷺ «طلب العلم فريضة على كل مسلم» **فقال**: يعنى علم الحال، **قيل**: وما علم الحال؟ **قال**: من الباطن الإخلاص، ومن الظاهر الاقتداء، فمن لم يكن ظاهره أمام باطنه، وباطنه كمال ظاهره، فهو فى تعب من البدن.

قيل: وما تفسير ذلك؟ **قال**: إن الله قائم عليك فى سرك وعلانيتك، وحركتك وسكونك، لا تغيب عنه طرفة عين، كما قال ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾[2] وقال: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾[3] الآية، وقال: ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾[4] وهو العرق الذى فى جوف القلب، فأخبر أنه أقرب إلى القلب من ذلك العرق، فإذا علمت ذلك ينبغى أن تستحى منه.

وما هاج فى القلب شىء مما تهوى النفس، فذكر العبد قيام الله عز وجل عليه فتركه، إلا دخل قلبه من علم حاله ما لو قسم ما أعطى ذلك العبد على أهل المدينة لسعدوا جميعا وفازوا به.

١- التوبة: ١٢٢. ٢- الرعد: ٣٣. ٣- المجادلة: ٧. ٤- ق: ١٦.

وقد أشار إليه مالك بن أنس رضى الله عنهما: حيث قال: ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يجعله الله فى القلب.

قيل له: كيف يعرف الرجل الحال والعمل به؟ **فقال**: إذا كنت تتكلم فحالك الكلام، وإذا سكت فحالك السكوت، وإذا قمت فحالك القيام، وإذا قعدت فحالك القعود، والعلم به أن تنظر أن هذا الحال لله أو لغيره، فإن كانت لله استقررت عليها، وإن كانت لغيره تركتها، وهو المحاسبة التى أمر بها عمر رضى الله عنه حيث قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا.

وقد كان عمر رضى الله عنه يضرب نفسه بالدرة فى المحاسبة.

﴿ السورة التى يذكر فيها يونس عليه السلام ﴾

قوله تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ** ﴾[1] **قال**: يعنى سابقة رحمة أودعها محمدا ﷺ.

قوله ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ** ﴾[2] **قال**: يقضى القضاء وحده، فيختار للعبد ما هو خير له، فخيرة الله خير له من خيرته لنفسه.

(**وقيل لسهل**) حين احتضر: فيم تكفن وأين تقبر ومن يصلى عليك بعد موتك؟ **فقال**: أدبر أمرى حيا وميتا، وقد كفيت عنه بسابق تدبير الله تعالى لعبده.

قوله تعالى ﴿ **وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ** ﴾[3] **قال**: الدعاء هو التبرى مما سوى الله تعالى.

قوله ﴿ **دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾[4] **قال**: الإخلاص هو المشاهدة، وحياة القلب فى شيئين: الإيمان فى الأصل، والإخلاص فى الفرع، وأن الإخلاص

١- يونس: ٢. ٢- يونس: ٣. ٣- يونس: ١٢. ٤- يونس: ٢٢.

خطر عظيم، وصاحبه منه على حذر حتى يصل إخلاصه بالموت، لأن الأعمال بالخواتيم ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾(١).

قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢).

قال: الدعوة عامة، والهداية خاصة، فإنه رد الهداية إلى المشيئة، وهى سابقة القدر من الله تعالى.

قوله تعالى ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾(٣) يعنى كنتم تستعجلون بالجحود بنا وتذكرون غيرنا، فإذا صرتم إلينا، وعاينتم ما وعدناكم من عذابنا، آمنتم حين لا ينفع.

فلا بد للخلق كلهم من الإقرار بالتوحيد فى الآخرة، عند تجلى حكم الذات، وتزول الأضداد والأنداد، والدعاوى بها لزوال الشك وخوف العذاب.

قوله تعالى ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾(٤) **أى**: بتوحيده ونبيه محمدﷺ كما قال ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٥).

قوله تعالى ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٦).

(قال سهل): هم الذين وصفهم رسول اللهﷺ إذا رُءوا ذُكر الله، وهم المجاهدون فى الله، السابقون إليه، الذين توالت أفعالهم على الموافقة، أولئك هم المؤمنون حقا.

وقال: أجتمع الخير كله فى هذه الأربعة، وبها صاروا أبدالا أخماص البطون، والاعتزال عن الخلق، وسهر الليل، والصمت.

قيل له: لم سمى الأبدال(*) أبدالا؟ **فقال**: لأنهم يبدلون الأحوال، أخرجوا

---

١ ـ الحجر: ٩٩. ٢ ـ يونس: ٢٥. ٣ ـ يونس: ٥١.
٤ ـ يونس: ٥٨. ٥ ـ الأنبياء: ١٠٧. ٦ ـ يونس: ٦٢.

* الزهاد وطبقة من مراتب السلوك عند السادة الصوفية.

أبدانهم عن الحيل في سرهم، ثم لا يزالون ينقلون من حال إلى حال، ومن علم إلى علم، فهم أبدا في المزيد من العلم فيما بينهم وبين ربهم.

قيل: الأوتاد(*) أفضل أم الأبدال؟ **قال**: الأوتاد، **قيل**: وكيف ذلك؟ **قال**: لأن الأوتاد قد بلغوا، وثبتت أركانهم، والأبدال ينقلبون من حال إلى حال.

(وقال سهل): لقيت ألفا وخمسمائة صديق، فمنهم أربعون بديلا وسبعة أوتاد، وطريقهم ومذهبهم ما أنا عليه.

وكان **يقول**: أنا حجة الله عليكم خاصة، وعلى الناس عامة.

وكان من طريقه وسيرته: أنه كان كثير الشكر والذكر، دائم الصمت والفكر، قليل الخلاف، سخي النفس، قد ساد الناس بحسن الخلق والرحمة والشفقة عليهم، والنصيحة لهم، متمسكا بالأصل، عاملا بالفرع، قد خشي الله ملىء قلبه نورا، وأنطق الله لسانه بالحكمة.

وكان من خير الأبدال، وإن قلنا من الأوتاد، فقد كان القطب الذى يدور عليه الرحى، ولو أن الصحابة لا يقاس بهم أحد لصحبتهم ورؤيتهم لكان كأحدهم، عاش حميدا ومات غريبا بالبصرة رحمة الله عليه.

وقد كان رجل يصحب سهلا يقال له عبد الرحمن بن أحمد فقال يوما لسهل: يا أبا محمد إنى ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء من بين يدى فيصير قضبان ذهب وفضة، **فقال** سهل: يا حبيبى أما علمت أن الصبى إذا بكى يناول خشخاشة(**) حتى يشتغل بها، فانظر أي شيء هو هذا يعمل.

وقال: كان فى منزله بيت يقال له بيت السباع، وكانت السباع تجئ سهلا، فكان يدخلها ذلك البيت ويضيفها فيطعمها اللحم ثم يخليها.

قوله ﴿**وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ**﴾[1] **قال**: أجرى الله فى الخلق

---

* الأوتاد أربعة رجال منازلهم أربعة أركان من العالم شرقي وغربي وشمالي وجنوبي مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة.

** نوع من المخبوزات.

1- يونس: ١٠٩.

أحكامه، وأيدهم على اتباعها بفضله وقدرته، ودلهم على رشدهم بقوله ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ ﴾[1] فالصبر على الاتباع ترك تدبير النفس، ففيه النجاة عاجلا من رعونات النفس، وآجلا من حياء المخالفة.

﴿ السورة التي يذكر فيها هود عليه السلام ﴾

قوله تعالى: ﴿ **فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾[2] أي بين فيها الوعد على الطاعة، والوعيد بالعقاب على المعصية والإصرار عليها.

قوله ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ** ﴾[3] **قال**: الاستغفار هو الإجابة، ثم الإنابة، ثم التوبة، ثم الاستغفار، فالإجابة بالظاهر، والإنابة بالقلب، والتوبة مداومة الاستغفار من تقصيره فيها.

قوله ﴿ **يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا** ﴾[4] **قال**: ترك الخلق والإقبال على الحق.

قوله ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ** ﴾[5] **قال**: يعني من أراد بعلمه غير الله، آتاه الله أجر عمله في الدنيا، فلا يبقى له في الآخرة شيء، لأنه لم يخلص بعمله لله لما أحب له من المنزلة في الدنيا، ولو علم أن الله سخر الدنيا وأهلها لطلاب الآخرة لم يراءِ بعمله.

وقد **قيل** لسهل: أي شيء أشد على النفس؟ **فقال**: الإخلاص، **قيل**: ولم ذلك؟ **فقال**: لأنه ليس للنفس فيه نصيب.

وسئل هل يدخل الفرائض رياء؟ **فقال**: نعم، قد دخل الإيمان الذي هو أصل الفرائض حتى أبطله، وصار نفاقا، فكيف العمل؟ فكل من لم يعب أحد عليه في ظاهره، ويعلم الله خلافه من سره في أي حال كان، فهو المرائي الذي لا شك فيه.

قوله تعالى ﴿ **وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ** ﴾[6] **أي**: خشعت قلوبهم إلى ربهم، وهو الخشية، فالخشوع ظاهر، والخشية سر.

١- يونس: ١٠٩. ٢- هود: ١. ٣، ٤- هود: ٣. ٥- هود: ١٥. ٦- هود: ٢٣.

كما قال الرسول ﷺ «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»(*).

وقد حكى أن موسى صلوات الله عليه قص فى بنى إسرائيل فمزق واحد منهم قميصه، فأوحى الله تعالى إلى موسى أن قل له مزق لى قلبك ولا تمزق لى ثيابك.

قوله تعالى ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾[1] قال: كان تنورا من حجارة، وهو تنور آدم صار لنوح، قد جعل الله فوران الماء منه علامة عذابه، وجعل ينبوع عيون قلب محمد ﷺ بأنوار العلوم رحمة لأمته، إذ أكرمه الله تعالى بهذه الكرامة، فنور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من نوره، ونور الملكوت من نوره، ونور الدنيا والآخرة من نوره، فمن أراد المحبة حقيقة فليتبعه.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[2] فجعل المحبة فى اتباعه، وجعل جزاء اتباعه محبته لعباده، وهى أعلى الكرامة.

وقد حكى عن أبى موسى الأشعرى قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل بنا حتى نصبنا وجهه كأنه يريد أن يخبرنا، ثم سجد وسجدنا معه فى أول النهار حتى كان نحو من نصف النهار، حتى وجد بعضنا طعم التراب فى أنفه، حتى قال بعضنا لبعض قد مات رسول الله ﷺ، ثم رفع رأسه فقال الله أكبر فقلنا الله أكبر، فقال له قائل: يا رسول الله لقد ظننا أنك مت، ولو كان ذلك ما بالينا أن تقع السماء على الأرض، فقال: «أتانى حبيبى جبريل صلوات الله عليه فقال لى: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويخيرك بين أن يدخل ثلث أمتك الجنة وبين

* قاله عمن كان يصلى وهو يعبث بثيابه.

١- هود: ٤٠.

٢- آل عمران: ٣١.

الشفاعة، فلما طمعت فى الثلث اخترت الشفاعة، فارتفع ونصبتكم وجهى أريد أن أخبركم، فأتانى فقال لى يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويخيرك بين أن يدخل ثلثى أمتك الجنة وبين الشفاعة، فلما طمعت فى الثلثين اخترت الشفاعة، فارتفع ونصبتكم وجهى أريد أن أخبركم، ثـم أتانى فقـال لى يا محمد إن ربك قد شفعك فى الثلثين ولم يخيبك فى الثلث، فسجدت شكرا لله تعالى فيما أعطانى».

(**وقال**) سهل: انتهت همم العارفين إلى الحجب، فوقفت مطرقة فأذن لها بالدخول فدخلت، فسلمت فخلع عليها خلع التأييد، وكتب لها من الرُّقَع براءات، وأن همم الأنبياء صلوات الله عليهم جالت حول العرش فألبست الأنوار، ورفع منها الأقدار، واتصلت بالجبار، فأفنى حظوظها وأسقط مرادها، وجعلها متصرفة به له.

وقال: آخر درجات الصديقين أول الأحوال للأنبياء صلوات الله عليهم، وأن نبيناﷺ عَبَدَ الله تعالى بجميع أحوال الأنبياء، وليس فى الجنة ورقة من أوراق الأشجار إلا ومكتـوب عليها محمـدﷺ، به ابتدأ الأشياء وبه ختمها فسماه خاتم النبيين.

قوله تعالى ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ**﴾[1] **قال**: إن الله تعالى أشرفه على حركة النفس الطبيعية وسكونها، ولم يشرفه على علمه، لأنه ممحو عنه، أو مثبت عليه، لئلا يسقط الخوف والرجاء عن نفسه، فكان إذا ذكره تأوه منه، وسكت عن مسألة علم الخاتمة، إذ لم يكن له مع الله عز وجل اختيار.

---

١ – هود: ٧٥.

ثم **(قال)** سهل: إن الخوف رجل، وإن الرجاء أنثى ولو قسم ذرة من خوف الخائفين على أهل الأرض لسعدوا بذلك.

فقيل له: فكم يكون مع الخائفين هكذا؟ **فقال**: مثل الجبل الجبل..

قوله تعالى ﴿ **هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ** ﴾(١) أى هن أحل لكم تزويجا من إتيان الفاحشة.

قوله تعالى ﴿ **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ** ﴾(٢) **قال**: كل عالم أعطى علم الشر وليس هو مجانبا للشر فليس بعالم، ومن أعطى علم الطاعات وهو غير عامل بها فليس بعالم.

وقد سأل رجل سهلا فقال: يا أبا محمد إلى من تأمرنى أن أجلس إليه؟

فقال: إلى من تحملك جوارحه لا لسانه.

قوله تعالى ﴿ **وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ** ﴾(٣) **قال**: حكى محمد بن سوار، عن أبى عمرو بن العلاء، أنه قال: الرهط الملأ، والنفر الرجال من غير أن تكون فيهم امرأة.

قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا** ﴾(٤) **قال**: أى لا تعتمدوا فى دينكم إلا على سنتى.

﴿ السورة التى يذكر فيها يوسف عليه السلام ﴾

قوله تعالى ﴿ **وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ** ﴾(٥) يعنى بتصديق الرؤيا التى رأيتها لنفسك.

١- هود: ٧٨. ٢- هود: ٨٨. ٣- هود: ٩١.
٤- هود: ١١٣. ٥- يوسف: ٦.

قوله تعالى ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[1] **قال**: الصبر مع الرضا، **قيل**: ما علامته؟ **قال**: أن لا يجزع فيه.

فسئل بأى شيء يحصل التجمل بالصبر؟ **قال**: بالمعرفة بأن الله تعالى معك، وبراحة العافية، فإنما مثل الصبر قدح أعلاه الصبر وأسفله العسل.

ثم **قال**: عجبت ممن لم يصبر كيف لم يصبر للمحال، ورب العزة يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2].

قوله تعالى ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا﴾[3] يعنى عسى أن يكون شفيعنا فى الآخرة.

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[4] يعنى همّ بنفسه الطبيعية إلى الميل إليها، وهمّ بنفس التوفيق والعصمة إلى الفرار منها ومخالفتها.

ومعناه: أنه عصمه ربه، لولا عصمة ربه لهَمَّ بها ميلا إلى ما دعته نفسه إليه، وعصمه ما عاين من برهان ربه عز وجل، وهو أنه جاءه جبريل صلوات الله عليه فى صورة يعقوب عليه السلام عاضا إصبعه، فولى عند ذلك نحو الباب مستغفرا[*].

قوله تعالى ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[5] **قال**: حكى أن جبريل صلوات الله عليه دخل على يوسف فى السجن، فقال له جبريل: يا طاهر ابن طاهر إن الله تعالى أكرمنى بك وبآبائك، وهو يقول لك يا يوسف: أما استحييت منى حيث استشفعت إلى غيرى، فوعزتى لألبثنك بضع سنين.

قال: يا جبريل هو عنى راض؟ قال: نعم، **قال**: إذًا لا أبالى.

١- يوسف: ١٨. ٢- البقرة: ١٥٣. ٣- يوسف: ٢١.

٤- يوسف: ٢٤. ٥- يوسف: ٤٢.

* وللآية تفاسير أخرى وارجع إلى كتب التفاسير المعتمدة.

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: ما أنا ونفسى إلا كراعى غنم، كلما ضمها من جانب انتشرت من جانب.

قوله تعالى ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾(١) **قال**: إن النفس الأمارة هى الشهوة، وهى موضع الطبع.

﴿ **إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي** ﴾(٢) موضع العصمة، والنفس المطمئنة هى نفس المعرفة، وأن الله تعالى خلق النفس وجعل طبعها الجهل، وجعل الهوى أقرب الأشياء إليها، وجعل الهوى الباب الذى منه تدخل منه هلاك الخلق.

فسئل سهل عن معنى الطبع وعما يوجب العصمة عنه؟.

فقال: طبع الخلق على أربع طبائع، أولها: طبع البهائم البطن والفرج، والثانى: طبع الشياطين اللعب واللهو، والثالث: طبع السحرة المكر والخداع، والرابع: طبع الأبالسة الإباء والاستكبار.

فالعصمة من طبع البهائم الإيمان، والسلامة من طبع الشياطين، التسبيح والتقديس وهو طبع الملائكة، والسلامة من طبع السحرة، الصدق والنصيحة والإنصاف والتفضل، والسلامة، والسلامة من طبع الأبالسة الالتجاء إلى الله تعالى بالتضرع والصراخ، وطبع العقل العلم، وطبع النفس الجهل، وطبع الطبع الدعوى.

قوله تعالى ﴿ **وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ** ﴾(٣) **قال**: إنما قال الله تعالى: **فتيان**: لأنهما لم يتجاوز واحدهما فى الدعوى، ورجعا فى كل ما كان لهما إلى صاحبهما، فسماهما فتيان.

قوله تعالى ﴿ **ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ** ﴾(٤) **قال**: لم أنقض له عهدا، ولم أكشف له سترا.

قوله تعالى ﴿ **عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ** ﴾(٥). **فسئل** ما حقيقة التوكل؟ **قال**:

١، ٢- يوسف: ٥٣. ٣- يوسف: ٣٦. ٤- يوسف: ٥٢. ٥- يوسف: ٦٧.

الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد، **فقيل**: ما حق التوكل؟ **فقال**: أوله العلم وحقيقته العمل.

ثم **قال**: إن المتوكل إذا كان على الحقيقة لا يأكل طعاما وهو يعلم أن غيره أحق منه.

قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ** ﴾[1] يعني يا أيها الملك العظيم، وباطنها يا أيها المغلوب في نفسه كما قال الله تعالى ﴿ **وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** ﴾[2] أي غلبني فيه.

قوله تعالى ﴿ **حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا** ﴾[3] **قال**: حكى عن على رضى الله عنه أنه قال: الحرض هو البلاء لتألم القلب.

وقال ابن عباس رضى الله عنه: الحرض دون الموت.

(وقال) سهل: أي فاسد الجسم، والعمل من الحزن، وإنما كان حزنه على دين يوسف لا على نفسه، لأنه علم أنه لو مات على دينه اجتمع معه فى الآخرة الباقية، وإذا تغير دينه لم يجتمعا أبدا.

وقد حكى عن سفيان أنه قال: إن يعقوب عليه السلام لما جاءه البشير قال له يعقوب: على أى دين تركت يوسف؟ فقال: على دين الإسلام، قال: الآن تمت النعمة.

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ** ﴾[4] يعنى: همى وحزنى.

(قال) سهل: لم يكن حزن يعقوب على يوسف، إنما كان مكاشفا لما وجد من قلبه الوجد على مفارقة يوسف، **فقال**: كيف يكون وجد فراق الحق عز وجل.

١- يوسف: ٨٨. ٢- ص: ٢٣. ٣- يوسف: ٨٥. ٤- يوسف: ٨٦.

وقـد عمـل بمفارقـة مخلـوق كل هذا فشكى بثه وحزنه إلى الله تعالى لا إلى غيره.

قوله تعالى ﴿ **قَالَ كَبِيرُهُمْ** ﴾[1] أى فى العقل لا فى السن.

قـوله تعـالى ﴿ **وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ** ﴾[2] **(قـال)** سهـل: أفضل الخدمة وأعلاها انتظار الفرج من الله تعالى، كما حكى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبىﷺ أنه قال: «انتظار الفرج بالصبر عبادة».

وانتظار الفرج على وجهين: أحدهما قريب، والآخر بعيد، فالقريب فى السر فيما بين العبد وربه، والبعيد فى الخلق، فينظر إلى البعيد فيحجب عن القريب.

قوله تعالى ﴿ **تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾[3].

(قال) سهل: فيه ثلاثة أشياء: سؤال ضرورة، وإظهار فقر، واختيار فرض.

ومعناه: أمتنى وأنا مسلم إليك أمرى، مفوض إليك شأنى، لا يكون لى إلى نفسى رجوع بحال، ولا تدبير بسبب من الأسباب.

قـوله تعالى ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾[4] **قـال**: يعنى شرك النفس الأمارة بالسوء، كما قال النبىﷺ: «الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل على الصفا»(*).

هـذا باطن الآية، وأما ظاهرها فكان مشركو العرب يؤمنون بالله، كما قال: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾[5] وهم مع ذلك مشركون يؤمنون ببعض الرسل ولا يؤمنون ببعضهم.

قـوله تعالى ﴿ **أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ** ﴾[6] أى أبلغ الرسالة، ولا أملك الهداية، وإنما الهداية إليك.

١- يوسف: ٨٠. ٢- يوسف: ٨٧. ٣- يوسف: ١٠١. ٤- يوسف: ١٠٦.

* الحجر الأملس.

٥- الزخرف: ٨٧. ٦- يوسف: ١٠٨.

وقد سئل سهل عن قوله ﷺ «ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجد» **فقال**: أى من جد فى الطلب وكان منك المنع لم ينفعه جده فى الطلب.

وقال: إن الخلق لم يكشف لهم سر، ولو كشف لهم لأبصروا ولم يشاهدوا، وإن شاهدوا تم الأمر، وهذا شيء عظيم.

ثم **قال**: أهل لا إله إلا الله كثير والمخلصون منهم قليل، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التى يذكر فيها الرعد﴾

قوله تعالى ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾(١) **يعنى**: ملائكة الليل والنهار يعقب بعضهم بعضا، يحفظونه من أمر الله، مقاديره على عبده من خير وشر، ويشهدون له بالوفاء، وعليه بالجفاء يوم القيامة.

قوله تعالى ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾(٢).

قال: روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال: الرعد ملك وهو الذى تسمعون صوته، والبرق سوط من نور يزجر به الملك السحاب.

وكذا قال مجاهد، وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: البرق مخاريق الملائكة، والرعد صوت ملك.

وقال قتادة: الرعد صوت السحاب.

قوله تعالى ﴿**وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ**﴾(٣) فأفرد الملائكة ذكرا.

وقال: عكرمة: الرعد ملك موكل بسحاب يسوقه كما يسوق راعى الإبل إبله.

١- الرعد: ١١. ٢- الرعد: ١٢. ٣- الرعد: ١٣.

وحكى كعب عن عمر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ينشىء السحاب فينطق بأحسن النطق ويضحك بأحسن الضحك فمنطقه الرعد ومضحكه البرق».

قاله أبو بكر فقلت له: ما تقول أنت وكان فى يوم وابل وصوت رعد شديد؟ فقال: هذا خبر رضا الله عز وجل، فكيف خبر غضبه، نعوذ بالله من غضبه.

قوله تعالى ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾(١) **قال**: الذكر من العلم السكون، والذكر من العقل الطمأنينة.

قيل وكيف ذاك؟ **قال**: إذا كان العبد فى طاعة الله فهو الذاكر، فإذا خطر بباله شىء فهو القاطع، وإذا كان فى فعل نفسه فحضر بقلبه ما يدله على الذكر والطاعة فهو موضع العقل.

ثم **قال**: كل من ادعى الذكر فهو على وجهين: قوم لم يفارقهم خوف الله عز وجل، مع ما وجدوا فى قلوبهم من الحب والنشاط، فهم على حقيقة من الذكر وهم لله والآخرة والعلم والسنة، وقوم ادعوا النشاط والفرح والسرور فى جميع الأحوال، فهم للعدو والدنيا والجهل والبدعة، وهم شر الخلق.

قوله تعالى ﴿**قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ**﴾(٢). **سئل سهل**، متى يصح للعبد مقام العبودية؟ **قال**: إذا ترك تدبيره ورضى بتدبير الله تعالى فيه.

قوله تعالى ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾(٣).

قال: يمحو الله ما يشاء من الأسباب، ويثبت الأقدار، وعنده أم الكتاب، **قال**: القضاء المبرم الذى لا زيادة فيه ولا نقصان.

قوله ﴿**وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾(٤) **قال**: سهل: الكتاب عزيز، وعلم الكتاب أعز، والعمل به أعز، والعمل عزيز، والإخلاص فى العمل أعز، والإخلاص

١ـ الرعد: ٢٨. ٢ـ الرعد: ٣٦. ٣ـ الرعد: ٣٩. ٤ـ الرعد: ٤٣.

عزيز، والمشاهدة فى الإخلاص أعز، والمرافقة عزيزة، والأنس فى المرافقة أعز، والأنس عزيز، وآداب محل الأنس أعز، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها إبراهيم عليه السلام ﴾

قوله تعالى ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾(١) **قال**: شكر العلم العمل، وشكر العمل زيادة العلم، فهو أبدا فى هذا، وهذه حاله.

وقال: الشكر أن تريد المزيد وإلا شكر مطعون، **قال**: وحقيقة العجز الاعتراف به.

وقد **حكى** أن داود عليه السلام قال: يا رب كيف أشكرك وشكرى إياك تجديد منَّةٍ منك علىَّ؟ قال الله تعالى: الآن شكرتنى.

وقوله تعالى ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ** ﴾(٢) يعنى بتلاوة كتابه والفهم فيه.

قوله تعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ** ﴾(٣) **قال**: خلق الأشياء كلها بقدرته، وزينها بعلمه، وحكمها بحكمته، فالناظر من الخلق إلى الخالق تبين له عجائب الخلقة، والناظر من الخالق إلى الخلق يكشف له عن آثار قدرته وأنوار حكمته وبليغ صنعته.

قوله تعالى ﴿ **تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾(٤) **قال**: كان ابن المسيب يقول: الحين ستة أشهر، وقد سأله رجل فقال: إنى حلفت أن لا تدخل امرأتى على أهلها حينا فما الحين؟

قال سعد: الحين من حين أن تطلع النخلة إلى أن ترطب، ومن أن ترطب إلى أن تطلع.

١- إبراهيم: ٧. ٢- إبراهيم: ١١. ٣- إبراهيم: ١٩. ٤- إبراهيم: ٢٥.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: كل حين أراد به غدوة وعشية.

وهو على طريق سهل بن عبدالله، فإنه قال هذا مثل ضربه الله لأهل المعرفة فى الله عليهم من إقامة فروضه بالليل والنهار.

وسئل سهل عن معنى. قوله: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ** ﴾[1].

قال: حكى عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ، خرج على أصحابه وهم يذكرون الشجرة الطيبة فقال: «ذلك المؤمن أصله فى الأرض وفرعه فى السماء» يعنى عمله مرفوع إلى السماء مقبول، فهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر.

فقال: ﴿ **كَلِمَةً طَيِّبَةً** ﴾ يعنى كلمة الإخلاص، ﴿ **كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ** ﴾ يعنى النخلة، ﴿ **أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ** ﴾ يعنى أغصانها مرفوعة إلى السماء، فكذلك أصل عمل المؤمن، كلمة التوحيد وهو أصل ثابت، وفرعه وهو عمله مرفوع إلى السماء مقبول، إلا أن فيه خللا وأحداثا، ولكن لا يزول أصل عمله وهو كلمة التوحيد، كما أن الرياح تزعزع أغصان النخلة ولا يزول أصلها.

وشبه عمل الكافر كشجرة خبيثة فقال: ﴿ **وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ** ﴾[2] يعنى شجرة الحنظل، أخبث ما فوق الأرض ليس لها أصل فى الأرض، كذلك الكفر والنفاق ليس له فى الآخرة من ثبات، وليس فى خزائن الله أكبر من التوحيد.

(وسئل سهل) عن تفسير لا إله إلا الله: **فقال**: لا نافع ولا دافع إلا الله تعالى.

وسئل عن الإسلام والإيمان والإحسان، **فقال**: الإسلام حكم، والإيمان وصل، والإحسان ثواب، ولهذا الثواب ثواب.

---

١ - إبراهيم: ٢٤.

٢ - إبراهيم: ٢٦.

فالإسلام الإقرار وهو الظاهر، والإيمان هو الغيب، والإحسان هو التعبد، وربما قال: الإيمان يقين.

وسئل عن شرائع الإسلام **فقال**: قال العلماء فيه فأكثروا، ولكن هي كلمتان ﴿ **مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾[1].

ثم قال: هي كلمة واحدة ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾[2].

قوله تعالى ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾[3] بأن جعل السفير فيما بينكم وبينه الأعلى والواسطة الكبرى..

﴿ السورة التي يذكر فيها الحِجْر ﴾

قوله تعالى ﴿ **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾[4].

قال: إذا اجتمعت أربعة في عبد قيل له: إنك لن تنال شيئا من هذا الأمر، إذا أحب أن يأكل شيئا طيبا، ويلبس ثوبا لينا، وينفذ أمره، ويكثر شيأه، يقال هيهات هذا الذى قطع الخلق عن الله تعالى.

وقد **حكى** أن الله أوحى إلى داود عليه السلام حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات، فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة.

(**وقال**) سهل: الأمل أرض كل معصية، والحرص بذر كل معصية، والتسويف ماء كل معصية، والقدرة أرض كل طاعة، واليقين بذر كل طاعة، والعمل ماء كل طاعة.

(**قال**): وكان سهل يقوى على الوجد سبعين يوما لا يأكل فيها طعاما، وكان يأمر أصحابه أن يأكلوا اللحم فى كل جمعة مرة كيلا يضعفوا عن العبادة.

١- الحشر: ٧. ٢- النساء: ٨٠. ٣- إبراهيم: ٣٤. ٤- الحجر: ٣.

وكان إذا أكل ضعف، وإذا جاع قوى، وكان يعرق فى البرد الشديد فى الشتاء، وعليه قميص واحد.

وكان إذا سألوه عن شيء من العلم يقول: لا تسألونى فإنكم لا تنتفعون فى هذا الوقت بكلامى.

وفد، عياض بن عصام يوما وهو يقول: أنا منذ ثلاثين سنة أكلم الله والناس يتوهمون أنى أكلمهم.

قوله تعالى ﴿**إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾(١) **قال**: الناس كلهم أموات إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملين، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصين، والمخلصون على خطر عظيم.

قوله تعالى ﴿**إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾(٢) أى فى جهلهم وضلالتهم يمضون.

واعلم أن المعاصى كلها منسوبة إلى الجهل، والجهل كله منسوب إلى السكر، ويقال هو نفس المسكر.

قوله تعالى ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾(٣) **قال**: يعنى المتفرسين.

وقد روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾»، ومعناه المتفرسون فى السرائر، وهو كما قال عمر رضى الله عنه لسارية: الجبل الجبل(*).

قوله ﴿**فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾(٤) **قال**: حكى محمد ابن الحنفية(**) عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى ﴿**فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾ **قال**: هو الرضا بلا عتاب.

١- الحجر: ٤٠. ٢- الحجر: ٧٢. ٣- الحجر: ٧٥.

* فقد رأى عمر وكان من المتوسمين جيش سارية يأتيه العدو من الخلف على بعد ما كان بينه وبين الجيش فقال يا سارية الجبل الجبل أى الزم الجبل لئلا يأتى الأعداء من خلفهم وقد سمع سارية التحذير واتبع الإرشاد وهما كرامتان لعمر وسارية وكرامة الولى معجزة لنبيه.

٤- الحجر: ٨٥.

** هو ابن علي بن أبى طالب من امرأة من بنى حنيفة فهو أخو الحسن والحسين من أبيهما.

(وقال) سهل: بلا حقد ولا توبيخ بعد الصفح، وهو الإعراض الجميل.

قوله تعالى ﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ**﴾(١) **قال**: ظاهر الآية ما عليه أهل التفسير(*)، وباطنها ما أنزل الله تعالى من أحكامه في السمع والبصر والفؤاد، وهو قوله تعالى ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾(٢) فأعرضوا عن العمل به ميلا إلى دواعي نفس الطبع.

قوله تعالى ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾(٣) **قال**: هذه الآية فيها خصوص، فإن من هذه الأمة من يحشر من القبر إلى الجنة، لا يحضر الحساب ولا يشعر بالأهوال، وهم الذين قال الله تعالى ﴿**أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**﴾(٤).

وقد قال النبي ﷺ: «إن أولياء الله يخرجون من قبورهم إلى الجنة لا يقفون للحساب ولا يخافون طول ذلك اليوم أولئك هم السابقون إلى الجنة ﴿**رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(٥)»

قوله تعالى ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾(٦) أي أظهر القرآن في الصلاة بما أوحينا إليك، **قيل**: ما الوحي؟ **قال**: المستور من القول، قال الله تعالى ﴿**يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ**﴾(٧) أي يُسِرُّ بعضهم إلى بعض، وقد يكون بمعنى الإلهام كما قال تعالى ﴿**وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾(٨) يعني ألهم النحل(**).

قوله ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾(٩) أي صل لله تعالى واذكره، فكأن الله تعالى قال له: إن ضاق صدرك بقرب الكفار

١- الحجر: ٩١.

* قال المفسرون عضا الشيء فرقه وقسم أجزاءه.

٢- الإسراء: ٣٦. ٣- الحجر: ٩٢. ٤- الأنبياء: ١٠١. ٥- المائدة: ١١٩.

٦- الحجر: ٩٤. ٧- الأنعام: ١١٢. ٨- النحل: ٦٨.

** ألهمها طريقة معيشتها.

٩- الحجر: ٩٧، ٩٨.

بكذبهم، بما وصفوا لنا من الضد والند والشريك بجهلهم وحسدهم، فارجع إلى مشاهدتنا وقربنا بذكرنا، فإن قربك فينا وسرورك بذكرنا ومشاهدتنا، واصبر على ذلك فإن رضاى فيه.

وقد **حكى** أن موسى عليه السلام قال: إلهى دلنى على عمل إن أنا عملته نلت به رضاك.

قال: فأوحى إليه يا ابن عمران إن رضاى فى كرهك، ولن تطيق ذلك.

قال: فخر موسى عليه السلام ساجدا باكيا وقال: إلهى خصصتنى منك بالكلام، فلم تكلم بشرا قبلى ولم تدلنى على عمل أنال به رضاك، فأوحى الله تعالى إليه: أن رضاى فى رضاك بقضائى.

﴿السورة التي يذكر فيها النحل﴾

سئل عن قوله تعالى ﴿**وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾[1] **قال**: أما ظاهر الآية ما حكاه ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ أنه قال: «إن مما خلق الله تعالى أرضا من لؤلوة بيضاء، مسيرة ألف عام فى ألف عام، عليها جبل من ياقوتة حمراء تحيط بها سماء تلك الأرض، فيها ملك قد ملأ شرقها وغربها، له ستمائة وستون ألف رأس، فى كل رأس ستمائة وستون ألف فم، فى كل فم ستمائة وستون ألف لسان يثنى على الله تعالى بكل لسان ستمائة وستين ألف مرة فى كل يوم، فإذا كان يوم القيامة نظر إلى عظمة الله تعالى فقال: وعزتك وجلالك ما عبدتك حق عبادتك[2]».

قال الله تعالى ﴿**وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ وباطنها علمك الحق جل جلاله، الوقوف عندما لا يدركه عقلك من آثار الصنع وفنون العلم، أن يقابله بالإنكار، فإنه خلق ما لا تعلمه أنت ولا أحد من خلقه، إلا من علمه الحق عز وجل.

١- النحل: ٨.

٢- جل جلال الله تعالى.

وسئل عن قوله ﴿ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً ﴾[1] وقال بعدها ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ ﴾.

فقال: لأن الثمرات من نوع واحد، والليل والنهار نوعان، وكذلك الشمس والقمر.

فقال ﴿ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2] واعلم أن الله تعالى لما أراد إظهار علمه أودع علمه العقل، وحكم أنه لا يصل أحد إلى شيء منه إلا بالعقل، فمن فاته العقل فقد فاته العلم.

قوله ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[3] **(قال)** سهل: خلق الله تعالى الخلق، ثم أحياهم باسم الحياة، ثم أماتهم بجهلهم بأنفسهم، فمن كان حياته بالعلم فهو الحي، وإلا فهم الأموات بجهلهم.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾[4] **قال**: العبادة زينة العارفين، وأحسن ما يكون العارف إذا كان فى ميادين العبودية والخدمة، يترك ما له لما عليه.

قوله ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾[5].

(قال) سهل: لو أن الله تعالى طالب حملة العرش فمن دونهم من الملائكة، ومن النبيين والمرسلين بما جهلوا من نعمة الله عليهم لعذبهم عليها وهو غير ظالم.

قيل لسهل: أى شيء يفعل الله بعبده إذا أحبه؟ **قال**: يلهمه الاستغفار عند التقصير، والشكر له عند النعمة، وإنما أرادوا بالنية أن يتعرفوا بها نعم الله تعالى

١- النحل: ١١. ٢- النحل: ١٢. ٣- النحل: ٢١.
٤- النحل: ٣٦. ٥- النحل: ٥٣.

عليهم، فيدوم لهم الشكر، ويدوم لهم المزيد. ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ يعنى إياه تدعون عند الفقر والبلاء، وربما يكون ذلك نعمة من الله عليكم، إذ لو شاء لابتلاكم بأشد منه، فيصير ذلك عند أشد البلاء نعمة، فيجزعون منه ولا يبصرون ولا يشكرون.

وبلغنا أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام فقال: اصبر على المؤونة تأتك منى المعونة.

قوله تعالى ﴿ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(١) **قال**: هذا وعيد من الله تعالى لكفار مكة على تكذيبهم، مع ما أنعم الله عليهم فى الدنيا أنهم سيعلمون جزاء ذلك فى الآخرة.

وهذه الآية أيضا وعيد شديد للغافلين، على ما قال الرسول ﷺ «من أخذ من الدنيا نهمته(*) حيل بينه وبين نهمته فى الآخرة» حلالها [أى الدنيا] حساب، وحرامها عقاب.

وإنما يحاسب المؤمنون بما أخذوا من الحلال، فضلا على ما يكفيهم، فأما من أخذ البلغة من الحلال فهو داخل تحت قوله ﷺ «ليس من الدنيا كسرة يسد بها المؤمن جوعته وثوب يوارى به عورته ويؤدى فيه فرضه وبيت يكنه من حر الشمس وبرد الشتاء».

قوله تعالى ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾(٢) **قال**: هذه الآية نسخت بآية الخمر(**)، كذا قال إبراهيم والشعبى.

(قال) سهل: السكر عندى ما يسكر النفس فى الدنيا، ولا تؤمن عاقبته فى الآخرة.

١- النحل: ٥٥.

* الحاجة والشهوة.

٢- النحل: ٦٧.

** ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقد دخل على سهل أبو حمزة الصوفى **فقال** أين كنت يا أبا حمزة؟ **قال**: كنا عند فلان، أخبرنا أن السكر أربعة **فقال**: اعرضها على، **فقال**: سكر الشراب، وسكر الشباب، وسكر المال، وسكر السلطنة.

فقال: وسكرتان لم يخبرك بهما، فقال ما هما؟ **فقال**: سكر العالم إذا أحب الدنيا، وسكر العابد إذا أحب أن يُشار إليه.

قوله تعالى ﴿ **وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً** ﴾(١) **قال**: روى عن ابن مسعود رضى الله عنه، أنه قال: الحفدة الأختان(*).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: البنون الصغار، والحفدة الذين يعينون الوالد على عمله.

وعن الضحاك قال: الحفدة الخدمة لله إيجابا بغير سؤال منهم غيره.

قوله ﴿ **زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ** ﴾(٢) **قال**: حكى جابر عن عبدالله [بن مسعود] رضى الله عنهم أنه سأل النبى ﷺ عن هذه الزيادة ما هى؟ فقال له رسول الله ﷺ: «الزيادة خمسة، أنهار تخرج من تحت العرش على رءوس أهل النار الجاحدين بالله ورسوله، ثلاثة أنهار على مقدار الليل، ونهران على مقدار النهار تجرى نارا أبدا ماداموا فيها».

قوله تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ** ﴾(٣) **قال**: العدل قول لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والاقتداء بسنة نبيه ﷺ، ﴿ **وَالْإِحْسَانِ** ﴾ أن يحسن بعضكم إلى بعض.

﴿ **وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ أى من رزقه الله فضلا، فليعط من استرعاه الله أمره من أقاربه.

١- النحل: ٧٢.

* الختن ما كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها وهو أيضا زوج البنت وزوج الأخت.

٢- النحل: ٨٨. ٣- النحل: ٩٠.

﴿ الْفَحْشَاءِ ﴾ الكذب والغيبة والبهتان وما كان من الأقوال ﴿ وَالْمُنكَرِ ﴾ ارتكاب المعاصى وما كان من الأفعال(*).

﴿ يَعِظُكُمْ ﴾ يؤدبكم بألطف أدب وينبهكم بأحسن الانتباه ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أى تتعظون وتنتهون.

(قال) سهل: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

قوله ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً** ﴾(١)

قال: الحياة هى أن ينزع عن العبد تدبيره، ويرد إلى تدبير الحق فيه.

قوله ﴿ **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا** ﴾(٢).

(قال) سهل: هاجروا: يعنى هجروا قرناء السوء بعد أن ظهرت الفتنة منهم فى صحبتهم، ثم جاهدوا أنفسهم على ملازمة أهل الخير، ثم صبروا على ذلك ولم يرجعوا إلى ما كانوا عليه فى بدء الأحوال.

وقد سأل رجل سهلا **فقال**: إن معى مالا ولى قوة وأريد الجهاد فما تأمرنى؟

فقال له سهل: المال العلم، والقوة النية، والجهاد مجاهدة النفس، لا يقبل العافية فيما حرم الله تعالى إلا نبى أو صديق.

فقيل: لأبى عثمان ما معنى قوله إلا نبى أو صديق؟ **فقال**: لا يدخل فى شىء لا نقوم له.

قوله ﴿ **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا** ﴾(٣).

---

* كالزنا والسرقة.

١- النحل: ٩٧. ٢- النحل: ١١٠. ٣- النحل: ١١٩.

(قال) سهل: ما عصى الله تعالى أحد إلا بجهل، ورب جهل أورث علما، والعلم مفتاح التوبة، والإصلاح صحة التوبة، فمن لم يصلح توبته فعن قريب تفسد توبته، لأن الله تعالى يقول ﴿ **ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا** ﴾.

وسئل سهل عن الجاهل **فقال**: الذى يكون إمام نفسه، ولا يكون له إمام صالح يقتدى به.

قوله ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّه** ﴾(١).

(**قال**) سهل: واصبروا فقد علم أنه لا معين على الأمور إلا الله تعالى، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الإسراء ﴾

قوله تعالى ﴿ **وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا** ﴾(٢). (**قال سهل**): يعنى إن عدتم إلى المعصية عدنا إلى المغفرة، وإن عدتم إلى الإعراض عنا عدنا إلى الإقبال عليكم، وإن عدتم إلى الفرار منا عدنا إلى أخذ الطرق عليكم، ارجعوا إلينا فإن الطريق علينا.

قوله ﴿ **وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ** ﴾(٣).

(**قال سهل**): أسلم الدعوات الذكر وترك الاختيار بالسؤال والدعاء، لأن فى الذكر الكفاية، وربما يدعو الإنسان ويسأل ما فيه هلاكه وهو لا يشعر.

ألا ترى الله تعالى يقول: ﴿ **وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ** ﴾ والذاكر على الدوام التارك للاختيار، والدعاء والسؤال، مبذول له أفضل الرغائب، وساقط عنه آفات السؤال والاختيار، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «يقول الله(*) من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين».

١ـ النحل: ١٢٧. ٢ـ الإسراء: ٨. ٣ـ الإسراء: ١١.

* هذا هو الحديث القدسى وانظر الفرق بينه وبين القرآن وبين الحديث النبوى فى كتاب: مفاتيح القارى لأبواب فتح البارى تاليف طه عبد الرءوف سعد.

قوله تعالى ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾(١) قال: علمه أي ما كان من خير وشر.

قوله ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾(٢) قال: حكى عن الحسن البصري أنه قال: أعد للسؤال جوابا، وللجواب صوابا، وإلا فأعد للنار جلبابا.

وقال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزَنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر قبل أن تُعرَضوا.

فسئل سهل عن المحاسبة والموازنة؟ فقال: المحاسبة على وجهين: محاسبة فيما بين العبد وربه وهو سر، ومحاسبة فيما بينه وبين الخلق وهي علانية، والموازنة إذا استقبلك فرضان أو سنتان أو نافلتان، نظرت أيهما أقرب إلى الله وأوزن عنده فابتدأت به.

قوله ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾(٣) أي: بما في قلوبكم، لأن القلب يجمع العقل والنفس والهوى.

قوله ﴿ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾(٤) قال ابن المسيب: الأواب الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ويموت على توبته.

وقال الحسن: الأواب التائب الذي لا يكون معه وقتان، إنما هو مُهيأ للتوبة كل لمحة ولحظة.

وحكى عن ضمرة بنت حبيب، عن النبي ﷺ أنه قال: «من فتح له باب خير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يغلق عنه» يعني فليعتبر وقته ولا يؤخر.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾(٥) أي لا تبغ ما ليس لك به

١- الإسراء: ١٣. ٢- الإسراء: ١٤. ٣، ٤- الإسراء: ٢٥. ٥- الإسراء: ٣٦.

علم، كما قال ﷺ «نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا ولا نقفوا آباءنا» يعنى آباء العرب.

قوله تعالى ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾[1] **قال**: رحمته جنته فى الظاهر، وفى الباطن حقيقة المعروف.

ثم قال: إن الخوف والرجاء لازمان للإنسان، فإذا استويا قامت له أحواله، وإذا رجح أحدهما بطل الآخر.

ألا ترى أن النبى ﷺ يقول: «لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا».

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾[2] **أى**: ما تسألون كشفه إلا منه، وتتبرءون من حولكم وقوتكم، وتعترفون بحوله وقوته.

وهذه الآية رد على أهل القدر(*) الذين يدعون الاستطاعة لأنفسهم دون الله.

قال الله تعالى ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾[3].

وقال: ﴿ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم ﴾[4] فإن كانت لهم استطاعة فليدفعوا عن أنفسهم العذاب.

قوله تعالى ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾[5] **أى**: من كان فى الدنيا أعمى القلب عن أداء شكر نعم الله تعالى عليه ظاهرة وباطنة، فهو فى الآخرة أعمى عن رؤية المنعم.

قوله ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾[6] **يعنى**: أدخلنى فى تبليغ

١- الإسراء: ٥٧. ٢- الإسراء: ٦٧. ٣- الإسراء: ٦٨.

* القدرية: قوم ينكرون القدر ويقولون إن كل إنسان خالق لفعله انظر كتاب المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين تأليف طه عبد الرءوف سعد.

٤- الإسراء: ٦٩. ٥- الإسراء: ٧٢. ٦- الإسراء: ٨٠.

الرسالة مدخل صدق، وهو أن لا يكون لي إلى أحد ميل، وأني لا أقصر في حدود التبليغ وشروطه، وأخرجني من ذلك على السلامة، وطلب رضاك منه وعلى الموافقة.

﴿ **وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا** ﴾[1] أي زيني بزينة جبروتك ليكون الغالب عليهم سلطان الحق، لا سلطان الهوى.

وسمعت سهلا مرة أخرى يقول: ﴿ **وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا** ﴾ لسانا ينطق عنك ولا ينطق عن غيرك.

قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا** ﴾[2].

(قال) سهل: لا يؤثر شيء على السر، مثل ما يؤثر عليه سماع القرآن، فإن العبد إذا سمع خشع سره، وأنار ذلك قلبه بالبراهين الصادقة، وزين جوارحه بالتذلل والانقياد، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الكهف ﴾

قوله تعالى ﴿ **لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾[3] **قال**: أيهم أحسن إعراضا عن الدنيا، وما يوجب الاشتغال عن الله تعالى، وإخباتا[*] وسكونا إلينا وعلينا توكلا وإقبالا.

وسئل عن قوله ﴿ **الرَّقِيمِ** ﴾[4] **فقال**: الرقيم هو رئيسهم، وهو المسمى بالكلب، وليس بكلب لهم.

قال الله تعالى: ﴿ **وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ** ﴾[5] **أي**: باسط ذراعيه بالأمر والنهي.

---

١ – الإسراء: ٨٠.　٢ – الإسراء: ١٠٧.　٣ – الكهف: ٧.

* الإخبات الخشوع والتواضع.

٤ – الكهف: ٩.　٥ – الكهف: ١٨.

وقال عكرمة: الرقيم الدواة بلسان الروم.

وقال الحسن: الرقيم الوادى الذى فيه الكهف.

وقال كعب: الرقيم لوح من رصاص فيه أسماؤهم، وأنسابهم، ودينهم، وممن هربوا، وأما الوصيد فهو فناء الباب.

قوله تعالى ﴿آتنَا من لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾[1] **أى**: احفظنا على ذكرك.

قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾[2].

(قال) سهل: إنما سماهم فتية؛ لأنهم آمنوا به بلا واسطة، وقاموا إليه بإسقاط العلائق عن أنفسهم.

قوله تعالى ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ **أى**: بصيرة فى الإيمان.

قوله تعالى ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[3] **قال**: من يرد الله منه إظهار ما علم منه من الشقاوة بترك العصمة إياه فلن تجد له عاصما منه.

قوله تعالى ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾[4] يعنى لو اطلعت عليهم بنفسك لوليت منهم فرارا، ولو اطلعت عليهم بالحق لوقفت على حقائق الوحدانية فيهم منه.

قوله تعالى ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾[5] **قال**: ظاهرها الولاية وباطنها نفس الروح، وفهم العقل، وفطنة القلب بالذكر لله عز وجل.

قوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾[6] **قال**: الغفلة إبطال الوقت بالبطالة، وقال: إن للقلب ألف موت آخرها القطيعة عن الله عز وجل، وأن

١- الكهف: ١٠. ٢- الكهف: ١٣. ٣- الكهف: ١٧.
٤- الكهف: ١٨. ٥- الكهف: ٢١. ٦- الكهف: ٢٨.

للقلب ألف حياة آخرها لقاء الحق عز وجل، وأن في كل معصية للقلب موتا، وفي كل طاعة للقلب حياة.

قوله تعالى ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[1] **قال**: حسن العمل الاستقامة عليه بالسنة، وإنما مثل السنة في الدنيا مثل الجنة في الآخرة، ومن دخل الجنة سلم، كذلك من لزم السنة في الدنيا سلم من الآفات.

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: لو أن رجلا ارتكب جميع الكبائر ثم لم يكن فيه شيء من هذه الأهواء والبدع لرجوت له(*).

ثم قال: من مات على السنة فليبشر ثلاث مرات.

(**وقال**) سهل: لا يرفع الحجاب عن العبد حتى يدفن نفسه في الثرى.

قيل له: كيف يدفن نفسه؟ **قال**: يميتها على السنة ويدفنها في اتباع السنة، لأن لكل شيء من مقامات العابدين مثل الخوف والرجاء والحب والشوق والزهد والرضا والتوكل غاية، إلا السنة فإنها ليست لها غاية ونهاية.

وسئل عن معنى قوله ليست للسنة غاية، متى بن أحمد، **فقال**: لا يكون لأحد مثل خوف النبي ﷺ، أو حبه، أو شوقه، أو زهده، أو رضاه، أو توكله، أو أخلاقه.

وقد قال الله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

وسئل عن معنى قوله ﷺ «أجيعوا أنفسكم وأعروها» فقال: أجيعوا أنفسكم إلى العلم وأعروها عن الجهل.

قوله ﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾[3] **أي**: ما شاء الله في سابق علمه، لا يقف عليه أحد إلا الله تعالى، ﴿لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ أي: لا قوة لنا على أداء ما أمرتنا به في الأصل والسلامة منه في الفرع، والخاتمة المحمودة إلا بمعونتك.

---

١ – الكهف: ٣٠.

* أي مغفرة الله تعالى.

٢ – القلم: ٤.

٣ – الكهف: ٣٩.

وكذا تفسير قوله: (لا حول ولا قُوَّةَ إلاَّ باللَّه) أى لا حول عن السلامة من الجهل فـــى الأصـــل، ومن الإصرار فى الفرع إلا بعصمتك؛ ولا قوة لنا على أداء ما أمرتنا به فى الأصل، والسلامة منه فى الفرع، والخاتمة المحمودة إلا بمعونتك.

وسئل سهل: ما أفضل ما أُعطى العبد؟ **قال**: علم يستزيد به افتقارا إلى الله عز وجل.

قوله ﴿ **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ** ﴾(١) **قال**: جاءهم الهدى وطرق الهداية كانت مسدودة عليهم، فمنعهم الهدى والإيمان الحكم الذى جرى عليهم فى الأزل.

قوله ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ** ﴾(٢) **قال**: أى بعلم ربى وعجائبه.

ثم قـــال: إن من علمه كتابه، ولو أن عبدا أعطى لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهايته علم الله فيه، لأنه كلامه القديم، وكلامه صفته ولا نهاية لصفاته، كما لا نهاية له، وإنما يفهم على قدر ما يفتح الله على قلوب أوليائه من فهم كلامه.

قـــوله ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾(٣) **قال**: العلم الصالح ما كان خاليا عن الرياء مقيدا بالسنة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها مريم عليها السلام ﴾

قوله تعالى ﴿ **وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا** ﴾(٤) أى: فعلنا ذلك رحمة من لدنا بأبويه(*) ﴿ **وَزَكَاةً** ﴾ أى طهرناه من ظنون الخلق إليه فيه.

١- الكهف: ٥٥. ٢- الكهف: ١٠٩. ٣- الكهف: ١١٠. ٤- مريم: ١٣.

* أى أبوى يحيا: زكريا وامرأته.

﴿ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ أى: مقبلا علينا معرضا عما سوانا، وقال: إن أحوال الأنبياء كلها محضة(*).

وقوله ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾(١) **يعنى**: آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأرشد الضال، وأنصر المظلوم، وأغيث الملهوف.

قوله عز وجل ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾(٢) **أى**: جاهلا بأحكامه متكبرا عن عبادته.

وقال النبى ﷺ: «الكبرياء رداء الله من نازع الله فيه أكبه على منخره فى النار».

وسئل عن قوله عز وجل ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾(٣) **فقال**: صمتا عن الكل، إلا عن ذكرك إذا سأل الصائم أن تقر عينه بك، ويسكن قلبه إليك لا إلى غيرك.

﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾.

قوله ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾(٤) أى مناجيا للمكشافة التى لا تخفى من الحق على القلوب محادثة وودا، كما قال تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾(٥) **أى**: مكاشفة تتخذ الأسرار من غير واسطة، وهذا مقام من الله للذين صدقوا الله فى السر والعلانية.

قوله تعالى ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾(٦) **يعنى**: معاينة الحق، بمعنى القرب الذى جعله بينه وبينهم، فيرى العبد قلبه فى قرب الحق، مشهودا فى غيب الغيب، وغيب الغيب هو نفس الروح، وفهم العقل وفطنة المراد بالقلب.

---

* يعنى خالصة لله تعالى.

١- مريم: ٣١. ٢- مريم: ٣٢. ٣- مريم: ٢٦.

٤- مريم: ٥٢. ٥- مريم: ٩٦. ٦- مريم: ٦١.

فإن نفس الروح موضع العقل، وهو موضع القدس، والقدس متصل بالعرش، وهو اسم من أسماء العرش.

وجعل الله تعالى للنفس جزءاً من ألف جزء من الروح، بل أقل من ذلك، فإذا صارت إرادة الروح إرادة النفس أعطيا فيما بينهما الفطنة والذهن.

والفطنة إمام الذهن، والفهم إمام الذهن، والفطنة حياة، والفهم عيش.

وإنما يفهم الكلام رجلان، واحد يحب أن يفهم لكى يتكلم به فى موضع، فليس له حظ منه إلا ذاك، وآخر يسمعه فيشغله العلم به عن غيره، وهذا أعز من الكبريت الأحمر، وأعز من كل عزيز، وهو فى المتحابين فى الله.

والتفهم تكلف، والفطنة لا تنال بالتكلف، وهو العمل بالإخلاص له، فإن لله تعالى عبادا فى الجنة، لو حجبوا عن اللقاء طرفة عين لاستغاثوا فيها كما يستغيث أهل النار فى النار لأنهم عرفوه.

افلا ترون إلى الكليم عليه السلام: حيث لم يصبر عن رؤيته لما وجد حلاوة مناجاته، حتى قال: إلهى ما هذا الصوت العبرانى الذى غلب على قلبى منك، قد سمعت صوت الوالدة الشفيقة، وصوت الطير فى الهواء، فما سمعت صوتا أجلب لقلبى من هذا الصوت.

وكان موسى عليه السلام بعد ذلك كلما رأى جبلا، أسرع إليه وصعد عليه شوقا إلى كلامه جل جلاله.

وقد كان رجل من بنى إسرائيل لا يذهب موسى إلى مكان إلا مشى بحذائه، ولا يجلس مجلسا إلا جلس بحذائه، حتى تأذى موسى عليه السلام منه.

قيل له: إنك قد أذيت نبى الله، **قال**: إنما أريد أن أنظر إلى الفم الذى كلم

الله به ﴿**قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ**﴾(١) **فقال**: يا موسى إنه لن يرانى خليقة فى الأرض إلا مات، **فقال**: رب أرنى أنظر إليك وأموت، أحب إلىّ من لا أنظر إليك وأحيا، فمن أخلص لله قلبه له فاشتاق إليه وصل إليه.

وقد كان أبو عبيد الله الخواص يصيح ببغداد فيقول: أنا من ذكْرك جائع لم أشبع، أنا من ذكرك عطشان لم أرو، واشوقاه إلى من يرانى ولا أراه، ثم يأتى دجلة وعليه ثياب فيرمى نفسه فيها فيغوص فى موضع ويخرج من موضع آخر، وهو يقول أنا من ذكرك جائع لم أشبع، أنا من ذكرك عطشان لم أرو، واشوقاه إلى من يرانى ولا أراه، والناس على الشط يبكون.

وجاء رجل إلى سهل يوما والناس مجتمعون عليه، **فقال**: يا أبا محمد انظر إيش عمل بك، وإيش يوقع لك، فلم يؤثر ذلك على سهل، **وقال**: هو المقصود هو المقصود.

قوله تعالى ﴿**وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى**﴾(٢) **قال**: أى يزيد الله الذين اهتدوا بصيرة فى إيمانهم بالله، وفى اقتدائهم بمحمد ﷺ، وهو زيادة الهدى والنور المبين.

قوله تعالى ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا**﴾(٣) أى ركبانا، والمتقون هم الذين يتقون ما سوى الله عز وجل(*).

وقال: لا يكمل للعبد شىء حتى يحصن عمله بالخشية، وفعله بالورع وورعه بالإخلاص، وإخلاصه بالمشاهدة، والمشاهدة بالتقوى عما سوى الله.

وقال: كانت قلوبهم أعز عليهم من أن يروا فيها شيئا غير الله عز وجل، فإن الله لما خلق القلب قال خلقتك لى خاصة، فهذه القلوب جوالة، إما تجول حول العرش وإما تجول فى الحش(**).

١- الأعراف: ١٤٣. ٢- مريم: ٧٦. ٣- مريم: ٨٥.

* يتقربون إلى الله تعالى ويبتعدون عما سواه.

** يقصد مكان قضاء الحاجة.

قوله تعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا** ﴾(١) **قال**: تزعجهم بالمعاصي إزعاجا، وتدعوهم إليها بما تهوى أنفسهم بترك عصمة الله، كما قال تعالى في قصة اللعين(*)، ﴿ **وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي** ﴾(٢).

ودعاؤه على مقامات، فقد يكون إلى الشر، وقد يكون إلى الخير كما قال النبي ﷺ، «إن الشيطان ليورد أحدكم سبعين بابا من الخير ليوقعه في باب من الشر فيهلكه».

قال: وإن اللعين يوسوس إلى جميع أهل العبادات، وأصحاب الجهد، ولا يبالي منهم إلا من لا يدخل في شيء حتى يعلم أنه له أو عليه.

وإنما وقع المغاليط للعباد والزهاد في العلم لا في الاجتهاد، فلم يكن لهم حال يعرفونها فيما بينهم وبين ربهم، فإن الله تعالى إذا حاسب العبد يوم القيامة فكل فعل عرف صاحبه حاله فيه من طاعة أو معصية ثبت عقله له، وما جهل فيه حاله تحير ودهش لذلك، لأنه إذا عرف حاله صحت الطاعة والتوبة بحجة الله، وإذا لم يعرف يتحير ويدهش لأنه عمل بغير حجة.

وسئل سهل عن رجل يذكر الله فيخطر بقلبه أن الله معك؟ **قال**: هو مكلف ثالث، إما أن يكون عدوا فيريد أن يقطعه، وإما أن يكون ذلك نفسه تريد أن تخونه وتخدعه فلا يلتفت إلى الخواطر في هذه الحال، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها طه ﷺ ﴾

قوله تعالى ﴿ **فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى** ﴾(٣) **قال**: أخفى من السر ما لم يفكره العبد فيه، وهو مفكره نوما.

١- مريم: ٨٣.

* إبليس اللعين ترك الموصوف إهانة وحفظ اللسان عن ذكره وذكر صفته لعنه الله تعالى.

٢- إبراهيم: ٢٢.

٣- طه: ٧.

قوله تعالى ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾[١] قال: أول من ملك العصا آدم، وهي من آس الجنة، ثم انتقلت من نبي إلى نبي حتى صارت إلى شعيب، فلما زوجه بنته أعطاها إياه، فكان موسى عليه السلام يتوكأ عليها، ويهش بها على غنمه، وينثر الورق إلى غنمه، ثم يأخذ بها من الشجر ما يريد، ويرسلها على السباع والوحوش وهوام الأرض فيضربها، وإذا اشتد الحر نصبها في الأرض فتكون كالظلة، وإذا نام حرسته حتى يستيقظ، وإذا كانت له ليلة مظلمة أضاءت له كالسراج، وإذا كان يوم غيم وغم عليه وقت الصلاة بينت له بشعاع طرفها، وإذا جاع غرزها في الأرض فأثمرت من ساعتها.

فهذه مآرب عصاه، فقد ذكر موسى عليه السلام من العصا منافع ومآرب ظهرت له، فأراد الله تعالى مآرب ومنافع كانت خافية عليه، كانقلابها ثعبانا، وضربها بالحجر لتنجاش(*) عيون الماء، وضربها بالبحر وغير ذلك، فأراه بذلك أن علوم الخلق وإن كانوا مؤيدين بالنبوة قاصرة عن علم الحق بالأكوان.

قوله تعالى ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾[٢] قال: أظهر الله عليه ميراث علمه قبل العمل، فأورثه محبة في قلوب عباده، لأن من القلوب قلوبا تثاب قبل الفعل وتعاقب قبل الرأي، كما يجد الإنسان في نفسه فرحا لا يعرف سببه وغما لا يعرف سببه.

قوله تعالى ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾[٣] أي فتنا لنفسك الطبيعية، وبيناها حتى لا تأمن مكر الله.

قوله تعالى ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾[٤] أي: تفرد إلي بالتجريد لا يشغلك عني شيء.

قوله ﴿ وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾[٥] أي: لا تكثرا الذكر باللسان وتغفلا عن مراقبة القلب.

قوله ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾[٦]. وقال: حكى عن ابن عباس رضي الله

١- طه: ١٨.

* جاش الماء تفجر وجرى.

٢- طه: ٣٩. ٣- طه: ٤٠. ٤- طه: ٤١. ٥- طه: ٤٢. ٦- طه: ٤٤.

عنهما، أنه قال: كان موسى عليه السلام إذا دخل على فرعون قال له يا أبا مصعب قل لا إله إلا الله وإني رسول الله.

(قــال) سهل: إن الله تعالى ألبس موسى عليه السلام لبسة المتأوبين(*)، ونفى عنه عجلة المتهجمين لما رآه من الفضل والتمكين، ولم يرد به إيمانا إذ لو أراد لقال لعله يؤمن، وإنما أراد الحق عز وجل بذلك ملاطفة موسى عليه السلام بأجمل الخطاب، وألين الكلام، لأن ذلك محرك لقلوب الخلائق أجمعين، كما قال النبي ﷺ: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها».

ليقطع به حجته ويرغب من علم الله هدايته من السحرة وغيرهم.

قوله تعالى ﴿**قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ**﴾[1] **قال**: أخبر الله أنه معهما بالنظر، مشاهد لكل حال هما عليه بالقوة والمعونة، والتأييد، لا تخافا إبلاغ الرسالة بحال.

قوله تعالى ﴿**كُلُوا مِنْهَا**﴾[2] قواما ولا تشبعوا منه، فتسكروا عن الذكر، فإن السكر حرام.

وقــال: من جوع نفسه انتقص دمه بقدر ذلك، وبقدر ما انتقص من دمه بالجوع انقطعت الوسوسة من القلب، ولو أن مجنونا جوع نفسه لصار صحيحا.

وقال النبي ﷺ: «ما من وعاء أبغض إلى الله من بطن مليء طعاما»(**)

قوله تعالى ﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ**﴾[3] **قال**: أي خضعت له بقدر مقامها من المعرفة بالله، وتمكين التوفيق منه.

قوله ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ**﴾[4] **قال**: هو الاقتداء وملازمة الكتاب والسنة، فلا يضل عن طريق الهدى ولا يشقى في الآخرة والأولى.

---

* الراجعين إلى الله تعالى.

١ – طه: ٤٦. ٢ – الأعراف: ١٦١، وإن كان يفسر سورة طه.

** وما ملأ ابن آدم وعاءً شرا من بطنه فإن كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس.

٣– طه: ١١١. ٤ – طه: ١٢٣.

قوله تعالى ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1] **قال**: أى لا تنظر إلى ما يورثك وسوسة الشيطان، ومخالفة الرحمن، وأماني النفس والسكون إلى مألوفات الطبع، فإن كل واحد منها مما يقطع عن ذكر الله عز وجل - والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التى يذكر فيها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام﴾

قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[2] **قال**: يعنى أهل الفهم عن الله، والعلماء بالله وبأوامره وبأيامه.

قيل: صفهم لنا **قال**: العلماء ثلاثة: عالم بالله لا بأمر الله ولا بأيام الله وهو عامة المؤمنين، وعالم بالله وبأمر الله لا بأيام الله وهم العلماء، وعالم بالله وبأمر الله وبأيام الله وهم النبيون والصديقون.

قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾[3] **قال**: يعنى العمل بما فيه حياتكم.

قوله ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[4] **قال**: إن الله تعالى جعل الكرامات كلها للمتقين من عباده، ثم للمبتدئين، وصفهم فقال ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ أى لا اختيار لهم مع اختياره، ﴿وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ وهو اتباع السنة فى الظاهر، ومراقبة الله فى الباطن.

قوله ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[5] **قال**: الشر متابعة النفس والهوى بغير هدى، والخير العصمة من المعصية والمعونة على الطاعة.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾[6] **قال**: الضر على

١- طه: ١٣١. ٢- الأنبياء: ٧. ٣- الأنبياء: ١٠.
٤- الأنبياء: ٢٧. ٥- الأنبياء: ٣٥. ٦- الأنبياء: ٨٣.

وجهين، ضر ظاهر، وضر باطن، فالباطن حركة النفس عند الوارد واضطرابها، والظاهر إظهار ما في السر من ذلك، فمتى احتمل الضر الباطن سكن الظاهر عن إظهاره، وصبر على الآلام، وإذا تحرك الباطن تحت الوارد انزعج الظاهر بالصياح والبكاء، فكان شكواه إلى الله عز وجل كي يعطى المعونة على رضا قلبه بالوارد، وذلك أن القلب إذا كان راضيا بأمر الله لم يضر العبد ما فعلت جوارحه.

ألا ترى إلى بكاء النبي ﷺ حين مات ابنه إبراهيم، كيف بكى عليه رحمة له بطبع البشرية، فلم يضره ما فعلت جوارحه لأن قلبه كان راضيا به(*).

وكان سهل **يقول** لأصحابه: قولوا في دعائكم إلهي إن طبختني فأنا قدر وإن شويتني فأنا محنوذ(**)، ولا بد أن تعرف فمنَّ عليَّ بمعرفتك.

وسئل على الدار دار إسلام أم دار كفر؟ **فقال**: الدار دار بلوى واختبار.

وقال عبد الرحمن المروزي لسهل: يا أبا محمد ما تقول في رجل من منذ خمسة وعشرين يوما تطالبه نفسه أن تشبع ورق السدر من منذ ثمانية عشر يوما؟

فقال له سهل: ما تقول في رجل تطالبه نفسه أن يشم ورق السدر، **قال**: فوثب عبد الرحمن وانتفخت أوداجه.

قوله تعالى ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾(١) **قال**: النار مسلطة على الإحراق، فمن لم تسلط عليه لم تحرقه.

قال عمر بن واصل العنبري: كنت عند سهل ذات ليلة فأخرجت فتيلة السراج، فنالت من أصبعي شيئا يسيرا أولمت منه، فنظر إليَّ سهل ووضع أصبعه نحو ساعتين لا يجد لذلك ألما ولا أثر بأصبعه أثرا، وهو يقول أعوذ بالله من النار.

قوله ﴿**أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾(٢) **قال**: أضافهم إلى نفسه،

---

* راضيا بقضاء الله تعالى في ابنه وهو مثل لا ينطبق على كل ما تفعله الجوارح.

** قابل للشي.

١ - الأنبياء: ٦٩.
٢ - الأنبياء: ١٠٥.

وحلاهم بحلية الصلاح، معناه: لا يصلح لي إلا ما كان خالصا لي، لا يكون لغيري فيه أثر، وهم الذين أصلحوا سريرتهم مع الله تعالى، وانقطعوا بالكلية عن جميع ما دونه.

قوله ﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾(١) قال: لم يجعله بلاغا لجميع عباده، بل خصه لقوم عابدين وهم الذين عبدوا الله تعالى، وبذلوا لـــه مهجهم، لا من أجل عوض، ولا من أجل الجنة، ولا من أجل النار، بل حبا له وافتخارا بما أهّلهم لعبادتهم إياه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الحج ﴾

قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(٢) أي يخاصم في الدين بالهوى والقياس دون الاقتداء، فعند ذلك يضل الناس ويبتدع.

قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾(٣) قال: المؤمن وجه بلا قفا، كرار غير فرار، تراه يجاهد في دين الله وطاعته من إقامة توحيده واقتدائه بنبيه، وإدامة التضرع واللجأ إلى الله، رجاء الاتصال به من موضع الاقتداء.

كما روى زيد بن أسلم عن النبي ﷺ قال: «ما من أمتي إلا دخل الجنة إلا من أبى، قلنا يا رسول الله ومن الذي يأبى ذلك قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى أن يدخل الجنة».

قوله ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾(٤) يعني: الذي يتبع الهوى إن رضي قلبه، وفرحت نفسه بعاجل حظها، اطمأن به وإلا رجع إلى ما يدعوه الهوى من الكفر.

قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ﴾(٥).

١- الأنبياء: ١٠٦.
٢- الحج: ٣.
٣، ٤- الحج: ١١.
٥- الحج: ١٤.

قال: هم الذين صدقوا الله فى السر والعلانية، واتبعوا سنة نبيهم ﷺ، ولم يبتدعوا بحال.

قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾(١) قال: سجود هذه الأشياء معرفتها بالحق بالتذلل والانقياد له.

قوله ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾(٢) يعنى: طهر بيتى من الأوثان لعبادى الطاهرة قلوبهم من الشك والريب والقسوة، فكما أمر الله بتطهير بيته من الأصنام فكذلك أمر بتطهير بيته الذى أودعه سر الإيمان ونور المعرفة، وهو قلب المؤمن، أمر الله تعالى المؤمن بتطهيره عن الغل والغش والميل إلى الشهوات، والغفلة، للطائفين فيه زوائد التوفيق، والقائمين بأنوار الإيمان ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(٣) الخوف والرجاء، فإن القلب إذا لم يسكن خرب، وإذا سكنه غير مالكه خرب.

فإذا أردتم أن تعمروا قلوبكم فلا تدَعوا فيها غير الله، وإذا أردتم أن تعمروا ألسنتكم فلا تدعوا فيها غير الصدق، وإذا أردتم أن تعمروا جوارحكم فلا تدعوا فيها شيئا إلا بالسُّنة.

قوله ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾(٤) قال: إن لله تعالى عبادا يذهبون إلى المساجد، بعضهم على السرير، وبعضهم على المراكب من ذهبٍ عليها سندس وتجرها الملائكة.

قال أحمد بن سالم: كنت فى أرض أصلحها فرأيت سهلا على فرش فوق ماء الفرات.

وقال: دخلت يوما دار سهل وكان بابه صغيرا، فرأيت فرسا قائما، فخرجت فزعا وتعجبت كيف دخل من هذا الباب الصغير، فرآنى سهل وقال: ارجع فرجعت فلم أر شيئا.

١ــ الحج: ١٨. ٢، ٣ــ الحج: ٢٦. ٤ــ الحج: ٢٧.

وحكى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أشرف على أهل عرفات فقال: لو يعلم الجمع هنا بفناء من نزلوا لاستبشروا بالفضل بعد المغفرة.

قوله ﴿ **وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ** ﴾(١) يعنى: الهدايا(*) والضحايا.

وحكى عن فتح الموصلى، أنه أشرف فى يوم العيد على الموصل فرأى الدخان فى بيوت الناس، فقال: إلهى كم من متقرب إليك فى هذه الليلة بقربان، وقد تقربت إليك بقربان يعنى الصلوات، فماأنت صانع فيه يا محبوب.

وحكى عن عدى بن ثابت الأنصارى أنه قال: قربان المتقين الصلاة والله أعلم.

قوله ﴿ **وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾(٢) قال: اختلف الناس فيه.

قال الحسن إنما سماه عتيقا تكرمة له، كما تقول العرب جسد عتيق، وفرس عتيق، إذا كان كريما.

وحكى خال محمد بن سوار، عن الثورى أنه قال: إنما قيل ذلك لأنه أقدم مساجد الله وأعتقها، كما قال ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا** ﴾(٣).

وقال بعضهم: سماه عتيقا لأنه لم يقصده جبار من الجبابرة بمكيدة إلا قصمه الله تعالى، فأعتق البيت منه.

وقال بعضهم: لأنه أُعتق من الغرق فى زمن الطوفان حيث رفع إلى السماء.

وكما أعتق الله بيته، كذلك أعتق قلب المؤمن من الغير، وهو أقدم بما نصبه الله تعالى علما فى أرضه، وجعله فى المسجد الحرام، كذلك القلب له قلب آخر وهو موضع وقوف العبد بين يدى مولاه لا يتحرك فى شىء، إنما هو ساكن إليه.

١- الحج: ٢٨.

* ما يهدى إلى البيت الحرام من الأنعام.

٢- الحج: ٢٩.

٣- آل عمران: ٩٦.

قوله تعالى ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[1] قال: أليس من نور بصر القلب يغلب الهوى والشهوة، فإذا عمى بصر القلب عما فيه غلبت الشهوة، وتواترت الغفلة، فعند ذلك يصير البدن متخبطا فى المعاصى غير منقاد للحق بحال.

قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾[2] قال: يعنى إذا تلا ونفسه ملاحظة للتلاوة ألقى الشيطان فى أذنه إذ له على النفس فيه شركة، إذا الملاحظة فيها من هوى النفس وشهوتها.

فإذا شاهد المذكور لا الذكر لها القلب عما سواه، ولم يشاهد شيئا غير مولاه، وصار الشيطان أسيرا من أسرائه.

ألا ترى أن العبد إذا سهى فى قراءته، وذكر ربه عز وجل، فهو يسكن قلبه إلى أدنى حظ من حظوظ النفس، حتى لا يجد العدوّ عليه سبيلا.

وقد قال الحسن: الوسواس وسواسان: أحدهما من النفس، والآخر من الشيطان، فما كان من ذلك إلحاحا فهو من النفس، يستعان عليها بالصيام والصلاة والأدب، وما كان من ذلك نبذا فهو من الشيطان يستعان عليها بالقرآن والذكر.

قوله ﴿ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾[3] قال: صدق الإيمان وحقيقته يورث الإخبات فى القلب، وهو الرقة والخشية، والخشوع فى القلب وطول التفكر وطول الصمت، وهذا من نتائج الإيمان، لأن الله تعالى يقول ﴿ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ - والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها المؤمنون ﴾

قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾[4]

---

١ - الحج: ٤٦.
٢ - الحج: ٥٢.
٣ - الحج: ٥٤.
٤ - المؤمنون: ١، ٢.

قيل: ماالخشوع؟ قال: الخشوع علانية، وهو الوقوف بين يدى الله تعالى على الإقامة على شروط آداب الأمر، وهوتخليص الحركات والسكون عما سواه، وأصل ذلك الخشية فى السر فإذا أعطى الخشية ظهر الخشوع على ظاهره، وهى من شروط الإيمان.

وقد حكى عن الحسن بن علىّ رضى الله عنهما: أنه إذا فرغ من وضوئه تغير لونه، فقيل له فى ذلك: فقال: يحق على من أراد أن يدخل على ذى العرش أن يتغير لونه.

ويروى عن النبىﷺ أنه قال، لمعاذ: «إن المؤمن قد قيده القرآن عن كثير من هوى نفسه، وحال بينه وبين أن يهلك فيما هوى، بإذن الله، إن المؤمن لذى الحق أسير، يا معاذ إن المؤمن يسعى فى فكاك رقبته، يا معاذ إن المؤمن لا تسكن روعته ولا يؤمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم، يا معاذ إن المؤمن يعلم أن عليه رقباء على سمعه وبصره ولسانه ويديه ورجليه وبطنه وفرجه حتى اللمحة ببصره وفتات الطينة بأصبعه وكحل عينه وجميع سعيه، التقوى رفيقه، والقرآن دليله، والخوف محجته، والشوق مطيته، والوجل شعاره، والصلاة كهفه، والصيام جنته، والصدقة فكاكه، والصدق وزيره، والحياء أميره، وربه من وراء ذلك كله بالمرصاد، يا معاذ إنى أحب لك ما أحب لنفسى، وأنهيت إليك ما أنهى إلىّ جبريل صلوات الله عليه، فلا أعرفن أحدا يوافينى يوم القيامة أسعد بما آتاك الله تعالى منك».

قوله ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾[1] يعنى: الحجب السبعة التى تحجبه عن ربه عز وجل.

فالحجاب الأول عقله، والثانى علمه، والثالث قلبه، والرابع خشيته، والخامس نفسه، والسادس إرادته، والسابع مشيئته.

١– المؤمنون: ١٧.

فالعقل باشتغاله بتدبير الدنيا، والعلم بمباهاته مع الأقران، والقلب بالغفلة، والخشية بإغفالها عن موارد الأمور عليها، والنفس لأنها مأوى كل بلية، والإرادة إرادة الدنيا، والإعراض عن الآخرة، والمشيئة بملازمة الذنوب.

قوله ﴿ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾(١) يعنى: كلوا من الحلال قواما مع حفظ الأدب.

القوام ما يمسك به النفس ويحفظ فيه القلب، والأدب فيه شكر المنعم، وأدنى الشكر أن لا تعصيه بنعمة من نعمه.

قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾(٢) قال: الخشية انكسار القلب من دوام الانتصاب بين يديه، ومن بعد هذه المرتبة الإشفاق وهو أرق من الخشية، واللطف والخشية أرق من الخوف، والخوف أرق من الرهبة، فلكل منها صفة ومكان.

قوله ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾(٣) قال: ما أخلصوا لربهم فى العبودية ولا ذلوا له بالوحدانية.

﴿ السورة التى يذكر فيها النور ﴾

قوله تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾(٤) أى جمعناها وبينا حلالها وحرامها.

قوله تعالى ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾(٥) يعنى وليعفوا عن ظلم الناس لهم.

وحكى عن سفيان الثورى أنه قال: أوحى الله تعالى إلى عزير، أنك إن لم تطب نفسا أن تكون مضغة فى أفواه الآدميين، لم أكتبك عندى من المتواضعين، قال: فقال عزير: إلهى فما علامة من صافيته فى مودتك؟ فقال: أقنعه بالرزق

١- المؤمنون: ٥١.
٢- المؤمنون: ٥٧.
٣- المؤمنون: ٧٦.
٤- النور: ١.
٥- النور: ٢٢.

اليسير، وأحركه للخطر العظيم، قليل المطعم، كثير البكاء، يستغفرني بالأسحار ويبغض فيَّ الفجار.

قوله ﴿ **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ** ﴾[1] قال: الخبيثات القلوب من النساء، للخبيثي القلوب من الرجال، والخبيثو القلوب من الرجال، للخبيثات القلوب من النساء.

قوله ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ﴾[2] أى: غضوا أبصاركم عن محارم الله تعالى، وهو عن النظر من غير غيرة.

وروى عن عبادة بن الصامت، عن النبى ﷺ أنه قال: «اضمنوا لى ستا أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم».

وحكى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سئل أكان رسول الله ﷺ يلتفت فى الصلاة؟ قال: ولا فى غير الصلاة.

قوله ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ** ﴾[3] قيل: ما التوبة؟ قال: أن تبدل بدل الجهل العلم، وبدل النسيان الذكر، وبدل المعصية الطاعة.

قوله تعالى ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾[4] يعنى: مزين السموات والأرض بالأنوار.

﴿ **مَثَلُ نُورِهِ** ﴾[5] يعنى: مثل نور محمد ﷺ، قال الحسن البصرى: عنى بذلك قلب المؤمن، وضياء التوحيد، لأن قلوب الأنبياء صلوات الله عليهم أنور من أن توصف بمثل هذه الأنوار.

وقال: النور مثل نور القرآن مصباح، المصباح سراجه المعرفة، وفتيلته الفرائض، ودهنه الإخلاص، ونوره نور الاتصال.

١- النور: ٢٦.

٢- النور: ٣٠.

٣- النور: ٣١.

٤، ٥- النور: ٣٥.

فكلما ازداد الإخلاص صفاء ازداد المصباح ضياء، وكلما ازدادت الفرائض حقيقة، ازداد المصباح نورا.

قوله ﴿ **يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ** ﴾[١] يعني: يوم البعث تتقلب فيه القلوب والأبصار، حالا بعد حال، لا يدومون على حال، فالمؤمن الذى يخاف هذا اليوم.

وقد حكى عن الحسن أنه قال: ذكر عنده أن رجلا يخرج من النار بعد ألف عام، فقال الحسن: يا ليتنى أنا هو.

وحكى عن عون بن عبدالله أنه قال: أوصى لقمان ابنه، قال: يا بنى ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكره، وخف الله تعالى خوفا لا تيأسن فيه من رحمته.

فقال: كيف أستطيع ذلك ولى قلب واحد؟ فقال: يا بنى إن المؤمن لذو قلبين، قلب يرجو الله به، وقلب يخاف به، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الفرقان ﴾

قوله تعالى ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ** ﴾[٢]. قال سهل: يعنى جل وعلا من خص محمدا ﷺ بإنزال الفرقان عليه، للفرق بين الحق والباطل، والولى والعدو، والقريب والبعيد.

﴿ **عَلَىٰ عَبْدِهِ** ﴾[٣] أى على عبده الأخلص، ونبيه الأخص، وحبيبه الأدنى، وصفيه الأولى.

﴿ **لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾[٤] أى يكون للخلق سراجا ونورا، نهدى به إلى أحكام القرآن، ويستدلون على طريق الحق ومنهاج الصدق.

قوله ﴿ **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا** ﴾[٥] قال: إن

١- النور: ٣٧. ٢، ٣، ٤- الفرقان: ١. ٥- الفرقان: ٢٠.

الله تعالى أمـــر بالصبر على ما جعل للإنسان فيه فتنة، ومن ذلك قلة الإطراق إلى ما في أيدى الناس.

وقـد روى أبو أيوب، عن النبيﷺ أنه أتاه رجل فـقـال: «إذا قـمـت إلى صلاتك فصل صلاة مودع، ولا تكلمن بكلام تعتذر منه غدا، واجمع اليأس بما في أيدى الناس».

وقد كان السلف يغتنمون ذلك، حتى حكى عن حذيفة أنه قال: إن أقر(*) أيامى لعينى ليوم أرجع إلى أهلى فيـشكون إلىّ الحاجة، وذلك أنـــى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ليحمى عبده المؤمن من الدنيا كما يحمى المريضَ أهلُه الطعام والشراب، وإن الله ليتعاهد المؤمن بالبلاء. كما يتعاهد الوالد ولده بالخير».

قوله تعالى ﴿ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴾(١).

قـال: أصح الخلة مـا لا يورث الندامـة، وليس ذلك إلا الأنس بالله تعـالى، والعزلة عن الخلق.

وكان رسول الله ﷺ يلازم الخلوة، لما فتح الله في قلبه من العلم، فكان يحب التفكر فيه.

وما من رجل حسنت صلاته إلا واستأنس به كل شيء، والرجل يكون نائما فيحركه من نومه أوقات الصلاة فينتبه. وهذا من إخوانه من الجن قد استأنس به، وربما يسافرون معه إذا سافر ويؤثرونه على أنفسهم، وربما استأنس به الملائكة.

وقد سأل رجل سهلا فقال: إني أريد أن أصحبك.

فقال: إذا مات أحدنا فمن يصحب الباقي، فليصحبه الآن.

وكان الربيع بن خيثم جالسا على باب داره يوما فجاء حجر فصك جبهته

* قر عين فلان سر ورضى.

١- الفرقان: ٢٨.

فشجه، وقال: لقد وعظت يا ابن خيثم، فدخل منزله وأغلق الباب على نفسه، فما رؤى جالسا مجلسه ذلك حتى مات.

قوله: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ** ﴾(١). سئل ابن سالم عن التوكل والكسب بأيهما تُعُبِّد الخلق؟

قال: التوكل حال رسول الله ﷺ، والكسب سنته، وإنما سن الكسب لهم لضعفهم حين أسقطوا عن درجة التوكل الذى هو حاله، فلم يسقطهم عن درجة طلب المعاش بالكسب الذى هو سنته، ولولا ذلك لهلكوا.

قال سهل: من طعن فى الكسب فقد طعن فى السنة، ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان.

قوله: ﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا** ﴾(٢) أي: صوابا من القول وسدادا.

وقال الحسن البصرى رحمه الله: هذا دأبهم في النهار، فإذا دخل الليل كانوا كما وصف الله فى الآية الأخرى.

﴿ **وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا** ﴾(٣).

قوله: ﴿ **إِلاَّ مَن تَابَ** ﴾(٤) قال: لا تصح التوبة لأحدكم حتى يدع الكثير من المباح، مخافة أن يخرجه إلى غيره.

كما قالت عائشة رضى الله عنها: اجعلوا بينكم وبين الحرام سترا من الحلال، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعنا بعد الطهر ثلاثا حتى تذهب فورة الدم.

قوله: ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ** ﴾(٥) قال: الزور مجالس المبتدعين، والله سبحانه وتعالى أعلم.

١- الفرقان: ٥٨. ٢- الفرقان: ٦٣. ٣- الفرقان: ٦٤. ٤- الفرقان: ٧٠. ٥- الفرقان: ٧٢.

﴿ السورة التي يذكر فيها الشعراء ﴾

قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[1] قال: أي مهلك نفسك باتباع المراد في هدايتهم، وقد سبق الحكم منا بما يكون من إيمان المؤمن وكفر الكافر، فلا تغيير ولا تبديل.

وباطن ذلك أنك شغلت نفسك عنا بالاشتغال بهم، حرصا على إيمانهم، ما عليك إلا البلاغ فلا يشغلك الحزن في أمرهم عنا.

قوله: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ ﴾[2] قال: أي ما أحدث لهم من علم القرآن، الذي لم يكونوا يعلمونه من قبل وهو النزول، إلا أعرضوا عنه، ليس أن يكون الذكر في نفسه محدَثا لأنه من صفات ذات الحق، ليس بمكوّن ولا مخلوق.

قوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾[3] قال: الذي خلقني لعبوديته يهديني إلى قربه.

قوله: ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾[4] قال: يطعمني لذة الإيمان، ويسقيني شراب التوكل والكفاية.

قوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[5] قال: يعني إذا تحركت بغيره لغيره عصمني، وإذا ملت إلى شهوة من الدنيا منعها عني.

قوله: ﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾[6] قال: الذي يميتني بالغفلة، ثم يحييني بالذكر.

١- الشعراء: ٣.
٢- الشعراء: ٥.
٣- الشعراء: ٧٨.
٤- الشعراء: ٧٩.
٥- الشعراء: ٨٠.
٦- الشعراء: ٨١.

قوله: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾(١) أخرج كلامه على شروط الأدب(*) بين الخوف والرجاء، ولم يحكم عليه بالمغفرة.

قوله تعالى: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾(٢) قال: ارزقني الثناء في جميع الأمم والملأ.

قوله عز وجل: ﴿ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(٣) قال: الذي سلم من البدع، مفوض إلى الله أمره، راض بقدر الله.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾(٤) قال: يعني عن استماع القرآن والفهم في محل الأوامر والنواهي.

قوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾(٥) قال: خوف الأقرب منك واخفض جناحك للأبعدين، دلهم علينا بألطف الدلالات، وأخبرهم بأني جواد كريم.

قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً ﴾(٦) قال: خلق الله تعالى السر وجعل حياته في ذكره، وخلق الظاهر وجعل حياته في حمده وشكره، وجعل عليهما الحقوق وهي الطاعة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها النمل ﴾

قوله تعالى: ﴿ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلاَّ مَن ظَلَمَ ﴾(٧) قال: لم يكن في الأنبياء والرسل ظالم، وإنما هذه مخاطبة لهم كناية عن قومهم(**).

١ـ الشعراء: ٨٢.

* فاستعمل لفظ أطمع.

٢ـ الشعراء: ٨٤.

٣ـ الشعراء: ٨٩.

٤ـ الشعراء: ٢١٢.

٥ـ الشعراء: ٢١٤.

٦ـ الشعراء: ٢٢٧.

٧ـ النمل: ١٠، ١١.

** أي: لكن من ظلم من قومهم.

كما قال للنبي ﷺ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1] والمقصود من ذلك أمته، فإنهم إذا سمعوا ما خوطب به النبي ﷺ من التحذير كانوا أشد حذرا.

قوله تعالى ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾[2] قال: ليس للعبد أن يتكلم إلا بأمر سيده، وألا يبطش إلا بأمره، وألا يمشي إلا بأمره، وألا يأكل وينام ويتفكر إلا بأمره، وذلك أفضل الشكر الذى هو شكر العباد لسيدهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[3] قال: يعنى ارزقنى قربة أوليائك، لأكون من جملتهم وإن لم أصل إلى مقامهم.

قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾[4] قال: الإشارة فى البيوت إلى القلب، فمنها ما هو عامر بالذكر، ومنها ما هو خرب بالغفلة، ومن ألهمه الله عز وجل بالذكر، فقد خلصه من الظلم.

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾[5] قال: أهل القرآن يلحقهم من الله السلام في العاجل، بقوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾ وسلام فى الآجل، وهو قوله: تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[6].

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[7] قيل: من المضطر؟ قال: الذى إذا رفع يديه لا يرى لنفسه حسنة غير التوحيد، ويكون منه على خطر.

وقال مرة أخرى: المضطر هو المتبرئ من الحول والقوة، والأسباب المذمومة، والدعوة صنفان: دعاء المضطر، ودعاء المظلوم، وهى مستجابة من الناس لا محالة، مؤمنا كان أو كافرا لأن الله تعالى يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ كقوله:

١- الزمر: ٦٥.
٢، ٣- النمل: ٥٢.
٤- النمل: ٥٢.
٥- النمل: ٥٩.
٦- يس: ٥٨.
٧- النمل: ٦٢.

﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾[1] ودعاء المظلوم يرفع فوق الحجاب، ويقول الله تعالى: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين(*).

قوله: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾[2] قال: أخفى غيبه عن المخلوقين بجبروته، ولم يطلع عليه أحدا لئلا يأمن أحد من عبيده مكره.

فلا يعلم أحد ما سبق له منه، فيكون همهم في إبهام العواقب ومجارى السوابق، لئلا يدعوا ما لا يليق بهم من أنواع الدعاوى في المحبة والمعرفة وغير ذلك.

قال: كان مائة ألف صديق ظاهرين للخلق، حتى كان لا يسمع أصوات الميازيب ببيت المقدس من المجتهدين بالليل؟، فلما ظهر شيئان سألوا الله تعالى فأماتهم دعوى الحب، ودعوى التوكل.

فقيل له: في القول قول حارثة(**)، حيث قال: سهرت ليلى وأظمأت نهارى.

فقال: يعنى لا حاجة لى إلى الكشف، لأنه حظ الكفار فى الدنيا، فأنا لا أشاركهم فى حظهم، فلذلك قلت أنا مؤمن.

قيل له: قوم يقولون مثل ما قال حارثة، فقال: دعواهم باطلة، وكيف تصح لهم الدعوى ولم يَدَّعِ ذلك أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، وكانت شعرة فى صدرهما أفضل من حارثة.

وإنما قال ذلك حارثة رضى الله عنه لا بنفسه، وإنما أظهر الله ذلك فتنة لمن بعده من المدعين، فكيف يصح لهؤلاء أن يدعوا ذلك لأنفسهم.

١ـ النمل: ٦٤.

* كما ورد فى الحديث الشريف.

٢ـ النمل: ٦٥.

** أحد الصحابة يذكر علامة إيمانه.

قال تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾[1] قال: منْعُه فضل، كما أن عطاءه فضل، ولكن لا يعرف مواضع فضله فى المنع إلا خواص الأولياء.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾[2] قال: إن الله تعالى نبه عباده على تقضى الأوقات وغفلتهم فيها، فجعل الجبال مثلا للدنيا، يظن الناظر أنها واقفة معه وهى آخذة بحظها منه، ولا يبقى بعد الانقضاء إلا الحسرة على الفائت الناظر أنها واقفة معه، وهى آخذة.

﴿السورة التي يذكر فيها القصص﴾

قوله تعالى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[3] أى: عن بعد عن مشاهدة عيننا فيه.

قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[4] أى رفعوه ليكون لهم فرحا وسرورا، ولم يعلموا أنما أضمرت القدرة فيه من تصييره لهم عدوا وحزنا.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾[5] أى: فارغا من ذكر غير الله اعتمادا على وعد الله ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾[6].

قوله: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[7] رجع إلى الله تعالى بالافتقار والتضرع، فقال إنى لما عودتنى من جميل إحسانك على الدوام فقير إلى شفقتك ونظرك إلىَّ بعين الرعاية والكلاءة، فردنى من وحشة المخالفين إلى أنس الموافقين، فرزقه الله صحبة شعيب -صلوات الله عليهما- وأولاده.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[8] قال: من أخذ

١- النمل: ٧٣.
٢- النمل: ٨٨.
٣- القصص: ١١.
٤- القصص: ٨، ويقال لهذه اللام فى ليكون لام الصيرورة لا لام التعليل.
٥- القصص: ١٠.
٦- القصص: ٧.
٧- القصص: ٢٤.
٨- القصص: ٦٠.

من الدنيا بشهوة منه، حرمه الله في الدنيا والآخرة ما هو خير منها، ومن أخذ منها لضرورة دخلت بنفسه أو لحق لزمه، لم يحرم ما هو خير في الدنيا لذة العبادة، ومحبة الحق عز وجل، وفي الآخرة الدرجات العلى.

وقيل لعامر بن عبد قيس: لقد رضيت من الدنيا باليسير، قال: أفلا أخبركم بمن رضي بدون ما رضيت، قالوا بلى، قال: من رضي الدنيا حظا من الآخرة(*).

قوله: ﴿**لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾(1) قال: من فرح بغير مفروح استجلب حزنا لا انقطاع له، وليس للمؤمن راحة دون لقاء الحق جل وعز.

وحكى عن الأعمش قال: كنا نشهد جنازة فلا ندري مَن نعزي من حزن القوم.

قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي**﴾(2) قال: ما نظر إلى نفسه أحد فأفلح، ولا ادعى لنفسه حالا فتم له.

والسعيد من الخلق من صرف بصره عن أحواله وأفعاله سبيل الفضل، والإفضال ورؤية منة الله في جميع الأفعال.

والشقي من زين نفسه وأحواله وأفعاله حتى افتخر بها، وادعى ذلك لنفسه، فشؤمه يهلكه يومًا ما، وإن لم يهلكه في الوقت.

ألا ترى الله كيف حكى عن قارون بقوله ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي**﴾ يعني الفضل، وهو أنه كان أقرأهم للتوراة، فادعى لنفسه فضلا، فخسف الله به الأرض ظاهرا، وكم قد خُسف بالأشرار وصاحبها لا يشعر بذلك.

وخَسْف الأشرار هو منع العصمة، والرد إلى الحول والقوة، بإطلاق اللسان في الدعاوى العريضة، والعمى عن رؤية الفضل، والقعود عن القيام بالشكر على ما أعطى، فحينئذ يكون وقت الزوال.

---

* لأن متاع الدنيا قليل زائل ومتاع الآخرة كثير دائم.

1- القصص: ٧٦.
2- القصص: ٧٨.

﴿ السورة التى يذكر فيها العنكبوت ﴾

قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾[1] قال: أى لا يصيبهم البلاء، وإنما البلاء باب بين أهل المعرفة وبين الحق عز وجل.

وحكى أن الملائكة تقول: يا رب عبدك الكافر بسطت له الدنيا وزويت عنه البلاء، فيقول للملائكة: اكشفوا لهم عن عقابه فإذا رأوه قالوا: لا ينعمه ما أصاب من الدنيا، وتقول: يا رب عبدك المؤمن تزوى عنه الدنيا وتعرضه للبلاء، فيقول للملائكة: اكشفوا عن ثوابه، فإذا رأوا ثوابه، قالوا: لا يضره ما أصابه فى الدنيا.

وقال: اجعلوا صلاتكم الصبر على البأساء، وصومكم الصمت، وصدقتكم كف الأذى، والصبر على العافية أشد منه على البلاء.

ومنه قيل: طلب السلامة أن لا تتعرض للبلاء.

وقوله ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾[2] قال: اطلبوا الرزق بالتوكل لا بالكسب، فإن طلب الرزق بالكسب طريق العوام.

وحكى عن عيسى ابن مريم عليهما السلام أنه قال: بحق أقول لكم، لا الدنيا تريدون ولا الآخرة، قالوا: بين لنا ذلك يا نبى الله، وقد كنا نرى أنا نريد إحداهما.

فقال: لو أطعتم رب الدنيا الذى بيده مفاتيح خزائنها لأعطاكموها، ولو أطعتم رب الآخرة لأعطاكموها، ولكن لا هذه تريدون ولا تلك.

قوله تعالى ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾[3] بمتابعة البدعة ﴿ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ﴾[4] بملازمة السنة.

قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾[5] قال:

١- العنكبوت: ١، ٢.
٢- العنكبوت: ١٧.
٣، ٤- العنكبوت: ٢١.
٥- العنكبوت: ٤٣.

ضرب الله الأمثال للناس عامة إذ شواهد القدرة، تدل على القادر، ولا يعقلها إلا خاصته.

فالعلم أعز والفقه عن الله أخص، فمن عرف علم نفسه الطبيعية وحده وهم، ومن عرفه بعلم الله فالله عرف مراده منه لنفسه، وليس مع الخلق من معرفة الحق وراء ذلك، وإنما وقعت الإشارة إليه لبعد قلوبهم عن المعرفة في الحقيقة.

ألا ترى إلى قوله: ﴿ **إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾[1] قال: في هذه الآية تزيين الانصراف عن الفحشاء والمنكر بواحدة، وهو الإخلاص في الصلاة، وكل صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر ولا يوجد فيها تزيين الانصراف عن ذلك، فهي معلولة والواجب تصفيتها.

قوله تعالى ﴿ **إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ** ﴾[2] قال: يعني إذا عُمل بالمعاصي والبدع في أرض، فاخرجوا منها إلى أرض المطيعين.

وقد قال النبي ﷺ: «الفارُّ بدينه عند فساد الأمة له أجر سبعين شهيدا في سبيل الله عز وجل» والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الروم ﴾

قوله تعالى ﴿ **لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ** ﴾[3] يعني: من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء، لأنه هو المبدئ والمعيد، سبق تدبيره في الخلق، لأنه عالم بهم في الأصل والفرع.

قوله ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ** ﴾[4] قال: أفضل الرزق السكون إلى الرزاق.

قوله ﴿ **ثُمَّ يُمِيتُكُمْ** ﴾[5] يعني يهلككم، قال: إن الله تعالى خلق الخير

١- العنكبوت: ٤٥. ٢- العنكبوت: ٥٦.

٣- الروم: ٤. ٤، ٥- الروم: ٤٠.

والشر، ووضع الأمر والنهي، فاستعبدنا بالخير وقرنه بالتوفيق، ونهانا عن الشر وقد قرن ارتكابه بترك العصمة والخذلان، فالجميع خلقه.

فمن وفق للخير وجب عليه الشكر، ومن ترك مع الشر وجب عليه الاستغاثة بالله عز وجل.

قوله تعالى ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** ﴾[1] قال: مثل الله تعالى الجوارح بالبر، ومثل القلب بالبحر، وهم أعم نفعا وأكثر خطرا، هذا باطن الآية.

ألا ترى أن القلب إنما سمي قلبا لتقلبه، وبُعْد غوره، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء رضي الله عنه: «جدد السفينة فإن البحر عميق» يعني جدد النية لله تعالى من قلبك، فإن البحر عميق.

فحينئذ إذا صارت المعاملة في القلوب التي هي بحور ليس له منها مخرج، وخرجت النفس من الوسط استراحت الجوارح، فصار صاحبها في كل يوم أقرب إلى غورها وأبعد من نفسه حتى يصل.

وسئل عن معنى قوله ﷺ «من تواضع لغنيٍّ ذهب ثلثا دينه» فقال: للقلب ثلاث مقامات: جمهور القلب، ومقام اللسان من القلب، ومقام الجوارح من القلب.

وقوله: «ذهب ثلثا دينه» يعني اشتغل من الثلاثة اثنان: اللسان، وسائر الجوارح، وبقي الجمهور الذي لا يصل إليه أحد، وهو موضع إيمانه من القلب.

ثم قال: إن القلب رقيق يؤثر فيه كل شيء، فاحذروا عليه واتقوا الله به.

فسئل متى يتخلص القلب من الفساد؟ قال: لا يتخلص إلا بمفارقة الظن والحيل، وكأن الحيل عند ربك كالكبائر عندنا.

١– الروم: ٤١.

وقد قال النبى ﷺ: «الكبيرة ما يشرح فى صدرك والإثم ما حاك فى صدرك وإن أفتاك المفتون وأفتوك»، ثم قال: إن اضطرب القلب فهو حجة عليك.

قوله ﴿ **فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ** ﴾[1] قال: ظاهرها المطر، وباطنها حياة القلوب بالذكر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها لقمان ﴾

قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ** ﴾[2] قال: هو الجدال فى الدين، والخوض فى الباطل.

قوله ﴿ **وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ** ﴾[3] يعنى: من لم يهتد الطريق إلى الحق عز وجل، فليتبع آثار الصالحين، لتوصله بركة متابعتهم إلى طريق الحق.

ألا ترى كيف نفع اتباع الصالحين كلب أصحاب الكهف، حتى ذكره الله تعالى بالخير مرارا(*).

وقد قال النبى ﷺ فى ذلك الحديث «هم الذين لا يشقى جليسهم».

قوله: ﴿ **إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾[4] فإنه يصيح لرؤية الشيطان، فلذلك سماه الله تعالى منكرا.

﴿ **وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾[5] الظاهرة محبة الصالحين، والباطنة سكون القلب إلى الله تعالى.

قوله: ﴿ **وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾[6] قال: من يخلص دينه لله عز وجل، ويحسن أدب الإخلاص، والعروة الوثقى هى السنة.

١- الروم: ٥٠. ٢- لقمان: ٦. ٣- لقمان: ١٥.

* ﴿ **سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ** ﴾ [الآية: ٢٢ سورة الكهف] ويقول تعالى فى نفس السورة [الآية: ١٨] ﴿ **وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ** ﴾ فانظر كم مرة ذكره الله تعالى.

٤- لقمان: ١٩. ٥- لقمان: ٢٠. ٦- لقمان: ٢٢.

قوله: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾[1] أي: لا تعرض وجهك عمن استرشدك الطريق إلينا، وعرفهم نعمتى وإحسانى لديهم.

قوله: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾[2] أي: ماله وعليه في الغيب من المقدور، فاحذروه بإقامة ذكره والصراخ إليه، حتى يكون هو المتولى لشأنهم، كما قال: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾[4] قال: على أى حكم تموت من السعادة والشقاوة، ولذلك قال الرسول ﷺ «لا تغرنكم كثرة الأعمال فإن الأعمال بالخواتيم».

وكان يقول: «يا ولى الإسلام وأهله أمسكنى بالإسلام حتى ألقاك به».

وقال: «يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبى على دينك»، مع ما أمنه الله من عاقبته، وإنما قال ذلك تأديبا ليقتدوا به، ويظهروا فقرهم وفاقتهم إلى الله عز وجل، ويتركوا السكون إلى الأمن من مكره.

ولذلك قال إبراهيم ﷺ ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾[5].

وقال يوسف عليه السلام ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[6].

فهذا كله تبرٍّ من الحول والقوة بالافتقار إليه كما قال: ﴿ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾[7] أي تبريكم من كل شيء سواى، قولا، وقال: ﴿ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾[8] عز وجل.

﴿ السورة التى يذكر فيها السجدة ﴾

قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾[9] قال: يوحى من أمره

١- لقمان: ١٨. ٢- لقمان: ٣٤. ٣- الرعد: ٣٩.
٤- لقمان: ٣٤. ٥- إبراهيم: ٣٥. ٦- يوسف: ١٠١.
٧- الفرقان: ٧٧. ٨- فاطر: ١٥. ٩- السجدة: ٥.

إلى عبيده مالهم فيه هدى ونجاة، يطوى لمن رضى رزق القضاء بتدبير الله له، وأسقط عنه سوء تدبيره، ورده إلى حال الرضا بالقضاء، والاستقامة في جريان المقدور عليه، أولئك من المقربين، وأن الله تعالى خلق الخلق من غير حجاب، ثم جعل حجابهم تدبيرهم .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾(١) قال : لو شئنا لحققنا دعاوى المحقين، وأدحضنا براهين المبطلين .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا ﴾(٢) قال : لا يجد العبد لذة الإيمان حتى يغلب علمه جهله، ويكون الغالب على قلبه الرحمة .

قوله : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾(٣) قال : إن الله تعالى وهب لقوم هبة، وهو أن أدناهم من مناجاته، وجعلهم من أهل وسيلته وصلته، ثم مدحهم على إظهار الكرم بأنه وفقهم على ما وفقهم له فقال : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾(٤) قال : أي خوفا من هجرانه، وطمعا في لقائه .

قوله عز وجل ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾(٥) قال : أقر أعينهم بما شاهدوا من ظاهر الحقائق وباطنها التي كشفت لهم من مكاشفات، فرأوها وتمسكوا بها، فقرت أعينهم، وسكنت إليها قلوبهم، وغيرهم(*) لا يعلمون ما أخفى لهم، والله سبحانه وتعالى أعلم .

١- السجدة : ١٣ .

٢- السجدة : ١٥ .

٣، ٤- السجدة : ١٦ .

٥- السجدة : ١٧ .

* وهم المعبر عنهم بقوله تعالى ﴿ نفس ﴾ .

﴿ السورة التي يذكر فيها الأحزاب ﴾

قوله تعالى: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾[1] قال: المتوجه إلى الله عز وجل قصدا من غير التفات، فمن نظر إلى شيء سوى الله فما هو بقاصد إلى ربه.

وإن الله تعالى يقول: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ قيل: قلب يقبل به على ربه، وقلب يدبر به أمور الدنيا.

وللعقل طبعان: طبع للدنيا، وطبع للآخرة، مؤتلف بطبع نفس الروح، فطبع الآخرة مؤتلف بطبع نفس الروح، وطبع الدنيا مؤتلف بالنفس الشهوانية.

ولهذا قال الرسول ﷺ «لا تكلني إلى نفسي طرفة عين» فإن العبد مادام مشتغلا بنفسه فهو محجوب عن الله عز وجل.

قوله تعالى ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾[2] قال: من لم ير نفسه فى ملك الرسول ﷺ، ولم ير ولاية الرسول ﷺ فى جميع الأحوال، لم يذق حلاوة سنته بحال، لأن النبى ﷺ هو أولى بالمؤمن.

والنبى ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين».

الكلام عن الصدق:

قوله تعالى: ﴿ **لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾[3] قال عبد الواحد بن زيد: الصدق الوفاء لله بالعمل.

وسئل سهل عن الصدق: فقال: الصدق خوف الخاتمة، والصبر شاهد الصدق، وإنما صعب الصدق على الصديقين، والإخلاص على المخلصين، والتوبة على التائبين، لأن هذه التلبية لها حكم بذل الروح.

---

١ ـ الأحزاب: ٤. ٢ ـ الأحزاب: ٦. ٣ ـ الأحزاب: ٨.

قيل لأحمد بن متى: ما معناه: قال: أن لا يبقى للنفس نصيب.

(وقال) سهل: لا يشم أحد رائحة الصدق ما دام يداهن نفسه أو غيره، بل الصدق أن يكون فى سره أنه ليس على وجه الأرض أحد طالبه الله بالعبودية غيره، ويكون رجاؤه خوفه، وخوفه انتقاله.

فإذا رآهم الله تعالى على هذه الحالة تولى أمورهم، وكفاهم، فصارت كل شعرة من شعورهم تنطق مع الله بالمعرفة، فيقول الله تعالى لهم يوم القيامة: لمن عملتم وماذا أردتم؟ فيقولون: لك عملنا وإياك أردنا، فيقول: صدقتم.

فوعزته فإن قوله لهم فى المشاهدة صدقتم، ألذ عندهم من نعيم الجنة.

فقيل لأحمد بن متى ما معنى قوله: رجاء الصدق خوفه، وخوفه انتقاله.

فقال: لأن الصدق رجاؤهم وطلبهم، ويخافون فى طلبهم أن لا يكونوا صادقين، فلا يقبل الله منهم كما قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[1] أى وجلة فى الطاعة، خوف الرد عليهم.

الإيمان والإسلام:

قوله ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾[2] قال: الإيمان أفضل من الإسلام، والتقوى فى الإيمان أفضل من الإيمان، واليقين فى التقوى أفضل من التقوى، والصدق فى اليقين أفضل من اليقين.

وإنما تمسكتم بالأدنى فإياكم أن تنفلت من أيديكم.

وقال: الإيمان بالله فى القلب ثابت، واليقين بالصدق راسخ، فصدق العين ترك النظر إلى المحظورات، وصدق اللسان فى ترك ما لا يعنى، وصدق اليد ترك البطش للحرام، وصدق الرجلين ترك المشى إلى الفواحش.

---

١ ـ المؤمنون: ٦٠.   ٢ ـ الأحزاب ٣٥.

وحقيقة الصدق من دوام النظر فيما مضى، وترك النظر فيما بقي، وأن الله تعالى أعطى الصديقين من العلم ما لو نطقوا به لنفد البحر من نطقهم، وهم مختفون لا يظهرون للناس إلا فيما لا بد لهم منه، حتى يخرج العبد الصالح(*)، فعند ذلك يظهرون ويعلمون العلماء من علومهم.

القول في الذكر:

قوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾(١) قال: الذاكر على الحقيقة من يعلم أن الله مشاهده، فيراه بقلبه قريبا منه، فيستحي منه، ثم يؤثره على نفسه، وعلى كل شيء من جميع أحواله.

وسئل سهل مرة أخرى: ما الذكر؟ فقال: الطاعة، قيل: ما الطاعة؟ قال: الإخلاص. قيل: ما الإخلاص؟ قال: المشاهدة، قيل: ما المشاهدة؟ قال: العبودية، قيل: ما العبودية؟ قال الرضا، قيل: ما الرضا؟ قال: الافتقار، قيل: ما الافتقار؟ قال: التضرع والالتجاء، سلم سلم إلى الممات.

وقال ابن سالم: الذكر ثلاث: ذكر باللسان، فذاك الحسنة بعشر، وذكر بالقلب فذاك الحسنة بسبعمائة، وذكر لا يوزن ثوابه وهو الامتلاء من المحبة.

قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾(٢) قال: أي معلوما قبل وقوعه عندكم، وهل يقدر أحد أن يتقى المقدور.

وقد قال عمر رضي الله عنه لما طعن(**) ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ ولقد أخبرني رسول الله ﷺ أنهم سيفعلون هذا.

وحكى عن الضحاك: أنه ينزل ملكان من السماء، مع أحدهما صحيفة فيها

* قد يكون يعني عيسى عليه السلام آخر الزمان.

١ـ الأحزاب: ٣٥.　　٢ـ الأحزاب: ٣٨.

** طعنه أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة جازاه الله بما يستحقه.

كتاب، ومع الآخر صحيفة ليس فيها كتاب، فيكتب عمل العبد وأثره، فإذا أراد أن يصعد قال لصاحب الصحيفة المكتوبة: عارضني فيعارضه، فلا يخطئ حرفا.

قوله ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(١) قال: من وفقه الله لصالح الأعمال فذاك دليل على أنه مغفور له، لأن الله تعالى قال: ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها سبأ ﴾

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾(٢) قال: الرزق على وجهين: رزق وهو ذكر لنفس الروح والعقل والقلب، مثل عيش الملائكة وحياتهم بالذكر، متى أمسك عنهم ماتوا، والرزق الآخر هو المأكول والمشروب ونحو ذلك، لنفع الطبع، وفيه يقع الحلال والحرام.

فالحلال ما رزقه الله تعالى وأمر بالأخذ منه، والحرام ما رزقه الله تعالى ونهى عنه، وهو قسمة النار، ولا أعلم شيئا أشد من كف الأذى وأكل الحلال.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ ﴾(٣) قال: الزلفى هو القرب من الله تعالى.

قوله: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾(٤) قال: الخلف على الإنفاق، والأنس بالعيش مع الله تعالى والسرور به.

قوله: ﴿ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ﴾(٥) قال: يرجع الحساب يوم القيامة إلى أربعة: الصدق في الأقوال، والإخلاص في الأعمال، والاستقامة مع الله في جميع الأحوال، ومراقبة الله على كل حال، والله سبحانه وتعالى أعلم.

١- الأحزاب: ٧١.
٢- سبأ: ٣٩.
٣- سبأ: ٣٧
٤- سبأ: ٣٩.
٥- سبأ: ٤٦.

﴿ السورة التي يذكر فيها فاطر ﴾

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ ﴾(١) يعني: الشيطان يدعو أهل طاعته من أهل الأهواء والبدع والضلالات، والسامعين ذلك من قائلها.

قوله: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾(٢) قال: ظاهرها الدعاء والصدقة، وباطنها الذكر عملا بالعلم، وإقبالا بالسنة، يرفعه أي يوصله بالإخلاص فيه لله تعالى.

الكلام عن الفقراء إلى الله تعالى:

قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾(٣) قال: يعني أنتم إليه في أنفسكم، فإن الله تعالى لما خلق الخلق حكم لعباده بالفقر إليه وهو الغني.

فمن ادعى الغني حُجب عن الله عز وجل، ومن أظهر فقره إليه أوصل الله فقره بغناه.

فينبغي للعبد أن يكون مفتقرا إليه في السر، منقطعا عن غيره، حتى تكون عبوديته محضة، إذ العبودية المحضة هي الذل والخضوع.

فقيل له: وكيف يفتقر إليه؟ قال: إظهار الفقر في ثلاث فقرهم القديم، وفقرهم في حالهم، وفقرهم في موت أنفسهم من تدبيرهم، ومن لم يكن كذلك فهو مدع في فقره.

وقال: الفقير الصادق الذي لا يسأل ولا يرد ولا يحبس.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: صفة أولياء الله عز وجل ثلاثة أشياء: الثقة بالله تعالى في كل شيء، والفقر إليه في كل شيء، والرجوع إليه من كل شيء.

قوله ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾(٤) قال عمر بن واصل:

١- فاطر: ٦.
٢- فاطر: ١٠.
٣- فاطر: ١٥.
٤- فاطر: ٣٢.

سمعت سهلا يقول: السابق العالم، والمقتصد المتعلم، والظالم الجاهل. وقال أيضا: السابق الذى اشتغل بمعاده، والمقتصد الذى اشتغل بمعاده ومعاشه، والظالم الذى اشتغل بمعاشه دون معاده.

وقال الحسن البصرى رحمه الله: السابق الذى رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد الذى استوت حسناته وسيئاته، والظالم الذى رجحت سيئاته على حسناته.

قوله: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ** ﴾[1] أى حزن القطيعة ﴿ **إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾ يعنى: غفور لذنوب كثيرة شكور لأعمال يسيرة.

﴿ السورة التى يذكر فيها يس ﷺ ﴾

قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ** ﴾[2] قال: من عبدالله فى سره أورثه اليقين، ومن عبدالله بصدق اللسان لم يستقر قلبه دون العرش، ومن عبدالله بالإنصاف كانت السموات والأرض فى ميزانه.

قيل: وما الإنصاف؟ قال: الإنصاف أن لا تتحرك جميع أعضائك إلا لله، ومتى طالبته برزق الغد فقد ذهب إنصافك، لأن القلب لا يحمل همين.

والإنصاف بينك وبين الخلق أن تأخذ بالفضل، فإذا طلبت الإنصاف فلست بمنصف.

وحكى عن يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، أنهما خرجا يمشيان فصدم يحيى امرأة، فقال له عيسى: يا ابن خالتى لقد أصبت اليوم خطيئة ما أرى الله يغفرها لك.

قال: وما هى؟ قال: صدمت امرأة، قال والله ما شعرت بها، قال عيسى:

---

١ - فاطر: ٣٤.
٢ - يس: ١١.

سبحان الله بدنك معي فأين قلبك؟ قال: معلق بالعرش، ولو أن قلبي اطمأن إلى جبريل صلوات الله عليه طرفة عين لظننت أني ما عرفت الله عز وجل.

قوله ﴿ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾(١). وسئل عن خير العبادات فقال: الإخلاص لقوله: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾(٢).

ولا يخلص العمل لأحد ولا تتم عبادته وهو يفر من أربع: الجوع، والعرى، والفقر، والذلة، وأن الله تعالى استعبد الخلق بهذه الثلاث: العقل، والروح، والقوة، وإذا خاف على اثنين منها: ذهاب عقله، وذهاب روحه، تكلف لها بشيء وأما القوة فلا يتكلف لها، ولا يفطن لها وإن صلى جالسا.

قوله: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ ﴾(٣) قال: يعني ولو نشاء لفقأنا أعين قلوبهم التي يبصرون الكفر وطريقه، فيبصرون طريق الإسلام ولا يبصرون غيره ﴿ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ طريق الإسلام ولم يفعل ذلك.

قوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾(٤) قال: هو الذكر والتفكر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الصافات ﴾

قوله تعالى ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(٥) أي مستسلم مفوض إلى ربه بكل حال راجع لسره.

قوله تعالى ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾(٦). قال وحكى عن محمد بن سوار عن أبي عمرو بن العلاء قال: معناه نظر إلى النبات كقوله: ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾(٧) وأراد بالنجم ما لا ساق له من النبات، وبالشجر ما له ساق.

١- يس: ٢٢. ٢- البينة: ٥. ٣- يس: ٦٦.

٤- يس: ٦٩. ٥- الصافات: ٨٤. ٦- الصافات: ٨٨، ٨٩. ٧- الرحمن: ٦.

قوله: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[1] قال: إبراهيم ﷺ لما أحب ولده بطبع البشرية تداركه من الله فضله وعصمته، حتى أمره بذبحه، إذ لم يكن المراد منه تحصيل الذبح، وإنما كان المقصود تخليص السر من حب غيره بأبلغ الأسباب.

فلما خلص السر له، ورجع عن عادة الطبع فداه بذبح عظيم.

قوله: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ ﴾[2] قال: يعني بلاء رحمة، ألا ترون كيف بعثه على الرضا.

قال: وبلغنا أنه مكتوب في الزبور: ما قضيت على مؤمن قضاء أحَبه أو كرهه إلا وهو خير له.

وحكى أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم صلوات الله عليه، ما من أحد وسعت إليه إلا أنقصت بقدره من آخرته، ولو كنت أنت يا خليلي.

وقال أبو يعقوب السوسي: جاءنا فقير ونحن بأرغان، وسهل بن عبدالله يومئذ بها فقال: إنكم أهل العناية، فقد نزلت بي محنة.

فقال له سهل: في ديوان المحن وقعت منذ تعرضت لهذا الأمر فما هي؟ قال: فتح لي شيء من الدنيا، فاستأثرت به في غير ذوي محرم، فقدت إيماني وحالي.

(فقال) سهل: ما تقول في هذا يا أبا يعقوب؟ فقلت: محنته بحاله أعظم من محنته بإيمانه.

فقال لي سهل: مثلك يقول هذا يا أبا يعقوب.

القول في الحال:

وسئل سهل عن الحال، فقال: حال الذكر من العلم السكون، وحال الذكر من العقل الطمأنينة، وحال التقوى من الإسلام الحدود، ومن الإيمان الطمأنينة.

---

١ - الصافات: ١٠٧.   ٢ - الصافات: ١٠٦.

وقال: إذا كان للعبد حال فدخل عليه البلوى، فإن طلب الفرج بحال دون تلك الحال فهو منه حدث، قيل: وكيف ذلك؟

قال: مثل أن يكون جائعا فيطلب الشبع، لأن درجة الجائع أعلى.

قوله: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾(١) قال: يعني من القائمين بحقوق الله تعالى قبل البلاء، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التي يذكر فيها ص﴾

قوله تعالى ﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾(٢) قال: ذى الشأن الشافى والوعظ الكافى.

قوله ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾(٣) قال: هو الصبر المذموم، الذى وبخ الله به الكفار.

وقد سمعته يقول: الصبر على أربع مقامات: صبر على الطاعة، وصبر على الألم، وصبر على التألم، وصبر مذموم وهو الإقامة على المخالفة.

قوله ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾(٤) قال: إنما أعطاه الله ذلك حين سأله أن يرفع منزلته على منزلة إسماعيل وإسحاق.

فقال: لست هناك يا داود، ولكنى أجعل لك مقاما من الحكمة وفاصلة، وهى: أما بعد، وهو أول من قال ذلك، وبعده قس بن ساعدة(*).

وقد قيل: فصل الإيمان لخطاب البيان.

قوله ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾(٥) قال: أى بالعدل وبالوزراء الصالحين، يدلونه على

١- الصافات: ١٤٣.

٢- ص: ١.

٣- ص: ٦.

٤- ص: ٢٠.

* قس بن ساعدة الأيادى أحد حكماء العرب.

٥- ص: ٢٠.

الخير، كما قال الرسول ﷺ: «إن الله تعالى إذا أراد بوالٍ خيرا جعل له وزيرا صدوقا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه».

قوله ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾(١) قال: الإنابة هي الرجوع من الغفلة إلى الذكر، مع انكسار القلب وانتظار المقت.

قوله ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٢) قال: أي ظلمة الهوى تستر أنوار ذهن النفس والروح، وفهم العقل وفطنة القلب، كما قال النبي ﷺ «إن الهوى والشهوة يغلبان العقل والعلم والبيان» لسابق القدرة من الله تعالى.

قوله ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾(٣) قال: عن صلاة العصر وحدها.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾(٤) قال ألهم الله تعالى سليمان أن يسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، ليقصم به الجبابرة والكفرة، والذين يخالفون ربهم، ويدعون لأنفسهم قدرة من الجن والإنس.

فوقع السؤال من سليمان عليه السلام، على اختيار الله له، لا على اختياره لنفسه.

قوله ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾(٥) قال: أخلص إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عن ذكر الدنيا بذكره خالصة، لا لمال جزاء، ولا شاهدوا فيه أنفسهم، بل ذكروه به له، وليس مَن ذكر الله بالله، كمن ذكر الله بذكر الله، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الزمر ﴾

قوله تعالى ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾(٦) قال: أول الشكر الطاعة، وآخره رؤية الجنة.

١- ص: ٢٤. ٢- ص: ٢٦. ٣- ص: ٣٢.

٤- ص: ٣٥. ٥- ص: ٤٦. ٦- الزمر: ٧.

قوله ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[1] قال: العلم الكتاب، والاقتداء، لا الخواطر المذمومة، وكل علم لا يطلبه العبد من موضع الاقتداء صار وبالا عليه، لأنه يدعى به.

قوله ﴿ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ﴾[2] قال: الإخلاص الإجابة، فمن لم يكن له الإجابة فلا إخلاص له.

وقال: نظر الأكياس فى الإخلاص، فلم يجدوا شيئا غير هذا، وهو أن تكون حركاته وسكناته فى سره وعلانيته لله عز وجل وحده، لا يمازجه هوى ولا نفس.

قوله ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[3] قال: الطاغوت الدنيا، وأصلها الجهل، وفرعها المآكل والمشارب، وزينتها التفاخر، وثمرتها المعاصى، وميزانها القسوة والعقوبة.

قوله: ﴿ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ﴾[4] قال: يعنى إن نزع الله عنى العصمة عن المخالفات، أو المعرفة على الموافقات، هل يقدر أحد أن يوصلها إلىَّ، ﴿ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ ﴾[5] أي: بالصبر على ما نهى عنه، والمعونة على ما أمر به، والاتكال عليه فى الخاتمة.

وقال: الرحمة العافية فى الدين والدنيا والآخرة، وهو التولى من البداية إلى النهاية.

قوله ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾[6] يعنى: أنزله لهم ليهتدوا بالحق إلى الحق ويستضيئوا بأنواره.

القول فى التوفى:

قوله ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾[7] قال: إذا توفى الله الأنفس، أخرج الروح النورى من لطيف نفس الطبع الكثيف.

والتوفى فى كتاب الله على ثلاثة أوجه أحدها الموت، والآخر النوم، والثالث الرفع.

١- الزمر: ٩. ٢- الزمر: ١١. ٣- الزمر: ١٧.
٤، ٥- الزمر: ٣٨. ٦- الزمر: ٤١. ٧- الزمر: ٤٢.

فالموت ما ذكرنا، والنوم قوله ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ يعنى يتوفى التى لم تمت فى منامها.

وقال ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾[1] يعنى النوم، والرفع بعيسى عليه السلام ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[2] فإنه إذا مات فينزع عنه لطيف نفس الروح النورى، من لطيف نفس الطبع الكثيف، الذى به يعقل الأشياء، ويرى الرؤيا فى الملكوت.

وإذا نام نزع عنه لطيف نفس الطبع الكثيف، لا لطيف نفس الروح النورى، فيستفيق النائم نفسا لطيفا، وهو من لطيف نفس الروح الذى إذا زايله لم تكن له حركة، وكان ميتا.

ولنفس طبع الكثيف لطيفة، ولنفس الروح لطيفة، فحياة نفس الطبع بنور لطيف نفس الروح، وحياة روح لطيف نفس الروح بالذكر، كما قال ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[3] أى يرزقون الذكر بما نالوا من لطيف نفس النورى، وحياة الطبع الكثيف بالأكل والشرب والتمتع.

فمن لم يحسن الإصلاح بين هذين الضدين، أعنى نفس الطبع، ونفس الروح، حتى يكون عيشهما جميعا بالذكر، والسعى بالذكر فليس بعارف فى الحقيقة.

وقال عمر بن واصل: كان المبرد النحوى يقول: الروح والنفس شيئان متصلان، لا يقوم أحدهما بدون الآخر.

قال: فذكرت ذلك لسهل فقال: أخطأ إن الروح يقوم بلطفه فى ذاته بغير نفس الطبع الكثيف.

١- الأنعام: ٦٠.

٢- آل عمران: ٥٥.

٣- آل عمران: ١٦٩.

ألا ترى أن الله تعالى خاطب الكل من الذر(*)، بنفس روح، وفهم عقل، وفطنة قلب، وعلم لطيف، بلا حضور طبع كثيف.

قوله ﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ** ﴾(١) قال: أم اتخذوا طريق البدعة في الدين، قربة في الدين إلى الله، على أن ينفعهم ذلك.

قوله: ﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ** ﴾(٢) جحدت قلوبهم مواهب الله عندها.

قوله ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ** ﴾(٣) قال: أمهل الله تعالى عباده تفضلاً منه إلى آخر نفس، فقال لهم: لا تقنطوا من رحمتي، فلو رجعتم إليّ في آخر نفس قبلتكم.

قال: وهذه أبلغ آية في الإشفاق من الله تعالى إلى عباده، لعلمه بأنه ما حرمهم ما تفضل به على غيرهم، فرحمهم حتى أدخلهم في عين الكرم بالذكر القديم لهم.

وقد حكى عن جبريل عليه الصلاة والسلام أنه سمع إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول: يا كريم العفو، فقال له جبريل عليه السلام: يا إبراهيم أتدرى ما كرم عفوه؟ قال: لا يا جبريل، قال إذا عفا عن سيئة جعلها حسنة.

ثم (قال) سهل: اشهدوا عليّ أني من ديني أن لا أتبرأ من فساق أمة محمد ﷺ، وفجارهم، وقاتلهم، وزانيهم، وسارقهم، فإن الله تعالى لا يدرك غاية كرمه وفضله وإحسانه بأمة محمد ﷺ خاصة.

قوله ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ** ﴾(٤) يعني ارجعوا له بالدعاء والتضرع والمسألة.

---

* راجع تفسير قوله تعالى ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ...** ﴾ [إلخ ١٧٢ سورة الأعراف].

١- الزمر: ٤٣. ٢- الزمر: ٤٥. ٣- الزمر: ٥٣. ٤- الزمر: ٥٤.

﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ يعني فوضوا الأمور كلها إليه.

قوله ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾[1] قال: يعني اشتغلت بعاجل الدنيا، ولذة الهوى، ومتابعة النفس.

وضيعت في جنب الله، يعني: في ذات الله، القصد إليه والاعتماد عليه، بترك مراعاة حقوقه وملازمة خدمته.

قوله تعالى: ﴿لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2] بيده مفاتيح القلوب، يوفق من يشاء لطاعته وخدمته بالإخلاص، ويصرف من يشاء عن بابه.

قوله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[3] أي: ما عرفوه حق معرفته في الأصل والفرع.

قوله ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾[4] قال: باطن الآية أن الملائكة إنما يؤمرون بالإمساك عن الذكر، لا بالنفخة ولا بنزع عزرائيل، لأن الله أحياهم بذكره كما أحيا بني آدم بأنفاسهم.

قال الله تعالى ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[5] فإذا أمسك الذكر عنهم ماتوا.

قوله ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[6] قال: قلوب المؤمنين يوم القيامة تشرق بتوحيد سيدهم، والاقتداء بسنة نبيهم ﷺ.

قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾[7] قال: إن الحمد منهم في الجنة ليس على جهة التعبد، إذ التعبد قد رفع عنهم كما رفع خوف الكسب والقطع، وبقي خوف الإجلال والتعظيم لله عز وجل.

١- الزمر: ٥٦.
٢- الزمر: ٦٣.
٣- الزمر: ٦٧.
٤- الزمر: ٦٨.
٥- الأنبياء: ٢٠.
٦- الزمر: ٦٩.
٧- الزمر: ٧٤.

وإنما الحمد منهم لذة لنفس الطبع، ونفس الروح والعقل، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها غافر ﴾

قوله تعالى ﴿ حمٓ * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[1] قال: يعنى الحى الملك هو الذى أنزل عليك الكتاب، وهو الذى قلبت به قلوب العارفين، العزيز عن درك الخلق، العليم بما أنشأ وقدر.

﴿ غَافِرِ الذَّنبِ ﴾[2] أى: ساتر الذنب على من يشاء، ﴿ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ عمن تاب إليه وأخلص العمل له بالعلم ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ ذى الغنى عن الكل.

﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ ﴾[3] يعنى فى الذات والقدرة والقرآن والسنة، بهوى النفس.

كما قال: ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ ﴾[4] أى: بالهوى من غير هدى من الله، كما قال: ﴿ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾[5] إلا الذين كفروا وابتدعوا غير الحق.

قوله ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا ﴾[6] قال: هم الذين تابوا من الغفلة، وأونسوا بالذكر، واتبعوا سنة المصطفى ﷺ.

قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾[7] قال: المقت غاية الإبعاد من الله عز وجل، والكفار إذا دخلوا النار مقتوا أنفسهم، ومقت الله عملهم أشد من دخول النار.

قوله ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ ﴾[8] أي: رافع الدرجات، يرفع درجات من يشاء بالمعرفة به.

١- غافر: ١، ٢. ٢- غافر: ٣. ٣- غافر: ٤. ٤- غافر: ٥.
٥- آل عمران: ٦٦. ٦- غافر: ٧. ٧- غافر: ١٠. ٨- غافر: ١٥.

﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ ﴾ أي: ينزل الوحي من السماء إلى الأرض بأمره.

قوله ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1] قال: الدعاء بالمرة مستجاب لا محالة وهو الجعبة من سهم الرامي، وما من مؤمن دعا الله تعالى إلا استجاب له فيما دعاه بعينه، من غير أن يعلم ذلك العبد، أو صرف عنه بذلك سوءا أو كتب له بذلك حسنة.

فقيل له: ما معنى قولهم: الدعاء أفضل العمل؟ فقال: لأنه تضرع والتجاء وإظهار الفقر والفاقة.

قوله ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾[2] قال: أظهر الله تعالى آياته لأوليائه، وجعل السعيد من عباده من صدقهم على كراماتهم، وأعمى أعين الأشقياء عن ذلك، وصرف قلوبهم عنه.

ومن أنكر آيات الأولياء فإنما ينكر قدرة الله تعالى، فإن القدرة تظهر على الأولياء الآيات، لا هم بأنفسهم يقدرون على إظهارها كما قال: ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾.

قوله ﴿ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾[3] قال: السنة مشتقة من أسماء الله تعالى، السين سناؤه، والنون نوره، والهاء هدايته.

فقوله: ﴿ سُنَّتَ اللَّهِ ﴾ أي فطرته، جبل خواص عباده عليها هداية منه إياهم، فهم على سنن الطريق الواضح إليه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها فصلت ﴾

قوله تعالى ﴿ حم ﴾[4] يعني: قضى في اللوح المحفوظ، وكتب فيه ما هو كائن.

١- غافر: ٦٠.
٢- غافر: ٨١.
٣- غافر: ٨٥.
٤- فصلت: ١.

قوله ﴿ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾(١) قال: بشيرا بالجنة لمن أطاعه واتبع ما فيه، ونذيرا بالنار لمن عصاه وأعرض عن مراد الله فيه وخالفه(*).

قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا ﴾(٢) قال: أى فى أغطية الإهمال، فمالت إلى الشهوة والهوى، فلا تعقل دعوة الحق ﴿ وَفِي آذَانِنَا ﴾ التى فى القلوب ﴿ وَقْرٌ ﴾ أى: ثقل من الصمم عن الخير، فلا تسمع هواتف الحق.

﴿ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ أى: ستر من الهوى، وجبلة(**) الطبع، لا نراك كما يراك غيرنا.

قوله ﴿ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾(٣) يعنى: إن يستقيلوا لا يقالوا، وإن اعتذروا لا يُعذروا.

قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾(٤) قال: أى لم يشركوا بعده، كذا روى عن النبى ﷺ أنه قال: «هم أمتى ورب الكعبة استقاموا ولم يشركوا كما فعلت اليهود والنصارى».

قال عمر رضى الله عنه: لم يروغوا روغان الثعالب.

قوله ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا ﴾(٥) يعنى عند الموت.

وقد قال النبى ﷺ: «يقول الله تعالى: «ما ترددت فى شىء كترددى فى قبض روح المؤمن» أى مارددت الملائكة إلى شىء كردهم إلى عبدى المؤمن فى قبض روحه بالبشارة وبالكرامة، أن لا تخافوا على أنفسكم، ولا تحزنوا يوم الجمع كما قال: ﴿ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ ﴾(٦).

١ــ فصلت: ٤.

* يقصد القرآن الكريم ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾.

٢ــ فصلت: ٥.

** الجبلة: طبيعة الشخص.

٣ــ فصلت: ٢٤. ٤، ٥ــ فصلت: ٣٠. ٦ــ الأنبياء: ١٠٣.

قال المُتَوَلى: لجملتكم بالرضا، الحافظ لقلوبكم، المقر أعينكم بالتجلى، جزاء لتوحيدكم وتفضلا من ربكم.

وقوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾[1] أى: ممن دل على الله، وعلى عبادته، وسنة رسوله ﷺ، واجتناب المناهى، وإدامة الاستقامة مع الله، والاستقامة به خوفا من الخاتمة، وفى الطريقة الوسطى، والجادة المستقيمة، التى من سلكها سلم، ومن تعداها ندم.

قوله ﴿لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾[2] قال: لا يمل من ذكر ربه، وشكره وحمده، والثناء عليه.

قوله ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾[3] قال: يعنى عن الدعاء والشكر على ما أنعم به عليه، واشتغل بالنعمة وافتخر بغير مفتخَر به.

قوله ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ﴾[4] يعنى: الموت، قال: والموت خاص وعام، فالعام موت الخلقة والجبلة، والخاص موت شهوات النفس، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التى يذكر فيها الشورى﴾

قوله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[5] قال: ظاهرها مكة، وباطنها القلب ومن حوله الجوارح، فأنذرهم لكى يحفظوا قلوبهم وجوارحهم عن لذة المعاصى واتباع الشهوات.

قوله ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾[6] قال: أى يوم جمع أهل الأرض على ذكره، كجمع أهل السموات.

قوله ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[7] قال: من غرس الشوك لا

١- فصلت: ٣٣.
٢- فصلت: ٤٩.
٣- فصلت: ٥١.
٤- فصلت: ٥٣.
٥، ٦، ٧- الشورى: ٧.

يجتني عنبا، فاصنعوا ما شئتم، فإن الطريق اثنان، فأى طريق منهما سلكتموه وردتم على أهله.

قوله ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾(١) قال: ظاهرها الكفر، وباطنها حركات العبد وسكونه، ولو شاء الله لجعلها كلها فى طاعته، ولكن يدخل من يشاء فى رحمته أي فى طاعته، والظالمون الذين يدعون الحول والقوة ما لهم من ولى ولا نصير، على خلاف وهو السكون في الأمر والحركة فى النهى.

قوله ﴿ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾(٢) باطنها قلوب كل أهل الحق يحييها بذكره ومشاهدته، قال: ولا تحيا النفوس حتى تموت.

قوله ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ﴾(٣) فأول من حرم البنات والأمهات والأخوات نوح عليه السلام، فشرع الله لنا محاسن شرائع الأنبياء.

قوله ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾(٤) من إقامة الطاعة لله، وإقامة الإخلاص فيها، وإظهار الأخلاق والأحوال.

قوله ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾(٥) قال: حرث الآخرة القناعة فى الدنيا والرضا فى الآخرة، وحرث الدنيا ما أريد به غيره.

قال: ووجه آخر يعنى من عمل لله تعالى إيجابا لا طلبا للجزاء، صغر عنده كل مطلوب دون الحق عز وجل، فلا يطلب الدنيا ولا الجنة، وإنما يطلب النظر إليه، وهو حظ ذهن نفس الروح، وفهم العقل وفطنة القلب، كما خاطبهم، والاقتداء من غير أن كانت النفس الطبيعية حاضرة هناك، غير أن للنفس منها حظا لامتزاجها بتلك الأنوار مثل النسيم الطيب.

ومن عمل لأجل الجنة نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب، فتشتغل نفسه

١ـ الشورى: ٨.

٢ـ الشورى: ٩.

٣، ٤ ـ الشورى: ١٣.

٥ـ الشورى: ٢٠.

الطبيعية بتنعم الجنة، التى هى حظها من أجل النصيب فى الآخرة، وهو رؤية الحق على الأبد.

قوله تعالى ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾(١) قال: باطنها صلة السنة بالفرض.

وحكى عن الحسين فى هذه الآية قال: من تقرب إلى الله بطاعته وجبت له محبته.

قوله ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾(٢) قال: يعنى معرفة حاله فى عمله، وقبل دخوله فيه، وبعد فراغه منه أنه سقيم أو صحيح.

قوله تعالى ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾(٣) قال: يختم على قلبك الشوق والمحبة، فلا تلتفت إلى الخلق، ولا تشتغل فى حبهم وإتيانهم.

قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤) أى: تدعو إلى ربك بنور هدايته.

﴿السورة التي يذكر فيها الزخرف﴾

قوله تعالى ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾(٥) أى: بين فيه الهدى من الضلالة، والخير من الشر، وبين فيه سعادة السعداء، وشقاوة الأشقياء.

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾(٦) قال: هو اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ قال: أى رفيع مستول على سائر الكتب.

قوله تعالى ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾(٧) قال: إن الله خص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبعض الصديقين بمعرفة نعم الله تعالى عليهم، فقبل زوالها(*) وحلم الله عنهم، ومن لم يعرف نعم الله عليه إلا فى مطعمه، ومشربه، ومركبه، فقد صغرت عنده نعم الله تعالى.

١، ٢– الشورى: ٢٣.　٣– الشورى: ٢٤.　٤– الشورى: ٥٢.
٥– الزخرف: ١، ٢.　٦– الزخرف: ٤.　٧– الزخرف: ١٣.
* هكذا فى الأصول.

قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾(١) أى فى عبادتهم جزءا، ألا ترى أن النبى ﷺ يقول: «إن أحدكم يصلى وليس له من صلاته إلا ثلثها أو ربعها».

قوله ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾(٢) قال: رفعنا بعضهم على بعض فى المعرفة والطاعة، عيشا لهم فى الدنيا والآخرة.

قوله ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾(٣) أى: من كثرة الأعمال لطلب الجزاء.

قوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا ﴾(٤) قال: قد حكم الله أنه لا يعرض عبد عن ذكره، وهو أن يرى بقلبه شيئا سواه ساكنا إياه، إلا سلط الله عليه شيطانا ليضله عن طريق الحق ويغريه.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾(٥) قال: أى فلما غايظونا بالإقامة على المخالفة فى الأوامر، وإظهار البدع فى الدين، وترك السنن اتباعا لوجود الأهواء، نزعنا نور المعرفة من قلوبهم، وسراج التوحيد من أسرارهم، ووكلناهم إلى أنفسهم وما اختاروه، فضلوا وأضلوا.

ثم قال: الاتباع الاتباع، الاقتداء الاقتداء، فإنه سبيل السلف، ما ضل من اتبع وما نجى من ابتدع.

قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾(٦) بلذة النظر، جزاء لما منّ عليهم من التوحيد، عند تجلى المكاشفة لأوليائه، وهو البقاء مع الباقى.

ألا ترى كيف خصهم فى الإيمان بشرط التسليم لأمره، والسكون بين يديه.

قوله تعالى ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ﴾(٧) قال: أى ما تشتهى

١- الزخرف: ١٥.
٢، ٣- الزخرف: ٣٢.
٤- الزخرف: ٣٦.
٥- الزخرف: ٥٥.
٦- الزخرف: ٦٩، ٧٠.
٧- الزخرف: ٧١.

الأنفس من ثواب الأعمال، وتلذ الأعين بما فضل الله به من التمكين في وقت اللقاء، جزاء لتوحيدهم.

قال: الجنة جزاء أعمال الجوارح، واللقاء جزاء التوحيد، ألا ترى أن الله تعالى قال ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(1)

﴿ السورة التي يذكر فيها الدخان ﴾

قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾(2) قال: أنزل الله ليلة القدر القرآن جملة إلى بيت العزة، في سماء الدنيا، من اللوح المحفوظ، على أيدي الملائكة السفرة، وأنزل على روح محمد ﷺ، وهو الروح المبارك، فسماها ليلة القدر مباركة، لاتصال البركات بعضها ببعض.

قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾(3) قال: الدخان في الدنيا قسوة القلب والغفلة عن الذكر ولا عقوبة أعظم في الدنيا من فساد القلب.

وقد حكي عن أويس القرني وهرم بن حبان أنهما التقيا يوما فقال هرم لأويس: ادع الله، فقال: يصلح لك نيتك وقلبك، فلم تعالج شيئا أشد منهما بينا قلبك مقبل إذ هو مدبر، وبينا هو مدبر إذ هو مقبل، ولا تنظر إلى صغير الخطيئة، وانظر مَن عصيت، فإنك إن عظمتها فقد عظمت الله تعالى، وإن صغرتها فقد صغرت الله تعالى.

قوله تعالى ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾(4) قال: لا إله على الحقيقة إلا من يقدر على الإيجاد من العدم، وعلى العدم من الإيجاد.

قوله ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾(5) طريقا ساكنا(*)، وباطنها اجعل القلب ساكنا إلى تدبيري.

---

1 ـ الزخرف: 72. 2 ـ الدخان: 3. 3 ـ الدخان: 10. 4 ـ الدخان: 8. 5 ـ الدخان: 24.

* وهذا هو ظاهرها الوارد في قصة موسى عليه السلام مع فرعون عليه اللعنة.

﴿ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾(١) يعنى: المخالفين عن توالى تدبير أنفسهم.

قوله: ﴿ إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ ﴾(٢) أى: من علم الله فى سابق علمه أنه مرحوم، أدركته فى العاقبة بركة تلك الرحمة، حيث جعل المؤمنين بعضهم شفعاء بعض.

﴿ السورة التى يذكر فيها الجاثية ﴾

قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣) قال: العلامات لمن أيقن بقلبه، واستدل بكونها على مكونها.

قوله ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾(٤) قال: إذا سكن قلب العبد إلى مولاه قويت حال العبد، فسخر له كل شىء، بل أنس به كل شىء، حتى الطيور والوحوش.

وحكى عن الثورى قال: خرجت مع شيبان الراعى إلى مكة، فعرض لنا الأسد، فقلت: يا شيبان أما ترى هذا الكلب؟

فقال: لا تخف، فما هو إلا أن سمع الأسد كلام شيبان الراعى حتى جعل يبصبص بذنبه، فأتاه شيبان فأخذ بأذنه وعركها.

فقلت له: ما هذه الشهرة يا شيبان؟ فقال: وأى شهرة ترى يا ثورى، والله لولا مخافة الشهرة ما حملت زادى إلى مكة إلا على ظهره.

وكان شيبان يحضر صلاة الجمعة، فبصر بذئب عند الغنم، فقال له: اقعد عند الغنم حتى إذا رجعت أعطيتك حملا.

فرجع من صلاة الجمعة، فإذا هو بالذئب قاعد يحفظ له الغنم، فأعطاه حملا له.

وكان سهل يقول لشاب يصحبه: إن كنت تخاف السباع فلا تصحبنى.

١ـ الدخان: ٢٤.
٢ـ الدخان: ٤٣.
٣ـ الجاثية: ٣.
٤ـ الجاثية: ١٣.

(وسئل) سهل كيف يدرك الرجل منزلة الكرامات؟

فقال: من زهد في الدنيا أربعين يوما صادقا مخلصا، فقد ظهرت الكرامات من الله عز وجل له، ومن لم تظهر له فهو لما فقد من زهده من الصدق والإخلاص، أو كلاما نحو هذا.

قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾[1] قال: فتحنا أسماعهم لفهم خطابنا، وجعلنا أفئدتهم وعاء لكلامنا، وأعطيناهم فراسة صادقة يحكمون بها في عبادنا حكم يقين، وإخبار صدق، فهذه هي البينات من الأمر في طريق الباطن.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾[2] قال: يعني منهاج سنن من كان من قبلكم من الأنبياء، فإنهم على منهاج الهدى، والشريعة الشارع الممتد الواضح إلى طريق النجاة وسبيل الرشد.

قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾[3] من استغنى بغير الله فبغناه افتقر، ومن اعتز بغيره فبعزه ذل.

ألا ترى أن الله يقول: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾.

قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾[4] الآية، قال: ليس من أُقعد على بساط الموافقة كمن أقيم في مقام المخالفة، فإن بساط الموافقة يجر بصاحبه إلى مقاعد الصدق، ومقام المخالفة يهوى بصاحبه في لظى.

قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾[5] قال: يعني أفرأيت من كان مغمورا في لذة نفسه من الدنيا، غير ورع ولا تقي، فاتبع مراده ولم يسلك مسالك الاقتداء، وآثر شهوات الدنيا على نعيم العقبى، أنى تكون له في الآخرة من الدرجات الرفيعة والمنازل السنية.

١- الجاثية: ١٧.
٢- الجاثية: ١٨.
٣- الجاثية: ١٩.
٤- الجاثية: ٢١.
٥- الجاثية: ٢٣.

﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[1] قال: أى على علم الله السابق فيه بترك عصمته ومعونته.

قوله ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ ﴾[2] قال: يحييكم فى بطون أمهاتكم، ثم يميتكم بجهالة، ويجمعكم إلى يوم القيامة أولكم وآخركم لا ريب فيه.

قوله تعالى ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾[3] قال: على ركبها تجادل عن نفسها عند المرافقة، الصادق يجتهد فى تحقيق صدقه، والجاحد يجتهد فى الدفع عن نفسه، وكل محكوم عليه فى الذى أملاه، مدده ريقه، وقلمه لسانه، وقرطاسه جوارحه.

قوله ﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[4] قال: العلو، والقدرة، والعظمة، والحول، والقوة له فى جميع الملك، فمن اعتصم به أيده بحوله وقوته، ومن اعتمد على نفسه وكله الله إليها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الأحقاف ﴾

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً ﴾[5] قال: فى نفوسهم التى أقادتهم إلى متابعتها فى الجزاء على أحكام هواها لأنها تشهد عليهم.

وقد قال رسول الله ﷺ: «إن أعدى عدو المرء نفسه التى بين جنبيه».

قوله تعالى ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾[6] قال: أى كانت قبلى رسل يأمرون بما آمر به، وينهون عما أنهى عنه، وما كنت عجبا من الرسل، فإنى لم أدعكم إلا إلى التوحيد، ولم أدلكم إلا على مكارم الأخلاق، وبهذا بعثت الأنبياء قبلى.

١- الجاثية: ٢٣. ٢- الجاثية: ٢٦. ٣- الجاثية: ٢٨.
٤- الجاثية: ٣٧. ٥- الأحقاف: ٦. ٦- الأحقاف: ٩.

قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾(١) قال: أى ألهمنى التوبة والعمل بالطاعة.

قوله ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾(٢) قال: اجعلهم لك عبيد حق، ولى خلف صدق.

قوله ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٣) قال: أى يدل على طريق الحق، بالخروج عن المعاملات والرسومات، والتحقيق بالحق، وهو الصراط المستقيم.

قوله ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾(٤) قال: لا يجيب الداعى إلا من سمع النداء، فوفق للخيرات، وأيقن، وإلا فمن يحسن إجابة الدعوة.

وقال: إن فى قلب كل مؤمن داعيا يدعوه إلى رشده، فالسعيد من سمع دعاء الداعى فاتبعه.

قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾(٥) قال: يعنى اصبر صبر أهل المعرفة، كما صبر أولو العزم من الرسل، الذين كانوا قبلك رضا وتسليما من غير شكوى ولا جزع.

وقال: أولو العزم من الرسل: إبراهيم صلوات الله عليه ابتلى بالنار، وذبح الولد فرضى وسلم.

وأيوب عليه السلام بالبلاء، وإسماعيل بالذبح فرضى، ونوح بالتكذيب فصبر، ويونس ببطن الحوت فدعى والتجأ، ويوسف صلوات الله عليه بالسجن والجب فلم يتغير، ويعقوب بذهاب البصر وفقدان الولد فشكى بثه إلى الله، ولم يشْكُ إلى غيره وهم اثنا عشر نبيا صلوات الله عليهم، صبروا على ما أصابهم فهم أولو العزم من الرسل. والله سبحانه وتعالى أعلم.

١، ٢- الأحقاف: ١٥.
٣- الأحقاف: ٣٠.
٤- الأحقاف: ٣١.
٥- الأحقاف: ٣٥.

﴿السورة التي يذكر فيها محمد ﷺ﴾

قوله تعالى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾(١) قال: أضلها في إطلاق القول بلا حقيقة معه.

قوله ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾(٢) قال: يعني سيهديهم في قبورهم لجواب منكر ونكير ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ قال: أي صلح يسرع لهم في القلب بمباشرة الجزاء، وفي الآخرة بلذة اللقاء عند تجلي المكاشفة كفاحا(*) والتولي لهم عند ذلك.

كما قال ذلك: ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٣) أي بالرضا والمحبة والحفظ على مقام القرب.

قوله ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾(٤) قال: المغفرة من ربهم في الجنة، ما يغشاهم عند النظر إلى الحق من أنواره.

قوله ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾(٥) قال: يعني استغفر من همة نفس الطبع.

قال النبي ﷺ: «ما منا إلا من هَمَّ فعصى» يعني همت نفسه عليه على قلبه، بحظها من عاجل شهوتها بشيء دونه، ثم أعرض عن ذلك واستغفر الله كما قال النبي ﷺ: «إنه ليغان على قلبي وإني أستغفر الله تعالى في كل يوم سبعين مرة».

قوله ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(٦) قال: إن الله تعالى خلق القلوب، وأقفل عليها بأقفال، وجعل مفاتيحها حقائق الإيمان.

١- محمد: ١.

* أي مواجهة.

٢- محمد: ٥.

٣- محمد: ١١.

٤- محمد: ١٥.

٥- محمد: ١٩.

٦- محمد: ٢٤.

فلم يفتح بتلك المفاتيح على التحقيق إلا قلوب أوليائه والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، والصديقين، وسائر الناس يخرجون من الدنيا ولم تفتح أقفال قلوبهم.

والزهاد والعباد، والعلماء خرجوا منها وقلوبهم مقفلة، لأنهم طلبوا مفاتيحها في العقل فضلوا الطريق، ولو طلبوه من جهة التوفيق والفضل لأدركوه.

والمفتاح أن تعلم أن الله قائم عليك، رقيب على جوارحك، وتعلم أن العمل لا يكمل إلا بالإخلاص مع المراقبة.

قوله ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ** ﴾[1] في الآية دليل على تفضيله على الكليم، لأنه لم يخرج خوفا منهم كما خرج موسى عليه السلام، ولكنه خرج كما قال الله تعالى ﴿ **أَخْرَجَتْكَ** ﴾ ولم يقل خرجت ولا جزعت، لأنه لله وبالله في جميع أوقاته، فلم يجر منه التفات إلى الغير بحال ما.

قوله ﴿ **أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ** ﴾[2] قال: المؤمن على بيان من ربه، ومن كان على بينة من ربه لزم الاقتداء بالسنن.

قوله تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾[3] قال: الخلق كلهم موتى إلا العلماء، ولذلك دعى نبيه ﷺ إلى محل الحياة بالعلم بقوله ﴿ **فَاعْلَمْ** ﴾.

قوله ﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾[4] أي في تعظيم الله.

﴿ **وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ** ﴾[5] أي: برؤيتها من أنفسكم، ومطالبة الأعواض من ربكم فإن العمل الخالص الذي لم يطلب به العوض.

قوله تعالى ﴿ **وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ** ﴾[6] قال: معرفة السر كله في الفقر، وهو سر الله.

١- محمد: ١٣. ٢- محمد: ١٤.

٣- محمد: ١٩. ٤، ٥- محمد: ٣٣. ٦- محمد: ٣٨.

وعلم الفقر إلى الله تعالى، تصحيح علم الغنى بالله عز وجل، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيه الفتح ﴾

قوله تعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[1]. قال: يعنى أسرار العلوم فى قلبك حتى ظهر عليك آثارها، وهى من أعلام المحبة وتمام النعمة.

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[2]. قال: أى ما تقدم من ذنب أبيك آدم صلوات الله عليه وأنت فى صلبه، وما تأخر من ذنوب أمتك إذ كنت قائدهم ودليلهم.

قوله ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] يعنى: الطمأنينة، فأول ما كاشف الله به عباده المعارف، ثم الوسائل، ثم السكينة، ثم البصائر.

فمن كاشفة الحق بالبصائر، عرف الأشياء بما فيها من الجواهر، كأبى بكر الصديق رضى الله عنه، ما أخطأ فى نطق.

قوله ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[4] قال: جنوده مختلفة، فجنوده فى السماء الأنبياء، وفى الأرض الأولياء، وجنوده فى السماء القلوب، وفى الأرض النفوس.

وما سلط الله عليك فهو من جنوده، وإن سلط الله عليك نفسك أهلك نفسك بنفسك، وإن سلط عليك جوارحك أهلك جوارحك بجوارحك.

وإن سلط نفسك على قلبك قادتك إلى متابعة الهوى، وإن سلط قلبك على نفسك وجوارحك زمها بالأدب وألزمها العبادة، وزينها بالإخلاص فى العبودية، فهذا كله جنود الله.

١- الفتح: ١.
٢- الفتح: ٢.
٣- الفتح: ٤.
٤- الفتح: ٤.

قوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾(١) قال: شاهدا عليهم بالتوحيد، ومبشرا لهم بالمعونة والتأييد، ومحذرا عن البدع والضلالات.

قوله ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾(٢) قال: أي تعظموه غاية التعظيم في قلوبكم، وتطيعوه بأبدانكم.

ولهذا سمى التعزير تعزيرا، لأنه أكبر التأديب.

قوله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(٣) قال: أي حول الله وقوته فوق قوتهم وحركتهم، وهو قولهم للرسول ﷺ عند البيعة: بايعناك على أن لا نفرَّ ونقاتل لك.

وفيها وجه آخر ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي منة الله عليهم في الهداية لبيعتهم، وثوابه لهم فوق بيعتهم وطاعتهم لك.

قوله ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾(٤) اعتذروا به، فحكاه الله لك لتعلم أن الإقبال على الله عز وجل بترك الدنيا وما فيها، فإنها تشغل عن الله.

ألا ترى المنافقين كيف اعتذروا بقولهم: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾.

قوله ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ﴾(٥) قال: المؤمن على الحقيقة من لا يغفل عن نفسه وقلبه، يفتش أحواله، ويراقب أوقاته، فيرى زيادته من نقصانه، فيشكر عند رؤية الزيادة، ويتفزع ويدعو عند النقصان.

هؤلاء الذين بهم يدفع الله البلاء عن أهل الأرض، ولا يكون المؤمن متهاونا بأدنى التقصير، فإن التهاون بالقليل يستوجب الكثير.

متى يجد العبد طعم الإيمان:

قال: فإن العبد لا يجد طعم الإيمان حتى يدع ست خصال: يدع الحرام،

١- الفتح: ٨. ٢- الفتح: ٩.
٣- الفتح: ١٠. ٤- الفتح: ١١. ٥- الفتح: ٢٥.

والسحت، والشبهة، والجهل، والمسكر، والرياء، ويتمسك بالعلم، وتصحيح العمل، والنصح بالقلب، والصدق باللسان، والصلاح مع الخلق فى معاشرتهم، والإخلاص لربه فى معاملته.

قال: وكتاب الله مبنى على خمس: الصدق، والاستخارة، والاستشارة، والصبر، والشكر.

قوله ﴿ **وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا** ﴾[1] قال: هى كلمة لا إله إلا الله، فإنها رأس التقوى.

ثم قال: خير الناس المسلمون، وخير المسلمين المؤمنون، وخير المؤمنين العلماء العاملون، وخير العاملين الخائفون، وخير الخائفين المخلصون المتقون، الذين وصلوا إخلاصهم وتقواهم بالموت.

فإن مثله كمثل راكب السفينة بالبحر، لا يدرى ينجو منه أم يغرق فيه، والذين تم لهم ذلك أصحاب رسول الله ﷺ بقوله ﴿ **وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ** ﴾.

قوله ﴿ **لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾[2] قيل: ما هذا الاستثناء(*)؟ قال: هذا تعليم للعباد وتأديب لهم، بشدة الافتقار إليه فى كل وقت وحال، وتأكيد.

فإن الحق إذا استثنى مع كمال علمه، لم يكن لأحد من عباده مع قصور علمهم أن يحكم فى شىء من غير استثناء.

قوله تعالى ﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ** ﴾[3] قال: المؤمن بالله وجه بلا قفا، مقبل عليه غير معرض عنه، وذلك سيما(**) المؤمن.

١- الفتح: ٢٦. ٢- الفتح: ٢٧.

* وهو قوله تعالى ﴿ **إِن شَاءَ اللَّهُ** ﴾.

٣- الفتح: ٢٩.

** أى علامته.

وقال عامر بن عبد قيس: كاد وجه المؤمن يخبر عن مكنون علمه، وكذلك وجه الكافر، وذلك قوله ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم ﴾.

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: سر المؤمن يكون رداء عليه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها الحجرات ﴾

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[1] قال: إن الله تعالى أدب عباده المؤمنين، أى لا تقولوا قبل أن يقول.

فإذا قال فاقبلوا عليه، ناصتين له مستمعين إليه ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فى إهمال حقه، وتضييع حرمته ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ ما تقولون ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما تعملون.

قوله ﴿ لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾[2] أى: لا تخاطبوه إلا متفهمين، ثم بين كرامة من عظمه.

فقال: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[3] أى: أخلص نياتهم له.

قوله ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾[4] قال: الفاسق الكذاب، وباطنها تأديب من بلغه ذمه من أحد، بأن لا يعجل بعقوبته ما لم يتعرف ذلك من نفسه.

قوله ﴿ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾[5] قال: تفضل الله عليهم فيما ابتدأهم به، وهداهم إليه بأنواع القرب والزلف.

قوله ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[6] قال: أى استخلص قلوبكم عطفا منه فى عبادته، بالإخلاص فيها.

١- الحجرات: ١. ٢- الحجرات: ٢. ٣- الحجرات: ٣.
٤- الحجرات: ٦. ٥- الحجرات: ٨. ٦- الحجرات: ٧.

إذا الاستخلاص من عطفه، والإخلاص من حقه، ولن يقدر العبد على تأدية حقه إلا بعطفه بالمعونة عليه، بأسباب الإيمان وهي الحجج القاطعة والآيات المعجزة.

قوله ﴿ **وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ** ﴾(١) خوفا من عاقبته المذمومة.

قوله ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** ﴾(٢) قال: ظاهرها ما عليه أهل التفسير، وباطنها هو الروح والعقل، والقلب، والطبع، والهوى والشهوة.

فإن بغى الطبع والهوى والشهوة، على القلب والعقل والروح، فليقاتله العبد بسيوف المراقبة، وسهام المطالعة، وأنوار الموافقة، ليكون الروح والعقل غالبا، والهوى والشهوة مغلوبا.

قوله ﴿ **اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ** ﴾(٣) قال: أي لا تطعنوا على أحد بسوء الظن من غير حقيقة.

وقد قال النبي ﷺ «أكذب الحديث الظن».

ثم قال سهل: الظن السيء من الجهل من نفس الطبع، وأجهل الناس من قطع على قلبه من غير علم، فقد قال الله تعالى ﴿ **وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾(٤).

وإن العبد ليحرم الرزق الهني، وصلاته بالليل، بسوء الظن.

وقد كان رجل من العباد نام ليلة عن ورده فجزع عليه، فقيل: أتجزع على ما تدركه؟ قال: لست أجزع عليه، وإنما أجزع على الذنب الذي به صرت محروما عن ذلك الخير.

١- الحجرات: ٧.
٢- الحجرات: ٩.
٣- الحجرات: ١٢.
٤- فصلت: ٢٣.

فقيل لسهل: ما معنى قوله ﷺ «احترسوا من الناس بسوء الظن»؟

فقال: معنى هذا بسوء الظن بنفسك لا بالناس، أى اتهم نفسك بأنك لا تنصفهم من نفسك فى معاملاتهم.

قوله ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾(١) قال: أى لا تبحث عن المعائب التى سترها الله على عباده، فإنك ربما تبتلى بذلك.

وقد حكى عن عيسى عليه السلام أنه كان يقول: لا تكثروا الكلام فى غير ذكر الله عز وجل فتقسو قلوبكم، فإن القلب القاسى بعيد من الله، ولا تنظروا إلى أعمالكم كالعبيد، واعلموا أن الناس مبتلٍ ومعافٍ، فارحموا أهل البلاء وسلوا الله العافية.

قوله ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾(٢) قال: من أراد أن يسلم من الغيبة فليسد على نفسه باب الظنون، فإن من سلم من الظن سلم من الغيبة، ومن سلم من الغيبة سلم من الزور، ومن سلم من الزور سلم من البهتان.

قال: وقال ابن عباس رضى الله عنهما للمنافق غيبة، وليس للفاسق غيبة، لأن المنافق كتم نفاقه، والفاسق افتخر بفسقه.

قال: وهذا إنما أراد به فيما أظهره من المعاصى، فأما ما كتمه من المعاصى ففيه غيبة.

قوله ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾(٣) قال: يعنى أقررنا مخافة السبى والقتل، لأن الإيمان إقرار باللسان صدقا، وإيقان فى القلب عقدا، وتحقيقها بالجوارح إخلاصا.

وليس فى الإيمان أنساب، وإنما الأنساب فى الإسلام، والمسلم محبوب إلى الخلق، والمؤمن غنى عن الخلق.

١، ٢ـ الحجرات: ١٢.

٣ـ الحجرات: ١٤.

قوله ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾(1) أى صدقوك فيما دعوتهم إليه.

﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(2) أى عالمين بأن الله هو الذى مَنَّ عليكم بالهداية فى البداية.

(قـــال) سهل: استعملت الورع أربعين سنة، ثم وقع منى إليه التفات فأدركنى قوله: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها ق ﴾

قوله تعالى ﴿ قٓ ﴾(3) أقسم الله تعالى بقوته وقدرته، وظاهرها الجبل المحيط بالدنيا، وهو أول جبل خلقه الله تعالى، ثم بعده جبل أبى قبيس، وهو الجبل الذى فوق الصفا ودونه بمسيرة سنة، جبل تغرب الشمس وراءه كما قال «حتى توارت بالحجاب» وله وجه كوجه الإنسان، وقلب كقلوب الملائكة فى المعرفة.

قوله: ﴿ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾(4) قال: يعنى المشرف على سائر الكلام.

قوله: ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾(5) قال: يعنى اعتبارا واستدلالا على توحيدهم لربهم وشكرهم له ﴿ مُّنِيبٍ ﴾ أى: مخلص القلب لله بالتوحيد إليه، وإدامة ذكره بواجباته.

قوله تعالى ﴿ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ ﴾(6) أي البئر و ﴿ الأَيْكَةِ ﴾ الغيضة وباطنها أصحاب الرس أصحاب الجهل ﴿ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ ﴾(7) متبعو الشهوات.

قوله تعالى ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(8) قال: أى حافظ حاضر، لا يغيب عنه، ولا يعلم الملك ما فى الضمير من الخير والشر إلا عند مساكنة القلوب إياه.

1، 2 – الحجرات: 17.
3، 4 – ق: 1.
5 – ق: 8.
6 – ق: 12.
7 – ق: 14.
8 – ق: 18.

فيظهر أثر ذلك على الصدر ومن الصدر إلى الجوارح، نور ورائحة طيبة عند العزم على الخير وظلمة ورائحة منتنة عند العزم على الشر، والله يعلم ذلك منه على كل حال، فليتقه بقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(١).

قوله تعالى ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾(٢) يعني: كتبة في الدنيا، تسوقه إلى المحشر ويشهدون له وعليه.

فيقول العبد: أليس قولك الحق؟ وقد قلت ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾(٣) وقال نبيك ﷺ: «ما منكم أحد يدخل الجنة بعمله إلا برحمة الله».

فيقول الله تعالى: قولي الحق، وصدق نبيي ﷺ، انطلق إلى الجنة برحمتي.

قال: وهو معنى قوله تعالى: ﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(٤) قوله تعالى ﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾(٥) يعني: بصر قلبك نافذ في مشاهدة الأحوال كلها.

قوله تعالى ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾(٦) أي ما يتغير عندي ما سبق في علمي، فيكون بخلاف ما سبق العلم فيه.

قوله تعالى ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾(٧) قال: هو الراجع بقلبه من الوسوسة إلى السكون، إلى الله تعالى، والحفيظ المحافظ على الأوقات، والأحوال، بالأوامر والطاعات.

وقال ابن عيينة: الأواب: الحفيظ الذي لا يقوم من مجلس حتى يستغفر الله منه خيرا كان أو شرا، لما يرى فيه من الخلل والتقصير.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾(٨) يعني: لمن كان له عقل يكسب به علم الشرع.

١- النساء: ١. ٢- ق: ٢١. ٣- إبراهيم: ٣٤. ٤- الأنفال: ٧٤.
٥- ق: ٢٢. ٦- ق: ٢٩. ٧- ق: ٣٢. ٨- ق: ٣٧.

قوله تعالى ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(١) يعني: استمع إلى ذكرنا، وهو حاضر مشاهد ربه، غير غائب عنه.

(وسئل) سهل عن العقل قال: العقل حسن النظر لنفسك فى عاقبة أمرك، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

﴿السورة التى يذكر فيها الذاريات﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾(٢) قال: المتقى فى الدنيا فى جنات الرضا يتقلب، وفى عيون الأنس، يسبح، هذا باطن الآية.

قوله تعالى ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾(٣).

قال: لا يغفلون ولا ينامون عن الذكر بحال.

قوله تعالى ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾(٤) قال: يعنى الصدقة على من طلبها منهم ومن لم يطلبها.

وقال الحسن البصرى: أدركت أقواما إن كان الرجل ليعزم على أهله أن لا يردوا سائلا، ولقد أدركت أقواما إن كان الرجل ليخلف أخاه فى أهله أربعين عاما، وأن أهل البيت يبتلون بالسائل ما هو من الجن ولا من الإنس، وأن الذين كانوا من قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغا، ويبتاعون بالفضل أنفسهم، رحم الله امرءاً جعل العيش عيشا واحدا، فأكل كسرة، ولبس خلقا(*) ولزق بالأرض واجتهد فى العبادة، وبكى على الخطيئة، وهرب من العقوبة، وابتغى الرحمة حتى يأتى عليه أجله وهو كذلك.

وحكى أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله مالى لا أحب الموت

١ـ ق: ٣٧.

٢ - الذاريات: ١٥.

٣ـ الذاريات: ١٧.

٤ـ الذاريات: ١٩.

* غير جديد.

جعلني الله فداك؟ فقال: «هل لك مال» قال نعم، قال: قدم مالك، قال: لا أطيق ذلك يا رسول الله، قال: «فإن قلب المرء مع ماله إن قدمه أحب أن يلحقه وإن أخره أحب أن يتخلف معه».

قوله تعالى ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾[1] قال: يعني للعارفين بالله، يستدلون بها على معرفتهم.

قوله تعالى ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾[2] قال: أي في صورها وتقديرها بأحسن التقادير، وعروقها السائرة فيها كالأنهار الجارية، وشقوقها من غير ألم وصل إليكم بعدما كنتم نطفا، ثم ركبكم من طبق إلى طبق.

﴿ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ هذه القدرة البليغة، فتؤمنوا بوحدانيته وقدرته.

وأن الله تعالى خلق في نفس ابن آدم ألفا وثمانين عبرة، فثلاثمائة وستون منها ظاهرة، وثلاثمائة وستون منها باطنة، لو كشف عنها لأبصرتم، وثلاثمائة وستون منها غامضة، لا يعرفها إلا نبي أو صديق، لو بدت منها عبرة لأهل العقول لوصلوا إلى الإخلاص.

فإن الله تعالى حجب قلوب الغافلين عن ذكره باتباعهم الشهوات عن هذه العبر، فكشف قلوب العارفين به عنها، فأوصلهم إليه.

قوله تعالى ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[3] أي تفرغوا لعبادتي ولا يشغلكم طلب الرزق عنا، فإنا نرزقكم.

ثم قال: إن الله رضي عنكم بعبادة يوم فارضوا عنه برزق يوم بيوم.

قال: وفيها وجه آخر ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾ أي من الذكر وثوابه.

١- الذاريات: ٢٠.

٢- الذاريات: ٢١.

٣- الذاريات: ٢٢.

قوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾(١) قال: سماهم مكرمين لأنه خدمهم بنفسه، وكان منذ سبعة أيام لم يُطْعَم شيئا ينتظر ضيفا.

فلما أرسل الله تعالى ملائكته إليه استبشر بهم وخدمهم بنفسه، ولم يطعم معهم، وهي علامة الخلة المؤكدة أن يُطعِم ولا يُطعَم، ويشفى الغير من ألم ويسقم.

قوله تعالى ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾(٢) قال: يعني ففروا مما سوى الله إلى الله، وفروا من المعصية إلى الطاعة، ومن الجهل إلى العلم، ومن عذابه إلى رحمته، ومن سخطه إلى رضوانه.

وقد قال النبي ﷺ «أعوذ بك منك»، فهذا أيضا باب منه عظيم.

قوله ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾(٣) قال: أعرض عنهم، فقد جهدت في الإبلاغ جهدك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الطور ﴾

قوله تعالى ﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾(٤) قال: ظاهرها ما حكى محمد بن سوار بإسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال، قال النبي ﷺ «ليلة أسرى بي إلى السماء رأيت البيت المعمور في السماء الرابعة ويروى السابعة، يحجه كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه بعده أبداً» الحديث بطوله.

وباطنها قلوب العارفين معمورة بمعرفته ومحبته والأنس به، وهو الذي تحجه الملائكة لأنه بيت التوحيد.

١- الذاريات: ٢٤.

٢- الذاريات: ٥٠.

٣- الذاريات: ٥٤.

٤- الطور: ٤.

قوله تعالى ﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾[1] هو العمل المرضى، الذى لا يراد به جزاء إلا الله تعالى.

قوله تعالى ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾[2] قال: أى خائفين وجلين من سوء القضاء وشماتة الأعداء.

قوله تعالى ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[3] يعنى: ما ظهر على صفاتك من فعل وقدرة، يتولى جملتك بالرعاية والكلاءة والرضا والمحبة والحراسة من الأعداء.

قوله تعالى ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[4] قال: يعنى صَلِّ المكتوبة بالإخلاص لربك حين تقوم إليها.

قوله تعالى ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾[5] قال: يعنى لا تغفل عن ذكر من لا يغفل عن برك وحفظك فى كل الأوقات، صباحا ومساء، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها النجم ﴾

قوله تعالى ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[6] يعنى: ومحمد ﷺ إذا رجع من السماء. قوله تعالى ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾[7] قال: أى ما ضل عن حقيقة التوحيد قط، ولا اتبع الشيطان بحال.

قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾[8] يعنى: لا ينطق بالباطل قط، قال: كان نطقه حجة من حجج الله تعالى، فكيف يكون للهوى والشيطان عليه اعتراض.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾[9] قال: يعنى قرب قربا بعد قرب.

١- الطور: ٥. ٢- الطور: ٢٦. ٣، ٤- الطور: ٤٨. ٥- الطور: ٤٩.
٦- النجم: ١. ٧- النجم: ٢. ٨- النجم: ٣. ٩- النجم: ٨.

قولــه تعــالى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[1] مـــن مشاهدة ربــه ببصر قلبه كفاحا [مواجهة].

قـولـــه تعـالى ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾[2] منا وبنا، ومــا يرى منا بنا أفضل مما يراه به.

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[3] قال: يعنى فى الابتداء، حين خلقه الله سبحانه وتعالى.

ويقـال: نورا فى عـامـود النور قـبل بدء الخلق بألف ألف عـام بطبائع الإيمان، مكاشفة الغيب بالغيب، قام بالعبودية بين يديه.

﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾[4] وهى شجرة ينتهى إليها علم كل أحد.

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾[5] السدرة من نور محمد ﷺ فى عبادته، كأمثال فراش من ذهب، ويجريها الحق إليه من بدائع أسراره، كل ذلك ليزيده ثباتا لما يرد عليه من الموارد.

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[6] قال: ما مال إلى شواهد نفسه، ولا إلى مشاهدتها، وإنما كان مشاهدا بكليته ربه تعالى، شاهدا ما يظهر عليه من الصفات التى أوجبت الثبات فى ذلك المحل.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾[7] يعنى: ما يبدى من صفاته من آياته رآها، ولم يذهب بذلك عن مشهوده، ولم يفارق مجاورة معبوده، وما زاده إلا محبة وشوقا وقوة.

أعطاه الله قوة احتمال التجلى، والأنوار العظيمة، وكان ذلك تفضيلا له على غيره من الأنبياء.

---

١ - النجم: ١١. ٢ - النجم: ١٢. ٣ - النجم: ١٣

٤ - النجم: ١٤. ٥ - النجم: ١٦. ٦ - النجم: ١٧. ٧ - النجم: ١٨.

ألا ترى أن موسى صعق عند التجلى، ففى الضعف جابه النبى ﷺ فى مشاهدته كفاحا (مواجهة) ببصر قلبه، فثبت لقوة حاله وعلو مقامه ودرجته.

قوله تعالى ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾(١) قال: أى سوف يرى سعيه، ويعلم أنه لا يصلح للحق، ويعلم الذى يستحقه سعيه، وأنه لو لم يلحقه فضل الله لهلك سعيه.

قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾(٢) قال: يعنى أضحك المطيع بالرحمة، وأهلك العاصى بالسخط، وأضحك قلوب العارفين بنور معرفته؛ وأبكى قلوب أعدائه بظلمات سخطه.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾(٣) قال: أمات قلوب الأعداء بالكفر والظلمة، وأحيا قلوب الأولياء بالإيمان وأنوار المعرفة.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾(٤) قال: ظاهرها متاع الدنيا، وباطنها أغنى بالطاعة، وأفقر بالمعصية.

وقال ابن عيينة: أغنى وأقنى أى: أقنع وأرضى، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

﴿السورة التى يذكر فيها القمر﴾

قوله تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾(٥) على عهد رسول الله ﷺ فلقتين، حتى ذهبت فلقة وراء جبل حراء، وهى أول علامة من علامات الساعة.

وحكى: عن أبى عبد الرحمن السلمى قال: كنت مع أبى بالمدائن، وكانت الجمعة فذهب بى إلى الجمعة وهو آخذ بيدى، فقام حذيفة بن اليمان على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اقتربت الساعة وانشق القمر، ألا وإن الساعة قد

١- النجم: ٤٠. ٢- النجم: ٤٣.
٣- النجم: ٤٤. ٤- النجم: ٤٨. ٥- القمر: ١.

اقتربت وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد أدبرت، ألا وإن المضمار اليوم(*) والسباق غدا.

فلما خرجنا قلت يا أبت: غدا يستبق الناس؟ قال: يا بنى والسباق غدا، إنك لجاهل، إنما يقول من عمل اليوم سبق فى الآخرة.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾(١) أى: هونا القرآن للذكر، ولولا ذلك لما أطاقت الألسنة أن تتكلم به، فهل من مدكر لهذه النعمة.

قوله تعالى ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾(٢) قال: يعنى فى الكتب التى تكتبها الحفظة.

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾(٣) أى: مكتوب فى الكتاب، فيعرض عليهم يوم القيامة بين يدى الله تعالى.

وقد حكى عن أبى حازم أنه قال: ويحك يا أعرج، ينادى يوم القيامة يا أهل خطيئة كذا، فتقوم معهم، ثم ينادى يا أهل خطيئة كذا، فتقوم معهم، وأراك يا أعرج تقوم مع أهل كل خطيئة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها الرحمن ﴾

قوله تعالى ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾(٤) قال يعنى علمه الكلام الذى هو من نفس الروح، وفهم العقل، وفطنة القلب، وذهن الخلق، وعلم نفس الطبع، ألهم الله ذلك آدم عليه السلام وبين ذلك.

قوله تعالى ﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾(٥) قال: باطنها الأمر والنهى على الجوارح.

قوله تعالى ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾(٦) قال: باطنها مشرق القلب ومغربه، ومشرق اللسان ومغربه ومشرق توحيده ومغربه مشاهدته.

---

* المضمار المكان الذى تضمر فيه الخيل لتقوى على الجرى بتقليل سمنها.

١- القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠. ٢- القمر: ٥٢. ٣- القمر: ٥٣.

٤- الرحمن: ٤. ٥- الرحمن: ٧. ٦- الرحمن: ١٧

وقال تعالى ﴿ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾[1] أي: مشارق الجوارح بالإخلاص، ومغاربها بالطاعة للناس ظاهرا وباطنا.

قوله تعالى ﴿ **مرج الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ** ﴾[2] قال: أحد البحرين القلب، فيه أنواع الجواهر، جوهر الإيمان، وجوهر المعرفة، وجوهر التوحيد، وجوهر الرضا، وجوهر المحبة، وجوهر الشوق، وجوهر الحزن، وجوهر الفقر، وغيرها، والبحر الآخر: النفس.

قوله تعالى ﴿ **بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ** ﴾[3] وهو: العصمة والتوفيق.

قوله تعالى ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾[4] قال: لمن هَمَّ بمعصية، ثم ذكر مقامه بين يدى الله تعالى يوم الحساب فانتهى عنها.

ولقد بلغني أن شابا في خلافة عمر رضى الله عنه، كان له جمال ومنظر، وكان عمر رضى الله عنه يعجبه الشاب، ويتفرس فيه الخير، فاجتاز الفتى بامرأة فأعجب بها.

فلما أراد أن يهم بالفاحشة نزلت عليه العصمة فخر لوجهه مغشيا عليه، فحملته المرأة إلى منزله، وكان له أب شيخ كبير إذا أمسى جلس على الباب ينتظره.

فلما رآه الشيخ غشى عليه، فلما أفاق سأله عن حاله، فقص عليه ثم صاح صيحة فخر ميتا.

فلما دفن وقف وقرأ عمر رضى الله عنه على قبره ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾ فناداه من القبر أن الله أعطانيهما، وزادني معهما ثالثة.

قوله تعالى ﴿ **فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ** ﴾[5] قال: أي غاضات الأبصار عن غير

١- المعارج: ٤٠.
٢- الرحمن: ١٩.
٣- الرحمن: ٢٠.
٤- الرحمن: ٤٦.
٥- الرحمن: ٥٦.

أزواجهن، فمن قصر طرفه فى الدنيا عن الحرام، والشبهات، وعن اللذات، وزينتها، أعطاه الله فى الجنة قاصرات الطرف، كما وعد.

قوله تعالى ﴿ **حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ** ﴾[1] قال: أى محبوسات فى الخيام.

وقد حكى محمد بن سَوَّار بإسناده عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «إن للمؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤة بيضاء طولها ثلاثون ميلا فيها أهلون لا يرى بعضهم بعضا» والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها الواقعة ﴾

قوله تعالى ﴿ **خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ** ﴾[2] قال: يعنى القيامة تخفض أقواما بالدعاوى، وترفع أقواما بالحقائق.

قوله تعالى ﴿ **وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً** ﴾[3] قال: يعنى فرقا ثلاثة.

﴿ **فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ** ﴾[4] يعنى: الذين يعطون الكتاب بأيمانهم.

﴿ **وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ** ﴾[5] يعنى: الذين يعطون الكتاب بشمائلهم.

﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ** ﴾[6] قال: هم الذين سبق لهم من الله الاختيار والولاية قبل كونهم.

المقربون فى منازل القرب، وروح الأنس، وهم الذين سبقوا فى الدنيا، فسبق الأنبياء إلى الإيمان بالله، وسبق الصديقون والشهداء من الصحابة وغيرهم إلى الإيمان بالأنبياء.

قوله تعالى: ﴿ **ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ** ﴾[7] قال: يعنى فرقة من الأولين، وهم أهل المعرفة.

١ـ الرحمن: ٧٢. ٢ـ الواقعة: ٣. ٣ـ الواقعة: ٧.
٤ـ الواقعة: ٨. ٥ـ الواقعة: ٩. ٦ـ الواقعة: ١٠. ٧ـ الواقعة: ١٣، ٣٩.

﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾[1] وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ وبجميع الرسل والكتب.

قوله تعالى ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا ﴾[2].

قال: ماذاك بمشهد لغو، ولا مكان إثم، لأنه محل قُدِّس بالأنوار للمقدَّسين من العباد، وقد ظهر منهم وعليهم ما يصلح لذلك المقام.

قوله تعالى ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾[3] يعنى: نفسه بلغت الحلقوم، وهو متحير لا يدرى ما يصير أمره.

كما حكى عن مسروق بن الأجدع أنه بكى حين حضرته الوفاة، فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: وكيف لا أبكى وإنما هى ساعة ثم لا أدرى إلى أين يُسْلَك بى.

﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾[4] يعنى: الأنبياء، والشهداء، والصالحين، بعضهم أفضل درجة من بعض، منازلهم فى القرب على مقدار قرب قلوبهم من المعرفة بالله تعالى.

﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾[5] فى الجنة، وقال أبو العالية: فى هذه الآية: لم يكن الرجل منهم يفارق الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه، ثم تفيض روحه فيها.

﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾[6] قال: يعنى الموحدين، العاقبة لهم لأنهم أمناء الله قد أدوا الأمانة، يعنى أمره ونهيه.

والتابعين بإحسان لم يحدثوا شيئا من المعاصى والزلات، فأمنوا الخوف والهول الذى ينال البعض، والله سبحانه وتعالى أعلم.

١- الواقعة: ٤٠.　٢- الواقعة: ٢٥.　٣- الواقعة: ٨٣.
٤- الواقعة: ٨٨.　٥- الواقعة: ٨٩.　٦- الواقعة: ٩٠.

﴿ السورة التي يذكر فيها الحديد ﴾

قوله تعالى ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ﴾(١) قال: اسم الله الأعظم مكني عنه في ست آيات: من أول سورة الحديد من قوله ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾(٢).

وليس المعنى فى الأسماء إلا المعرفة بالمسمى، والمعنى فى العبادة إلا المعرفة فى العبودية، ومعنى الظاهر ظاهر العلو والقدرة والقهر، والباطن الذى عرف ما فى باطن القلوب من الضمائر والحركات.

قوله تعالى ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ ﴾(٣) قال: باطن الآية الأرض نفس الطبع، فيعلم ما يدخل القلب الذى فيها له من الصلاح والفساد.

﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾(٤) من فنون الطاعات، فتَبين آثارها وأنوارها على الجوارح.

﴿ وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾(٥) عليها من آداب الله تعالى إياه.

﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾(٦) إلى الله من الروائح الطيبة والذكر.

قوله تعالى ﴿ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾(٧) قال: باطنها الليل نفس الطبع، والنهار نفس الروح.

فإذا أراد الله تعالى بعبده خيرا ألف بين طبعه ونفس روحه، على إدامة الذكر، فأظهر ذلك على مقابلة أنوار الخشوع.

قوله تعالى ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾(٨) قال: يعنى ورثكم من آبائكم وملككم، فأنفقوا عيش أنفسكم الطبيعية من الدنيا فى طاعته، وطاعة رسوله.

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا ﴾(٩) أعمارهم فى الوجوه التى أمرهم الله بالإنفاق فيها.

﴿ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾(١٠) وهو: البقاء مع الباقى فى جنته ورضاه.

١، ٢– الحديد: ٣. ٣، ٤، ٥، ٦– الحديد: ٤. ٧– الحديد: ٦. ٨، ٩، ١٠– الحديد: ٧.

قوله تعالى ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[1] قال: أعطى الله عباده فضلا، ثم سألهم قرضا حسنا، والقرض الحسن المشاهدة فيه.

كما قال النبى ﷺ «اعبد الله كأنك تراه»(*).

وحكى عن أبى حازم أنه قال: إن بضاعة الآخرة كاسدة، فاستكثروا من أوان كسادها، فإذا جاء يوم نفاقها لم تقدروا منها على قليل ولا كثير(**).

قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾[2] قال: نور المؤمن يسعى بين يديه، له هيبة فى قلوب الموافقين والمخالفين، يعظمه الموافق ويعظم شأنه ويهابه المخالف، ويخافه.

وهو النور الذى جعله الله تعالى لأوليائه، ولا يظهر ذلك النور لأحد إلا إن انقاد له وخضع، وهو من نور الإيمان.

ثم وصف المنافقين أنهم يقولون لهم:

﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[3] فنمضى معكم على الصراط، فإنا فى الظلمة، فتقول لهم الملائكة:

﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾[4] بعقولكم التى كنتم تدبرون بها أموركم فى الدنيا، فيرجعون إلى ورائهم فيضرب الله بين أنفسهم وبين عقولهم سورا، وقد ستر الخيرة فلا يصلون إلى طريق هدى، حتى إذا انتهوا فى السير على الصراط سقطوا فى جهنم خالدين فيها.

قوله تعالى ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾[5] يعنى: لا يؤخذ منكم فداء عن أنفسكم.

١- الحديد: ١١.

* فإن لم تكن تراه على الحقيقة فإنه يراك وهو معكم أين ما كنتم.

** كسد لم يرج لقلة الرغبة فيه ونفقت البضاعة راجت ورغب الناس فيها.

٢- الحديد: ١٢. ٣، ٤- الحديد: ١٣. ٥- الحديد: ١٥.

قال ابن سالم: خدمت سهل بن عبدالله ستين سنة، فما تغير في شيء من الذكر أو غيره.

فلما كان آخر يوم من عمره قرأ رجل بين يديه هذه الآية ﴿ **فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ** ﴾ فرأيته ارتعد واضطرب حتى كاد يسقط.

فلما رجع إلى حال صحوه سألته عن ذلك، وقلت: لم يكن عهدي بك هذا؟ فقال: نعم يا حبيبي قد ضعفت، فقلت: ما الذي يوجب قوة الحال؟ فقال: لا يرد عليه وارد إلا هو يبتلعه بقوته، فمن كان كذلك لا تغيره الواردات، وإن كانت قوية.

وكان يقول حالي في الصلاة وقبل الدخول فيها سواء، وذلك أنه كان يراعي قلبه ويراقب الله تعالى بسره قبل دخوله، فيقوم إلى الصلاة بحضور قلبه وجمع همته.

قوله تعالى ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ** ﴾(١) قال: ألم يحن لهم أوان الخشوع عند سماع الذكر، فيشاهدوا الوعد والوعيد مشاهدة الغيب.

قوله تعالى ﴿ **فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾(٢) قال: يعني باتباع الشهوة.

قوله تعالى: ﴿ **أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ** ﴾(٣) قال: الدنيا نفس نائمة، والآخرة نفس يقظانة، قيل: فما النجاة منها؟ قال: أصل ذلك العلم، ثم ثمرته مخالفة الهوى في اجتناب المناهي، ثم مكابدة النفس على أداء الأوامر على الطهارة من الأدناس، فيورث السهولة في التعبد، والحلول بعده في مقامات العابدين.

ثم يذيقه الله ما أذاق أولياءه وأصفياءه، وهي درجة المذاق.

قال: وذكر لنا أن إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام أصابه يوما عطش شديد في مفازة في يوم شديد الحر، فنظر إلى حبشي يرعى الإبل، فقال: هل عندك ماء؟ فقال: يا إبراهيم أيما أحب إليك الماء أو اللبن، فقال: الماء.

١، ٢- الحديد: ١٦.

٣- الحديد: ٢٠.

قال: فضرب بقدمه على صخرة فنبع الماء، فتعجب إبراهيم ﷺ، فأوحى الله إلى إبراهيم لو سألنى هذا الحبشى أن أزيل السموات والأرض لأزلتهما.

فقال: ولم ذلك يا رب؟ قال: لأنه ليس يريد من الدنيا والآخرة غيرى.

وقال عامر بن عبد القيس: وجدت الدنيا أربع خصال: فأما خصلتان فقد طابت نفسى عنهما النساء وجمع المال، وأما الخصلتان فلا بد منهما وأنا مصرفهما ما استطعت النوم والطعام.

قوله تعالى ﴿ **لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ** ﴾[1] قال: فى هذه الآية دليل على حال الرضا، فى الشدة والرخاء.

قوله عز وجل ﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا** ﴾[2] قال: الرهبانية مأخوذة من الرهبة وهو الخوف، ومعناه ملازمة الخوف من غير طمع ﴿ **مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ** ﴾ أى ما تعبدناهم بذلك.

قوله عز وجل ﴿ **يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ** ﴾[3] قال: يعنى الرحمة وعين الرحمة، فالسر سر المعرفة، والعين عين الطاعة لله ولرسوله، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها المجادلة ﴾

قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ** ﴾[4] قال: النجوى إلقاء من العدو إلى نفس الطبع، كما قال النبى ﷺ «للملك لمة وللشيطان لمة»[*].

قوله عز وجل ﴿ **وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ** ﴾[5] قال: بذكر الله، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

١ـ الحديد: ٢٣.
٢ـ الحديد: ٢٧.
٣ـ الحديد: ٢٨.
٤ـ المجادلة: ١٠.
* أي همة وخطرة فى القلب أو دنو.
٥ـ المجادلة: ١٠.

قوله تعالى ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾(١) قال: كل من صح إيمانه فإنه لا يأنس بمبتدع، ويجانبه ولا يؤاكله ولا يشاربه ولا يصاحبه، ويظهر له من نفسه العداوة والبغضاء.

ومن داهن(*) مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن، ومن تحبب إلى مبتدع، يطلب عزه في الدنيا وعرضا منها أذله الله بذلك العز، وأفقره الله بذلك الغنى، ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه، ومن لم يصدق فليجرب.

قوله تعالى ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾(٢) قال: كتب الله الإيمان في قلوب أوليائه سطورا.

فالسطر الأول التوحيد، والثاني المعرفة، والثالث الصدق، والرابع الاستقامة، والخامس الاعتماد، والسادس التوكل.

وهذا الكتابة هي فعل الله لا فعل العبد، وفعل العبد في الإيمان ظاهر الإسلام، وما يبدو منه ظاهرا، وما كان منه باطنا فهو فعل الله تعالى.

وقال أيضا: الكتابة في القلب موهبة الإيمان التي وهبها الله منهم قبل أن خلقهم من الأصلاب والأرحام، ثم أبدى بصرا من النور في القلب، ثم كشف الغطاء عنه، حتى أبصروا ببركة الكتابة ونور الإيمان المغيبات.

وقال: حياة الروح بالذكر وحياة الذكر بالذاكر، وحياة الذاكر بالمذكور، رضي الله عنهم بإخلاصهم له في أعمالهم، ورضوا عنه بجزيل ثوابه لهم على أعمالهم.

﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾(٣) الحزب الشيعة، وهم الأبدال وأرفع منهم الصديقون.

﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٤) يعني هم الوارثون أسرار علومهم، المشرقون على معاني ابتدائهم وانتهائهم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

١ ـ ٤ : المجادلة : ٢٢.

* أي الان له القول وأظهر خلاف ما أبطن.

﴿ السورة التى يذكر فيها الحشر ﴾

قوله تعالى ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) قال: أى يخربون قلوبهم ويبطلون أعمالهم باتباعهم البدع، وهجرانهم طريقة الاقتداء بالنبيين، ﴿ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى بمجانبة المؤمنين، ومشاهدتهم ومجالستهم فيحرمون بركاتهم. ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾(٢) ﴿ إن الله يضل من يشاء ﴾ بالخذلان ﴿ ويهدى من يشاء ﴾ بالمعونة وليس لكم من الأمر شىء.

قوله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾(٣) قال: أصول مذهبنا ثلاث: أكل الحلال، والاقتداء بالرسول ﷺ فى الأخلاق والأفعال، وإخلاص النية فى جميع الأعمال.

وقال: ألزموا أنفسكم ثلاثة أشياء، فإن خير الدنيا والآخرة فيها: صحبتها بالأمر، والنهى بالسنة، وإقامة التوحيد فيها وهو اليقين، وعلما فيه اتصال الروح.

وصاحب هذه الثلاثة أعلم بما فى بطن الأرض مما على ظهرها، ونظره فى الآخرة أكثر من نظره فى الدنيا، وهو فى السموات أشهر بين الملائكة منه فى الأرض بين أهله وقرابته.

فقيل: ما العلم الذى فيه إيصال الروح؟ قال: علم قيام الله عليه والرضا.

قوله تعالى ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(٤) قال: يعنى مجاعة وفقرا، تقول العرب: فلان مخصوص إذا كان فقيرا، فيؤثرون رضا الله على هواهم، والإيثار شاهد الحب.

وقد حكى عن وهب بن الورد أنه قال: يقول الله تعالى: «وعزتى وعظمتى

١، ٢- الحشر: ٢

٣- الحشر: ٧.

٤- الحشر: ٩.

وجلالى ما من عبد آثر هواى على هواه إلا قللت همومه، وجمعت عليه ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه، واتجرت له من وراء كل تاجر. وعزتى وجلالى ما من عبد آثر هواه على هواى إلا كثَّرت همومه، وفرقت عليه ضيعته، ونزعت الغنى من قلبه، وجعلت الفقر بين عينيه، ثم لا أبالى فى أى واد هلك».

قوله تعالى ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾(١) قال: أى ومن يوق حرص نفسه وبخلها على شيء هو غير الله وغير ذكره، فأولئك هم الباقون مع الله حياة طيبة بحياة طيبة.

قوله تعالى ﴿ **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ** ﴾(٢) قال: أهل الحق مجتمعون، وأهل الباطل مفترقون أبدا، وإن اجتمعوا فى أبدانهم وتوافقوا فى الظاهر، فإن الله تعالى يقول فى كتابه العزيز ﴿ **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ** ﴾.

قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ** ﴾(٣) قال: يسأل الله تعالى العبد عن حق نفسه، وحق العلم الذى بينه وبين ربه، وحق العقل.

فمن كان له فليؤد حق نفسه، وحق العلم الذى بينه وبين ربه، بحسن النظر لنفسه فى عاقبة أمره.

وحكى عن الحسن أنه قال: إذا مات ابن آدم قالت بنو آدم ما ترك وقالت الملائكة ما قدَّم.

قوله ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ** ﴾(٤) عند الذنوب ﴿ **فَأَنسَاهُمْ** ﴾(٥) الله الاعتذار وطلب التوبة.

١- الحشر: ٩.
٢- الحشر: ١٤.
٣- الحشر: ١٨.
٤، ٥- الحشر: ١٩.

قال: ما من عبد أذنب ذنبا ولم يتب، إلا جره ذلك الذنب إلى ذنب آخر، وأنساه الذنب الأول، وما من عبد عمل حسنة إلا جرته تلك الحسنة إلى حسنة أخرى، وبصره عقله تقصيره في الحسنة الأولى، لكي يتوب من تقصيره في حسناته الماضية، وإن كانت خالية صحيحة.

قوله تعالى ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**﴾[1] قال: الغيب السر والشهادة العلانية.

وقال تعالى أيضا: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**﴾ عالم بالدنيا والآخرة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الممتحنة ﴾

قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾[2] قال: حذر الله تعالى المؤمنين من التولي بغير من تولاه الله ورسوله.

فإن الله تعالى لم يرض منه أن يسكن إلى وليه، فكيف إلى عدوه؟

ومن شغل قلبه بما لا يعنيه من أمر آخرته، نال منه العدو، فكيف غيره؟

ومن طمع في الآخرة مع إرادة شيء من الدنيا حلالا كان مخدوعا، فكيف بالحرام؟

ومن لم يكن فعله مخالفة أو مكابدة أو إيثارا فهو رياء.

قيل: وما معناها؟ قال: المخالفة في ترك النهي، ولترك ذرة مما نهى الله عنه أفضل من أن تعبد الله تعالى عمر الدنيا، والمكابدة في أداء الأوامر والإيثار أن يؤثر الله تعالى على ما دونه.

ففي المخالفة فقدوا أنفسهم، وفي المكابدة فقدوا أهواءهم، فصارت شهواتهم في الطاعات، وبالإيثار نالوا محبته ورضاه.

---

١ - الحشر: ٢٢.
٢ - الممتحنة: ١.

قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] قال: غفور لذنوبكم الماضية بالتوبة، رحيم يعصمكم فيما بقى لكم من عمركم من مثل هذه المعصية.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾[2] قال: لا توافقوا أهل البدع على شيء من أهوائهم وآرائهم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الصف ﴾

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[3] قال: إن الله هدد عباده على دعواهم من غير تحقيق، والدعوى أن يلزمه اليوم حق من حقوق الله، براءة وتوبة من كل ذنب ارتكبه.

فيقول: غدا أعمل، وما من أحد ادعى إلا وقد ضيع حق الله من وجهين ظاهر وباطن.

ولا يكون المدعى خائفا، ومن لم يكن خائفا لم يكن آمنا، ومن لم يكن آمنا لم يكن يطلع على الجزاء.

وقال: طلاب الآخرة كثيرون، والذى يتولى الله كفايته عبدان، عبد ساذج غير أنه صادق فى طلبه، متوكل على الله، فيصدقه، فيكفيه مولاه ويتولى جميع أموره، وعبد عالم بالله وبأيامه وأمره ونهيه، كفاه الله كل شيء من هذه الدنيا.

فإذا صار إلى الآخرة ما سوى هذين، لا يعبأ الله بهم، لأنهم يدعون ما ليس لهم.

وقال ابن عيينة فى هذه الآية: لم تقولون ما ليس الأمر فيه لكم، لا تدرون تفعلون ذلك أم لا تفعلون.

١- الممتحنة: ٧.

٢- الممتحنة: ١٠.

٣- الصف: ٢.

قوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[1] يعنى جحدوا ما ظهر لهم من حجة النبى ﷺ بألسنتهم، وأعرضوا عنه بنفوسهم، فقيض الله لقبوله أنفسا أوجدها على حكم السعادة، وقلوبا زينها بأنوار معرفته، وأسرار نورها بالتصديق، فبذلوا له المهج والأموال، كالصِّدِّيق والفاروق، وأجلة الصحابة رضى الله عنهم.

قوله تعالى ﴿كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾[2] قال: يعنى بالقبول منه، والاستماع إليه بطاعته فيما يأمركم به وينهاكم عنه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التى يذكر فيها الجمعة﴾

قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾[3] قال: الأميون هم الذين صدقوا محمدا ﷺ، نسبوا إليه لاتباعهم إياه واقتدائهم به، ومن لم يقتد به فليس من أمته.

قوله تعالى ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾[4] يعنى: الذين جاءوا من بعده فآمنوا به واتبعوه، يلحقهم الله بأولهم.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾[5] قال: من شغله عن ربه شىء من الدنيا والآخرة فقد أخبر عن خسة طبعه ونذالة همته، لأن الله قد فتح له الطريق، وأذن له فى مناجاته، فاشتغل بما يفنى، ولم يكن عالما بمن لم يزل ولا يزال.

قوله تعالى ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾[6] قال: يعنى ما ادخر لكم فى الآخرة من جزيل العطايا، واللذة الباقية خير مما أعطاكم من الدنيا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

١- الصف: ٨.
٢- الصف: ١٤.
٣- الجمعة: ٢.
٤- الجمعة: ٣.
٥، ٦- الجمعة: ١١.

﴿ السورة التى يذكر فيها المنافقون ﴾

قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾(١) قال: لأنهم أقروا بألسنتهم، ولم يعرفوا بقلوبهم، فلذلك سماهم منافقين.

ومن عرف بقلبه، وأقر بلسانه، ولم يعمل بأركانه، ما فرض الله عليه من غير عذر، كان كإبليس لعنه الله، عرفه وأقر به ولم يعمل بأمره.

قال: والنفاق على ضربين: عقد بالقلب، وإظهار خلافه باللسان، كما قال تعالى ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾(٢).

والضرب الآخر: نفاق نفس الطبع مع صاحبها، وهو الذى قال النبى ﷺ «الشرك الخفى فى أمتى أخفى من دبيب النمل على الصفا(*) فى الليلة الظلماء».

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ ﴾(٣) عن أداء الفرائض فى مواقيتها، فإن من شغله عن ذكر الله وخدمته عرض من عروض الدنيا شيئا لشهوته، ووجد فى عبادته نشاطا فهو مخدوع، إلا الذى يأخذها لله عز وجل.

وقد حكى: أن سلمان دخل عليه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يعوده، فبكى سلمان، فقال: ما يبكيك يا أبا عبدالله، توفى سيدنا رسول الله ﷺ وهو عنك راض، وتلقى أصحابك وترد حوضه، فقال سلمان: أما إنى لست أبكى جزعا على الموت، ولا حرصا على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهدا فقال: «ليكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب». وحولى هذه الأوساد «جمع وسادة».

١- المنافقون: ١.

٢- الفتح: ١١.

* الحجر العريض الأملس.

٣- المنافقون: ٩.

وإنما كان حوله لحافه ومطهرته وجفنته(*)، فقال سعد: يا أبا عبدالله اعهد إلينا عهدا نأخذه بعدك، فقال: يا سعد اذكر الله تعالى عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا أقسمت، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التى يذكر فيها التغابن﴾

قوله تعالى ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾(١) هل وافق العمل الطبع والخلقة.

قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ**﴾(٢) قال: من حملك من أزواجك وأولادك على جمع الدنيا والركون إليها فهو عدو لك، ومن حثك على بذلها وإنفاقها، ودلك على القناعة والتوكل فليس بعدو لك.

وحكى عن الحسن أنه قال: يا ابن آدم لا يغرنك من حولك من السباع الضارية، ابنك، وحليلتك، وكلالتك، وخادمك.

أما ابنك فمثل الأسد فى الشدة والصولة، ينازعنك فيما فى يدك.

وأما حليلتك فمثل الكلبة فى الهرير(**) والبصبصة، تهر أحيانا وتبصبص أحيانا.

وأما كلالتك(***) فوالله لدرهم يقع فى ميراث أحدهم أحب إليه من أن لو كنت أعتقت رقبة.

وأما خادمك فمثل الثعلب فى الحيل والسرقة.

وأقول لك يا ابن آدم اتق الله فلا توقر ظهرك بصلاحهم؛ فإنما لك خطوات

---

* إناء الطعام.

١ــ التغابن: ٢. ٢ــ التغابن: ١٤.

** هر الكلب نبح وكشر عن أنيابه.

*** الكلالة غير الأصول والفروع.

إلى منزلك القابل «القبر» لأربعة أذرع في ذراعين، فإذا وضعوك هناك انصرفوا عنك، وصرفوا النيات، وضربوا بالدفاف وضحكوا بالقهقهة، وأنت تحاسب بما في أيديهم.

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(١) قال: إن أعطاك الله المال تشاغلت بحفظه، وإن لم يعطك تشاغلت بطلبه، فمتى تتفرغ له؟ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

﴿السورة التي يذكر فيها الطلاق﴾

قوله تعالى ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾(٢) قال: لا يقبل الموعظة إلا مؤمن، والموعظة ما خرجت إلا من قلب سليم، لا يكون فيه غل ولا حقد ولا حسد، ولا يكون فيه حظ.

قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾(٣) قال: التقوى التبرى من الحول والقوة، والأسباب كلها دونه بالرجوع إليه، يجعل له مخرجا مما كلفه بالمعونة، والعصمة من الطواف فيها، ولا يصح التوكل إلا للمتقين، ولا تصح التقوى إلا بالتوكل.

لذلك قال الله تعالى ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾.

قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾(٤) قال: يعنى من يكل أموره إلى ربه فإن الله تعالى يكفيه مهم الدارين أجمع.

وقال أبو الحسن عمرو بن واصل العنبرى، سمعت (سهلا) يقول: دخلت البادية سبع عشرة مرة، بلا زاد من طعام ولا شراب، ولا هميان، ولا ركوه(*)، ولا عصا، فلم أحتج إلى شيء آكله إلا وهو معد لى.

١- التغابن: ١٤. ٢- الطلاق: ٢. ٣- الطلاق: ٢، ٣. ٤- الطلاق: ٣.

* الهميان كيس النفقة يشد فى الوسط والركوة إناء من الجلد يشرب منه.

فقربت من البادية ذات كرة فدع إليّ رجل درهمين صحيحين، فوضعتهما في جيبي ومضيت، فسرت مدة فلم أجد شيئا فضعفت، وجعلت أقول في نفسي ما الذى أحدثت حتى حبس عنك معلومك؟ فسمعت صوتا من الهوى يقول: اطرح ما في الجيب يأتيك ما في الغيب، فتذكرت أن في جيبي درهمين فأخرجتهما ورميت بهما، فلم أسر إلا هنيهة حتى أبصرت رغيفين بينهما عسل كأنهما أخرجا من التنور الساعة، وعدت إلى ما كنت عليه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها التحريم ﴾

قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً** ﴾[1] قال: يعني بطاعة الله واتباع السنن.

قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً** ﴾[2] قال: التوبة النصوح أن لا يرجع، لأنه صار من جملة الأحبة، والمحب لا يدخل في شيء لا يحبه الحبيب.

وقال: علامة التائب أن لا تقلّه أرض، ولا تظله سماء، إلا هو متعلق بالعرش، وصاحب العرش، حتى يفارق الدنيا، ولا أعرف في هذا الزمان أقل من التوبة، إذ ليس منا أحد أتاه ملك الموت إلا ويقول دعني أفعل كذا وكذا، دعني أفعل كذا وكذا، دعني أتنفس ساعة.

ثم قال: إن التائب المخلص ولو مقدار ساعة، ولو مقدار نفس واحد قبل موته، يقال له: ما أسرع ما جئت به صحيحا، وجئنا حيث جئت.

قوله ﴿ **يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ** ﴾[3] قال: لا يخزيه في أمته، ولا يرد

---

١ - التحريم: ٦.

٢، ٣ - التحريم: ٨.

شفاعته، ولقد أوحى الله تعالى إلى النبى ﷺ فقال: إن أحببت جعلت أمر أمتك إليك، فقال يا رب: أنت خير لهم منى، فقال الله تعالى: إذاً لا أخزيك فيهم.

قوله عز وجل ﴿ **يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا** ﴾(1) فقال: لا يسقط الافتقار إلى الله عز وجل عن المؤمنين فى الدنيا ولا فى العقبى، هم فى الجنة أشد افتقارا إليه، وإن كانوا فى دار العز والأمن والغنى لشوقهم إلى لقائه، يقولون: ربنا أتمم لنا نورنا، وارزقنا لقاءك، فإنه منوِّر الأنوار وغاية الطلاب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها الملك ﴾

قوله تعالى ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ** ﴾(2) قال: أى تعالى وتعاظم عن الأشباه والأولاد والأضداد، الذى بيده الملك يقلبه بحوله وقوته، يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء، وهو القادر عليه.

قوله تعالى ﴿ **وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ** ﴾(3) قال: الموت فى الدنيا بالمعصية، والحياة فى الآخرة بالطاعة.

ولهذا قال الله تعالى لموسى عليه السلام فيما أوحى إليه: يا موسى إن أول من مات من خلقى إبليس لعنه الله، لأنه عصانى، وإنى أعد من عصانى فى الموتى.

وقد روى فى الخبر: أن أهل الجنة ليخافون الموت، وأهل النار يتمنون الموت، فيؤتى به فى صورة كبش أملح ثم يقال: هذا الموت فانظروا ما الله صانع فيه، ثم يضجع هناك فيذبح.

ثم يجعله الله تعالى فى صورة فرس يسرج فى الجنة، لا يراه أحد من أهل الجنة إلا أنس به، ولا يعلم أنه الموت.

1- التحريم: 8.

2- الملك: 1.

3- الملك: 1، 2.

قوله تعالى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[1] قال: أي أصونه وأخلصه، فإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، وإذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، حتى يكون صوابا خالصا، والخالص الذى يكون لله تعالى بإرادة القلب، والصواب الذى يكون على سبيل السنة وموافقة الكتاب.

وقال مرة أخرى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أى: توكلا ورضا علينا وسياحة بعد الزهد فى الدنيا، وإن مثل التقوى واليقين كمثل كفتى الميزان، والتوكل لسانه يعرف به الزيادة من النقصان.

فقيل: وما التوكل؟ قال: الفرار من التوكل، يعنى من دعوى التوكل.

قوله تعالى ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[2] قال: يعنى المنيع فى حكمه، الحكيم فى تدبيره بخلقه، الغفور للنقصان والخلل الذى يظهر فى طاعات عباده.

قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾[3] أى: يخافون ربهم فى سرهم، فيحفظون سرهم من غيره.

قوله تعالى ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[4] ألا يعلم من خلق القلب بما أودعه من التوحيد والجحود.

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾[5] بعلمه بما فى لب القلوب من الأسرار المكنونة فيها، كما قال النبى ﷺ: «إن من العلم سرا مكنونا لله تعالى فى القلوب».

﴿الْخَبِيرُ﴾[6] يخبرك بما فى غيبك.

قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً﴾[7] قال: خلق الله تعالى الأنفس ذلولا، فمن أذلها بمخالفتها، فقد نجاها من الفتن والبلايا والمحن، ومن أذلها واتبعها فقد أذلته نفسه وأهلكته.

١، ٢- الملك: ٢.

٣- الملك: ١٢.

٤-٦- الملك: ١٤.

٧- الملك: ١٥.

قوله عز وجل ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ ﴾[1] قال: أفمن يكون مطرقا إلى هوى نفسه، بجبلة(*) طبعه، بغير هدى من ربه أهدى:

﴿ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] قال: يعنى أم من يكون متبعا شرائع الإسلام، مقتديا بالنبيين، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها القلم ﴾

قوله تعالى ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[3] قال: النون اسم من أسماء الله تعالى، إذا جمعت بين أوائل السور الر وحم ون فهو اسم الرحمن.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: النون الدواة التى كتب الذكر منها، والقلم الذى كتب به الذكر الحكيم.

﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ما تكتبه الحفظة من أعمال بنى آدم.

وقال عمر بن واصل ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ أى: وما تولى الله تعليمه لعباده من الكتابة التى فيها منافع الخلق، ومصالح العباد والبلاد.

قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾[4] قال: أى محدود مقطوع، ومحسوب عليك.

قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[5] قال: تأدبت بأدب القرآن، فلم تتجاوز حدوده، وهو قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾[6] الآية.

وقال ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[7].

ثم قال: إن الغضب والحدة من سكون العبد إلى قوته، فإذا خرج من سكونه إلى قوته سكن الضعف فى نفسه، فتتولد منه الرحمة واللطف، وهو التخلق بأخلاق الرب جل جلاله.

---

* الجبلة هى طبيعة الإنسان.

١، ٢– الملك: ٢٢. ٣– القلم: ١. ٤– القلم: ٣.

٥– القلم: ٤. ٦– النحل: ٩٠. ٧– آل عمران: ١٥٩.

وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال «تخلق بأخلاقى، فإنى أنا الصبور» فمن أوتى الخُلق الحسن فقد أوتى أعظم المقامات، لأن ما دونه من المقامات ارتباط بالعامة، والخلق الحسن ارتباط بالصفات(*) والنعوت.

وسئل (سهل) يوما عن الكرامات فقال: وما الكرامات إن الكرامات شيء ينقضي لوقته، ولكن أكبر الكرامات أن تبدِّل خُلقا مذموما من أخلاقك بخلق محمود.

قوله تعالى ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾(١) قال: يعنى كله إلىَّ، فإنى أكفيك أمره ولا تشغل به قلبك.

قوله تعالى ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾(٢) قال: سنمدهم إطراقا إليهم، مشتغلين به عما لنا عليهم من الواجبات، فينسون شكرنا فنأخذهم من حيث لا يعلمون.

قوله عز وجل ﴿ لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾(٣) قال: يعنى لولا ما حفظ الله له ما سلف من عمله الصالح، بما جرى به من اجتبائه في الأزل، فاستنقذه به وتداركه.

﴿ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾(٤) والعراء أرض القيامة، إذ لا زرع فيها ولا نبت، ولم يكن له ذنب سوى أنه شغل قلبه بتدبير ما لم يكن تدبيره إليه، كما فعل آدم عليه السلام، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الحاقة ﴾

قوله تعالى ﴿ الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ ﴾(٥) قال: إن الله تعالى عظم حال يوم

* صفات الله تعالى وهو الرءوف الرحيم الصبور الشكور وراجع للمحققين كتاب شرح أسماء الله الحسنى للإمام القشيرى ط / دار الحرم للتراث.

١، ٢- القلم: ٤٤. ٣، ٤- القلم: ٤٩. ٥- الحاقة: ١، ٢

القيامة بما فيها من الشدة بإدخال الهاء فيها(*)، ومعناها اليوم الذى يلحق كل أحد فيه بعمله من خير أو شر.

وقال عمر بن واصل: معناها يحق فيه جزاء الأعمال لكل طائفة.

قوله عز وجل ﴿ **وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ** ﴾(١) قال: يعنى ثمانية أجزاء(**) من الكروبيين، لا يعلم عدتهم إلا الله.

وقال النبى ﷺ: «إن الله تعالى أذن لى أن أُحَدِّث عن ملك من حملة العرش رجلاه فى الأرض السفلى وعلى قرنه العرش بين شحمة أذنيه إلى عاتقه خفقان الطائر سبعمائة سنة يقول ذلك الملك سبحان الله حيث كنت».

قوله تعالى ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾(٢) قال: أى تعرضون على الحق عز وجل، فيحاسبكم بأعمالكم، لا يخفى عليه من أعمالكم شىء.

كل ذلك معروف محصى عليكم فى علمه السابق، فيسأله عن جميع ذلك يعنى يسأله فيقول له: ألم تكن عارفا بالساعات من أجلى، ألم يوسع لك حتى فى المجالس من أجلى، ألم تسألنى أن أزوّجك فلانة أمتى أحسن منك فزوّجناكها.

فهذا سؤال نعمه عليك، فكيف سؤاله عن معصيته.

وقد حكى عن عتبة الغلام أنه قال: إن العبد المؤمن ليوقف بين يدى الله تعالى بالذنب الواحد مائة عام.

---

* وعظمها أيضا بإعادة اللفظ بعينه ﴿ **ما الحاقة** ﴾ ولم يقل تعالى: ما هى.

١ـ الحاقة: ١٧.

** أى لا أفراد إنما هو جزء من الملائكة وما يعلم جنود ربك إلا هو.

٢ـ الحاقة: ١٨.

قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾[١] أى: فيقول هاكم اقرءوا كتابى بما فيه من أنواع الطاعات.

ويقال لهم ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[٢] يعنى صوم رمضان وأيام البيض من كل شهر(*).

وقد جاء في الحديث: أنه يوضع للصوّام يوم القيامة موائد يأكلون عليها والناس فى الحساب، فيقال يا رب الناس فى الحساب وهم يأكلون، فيقال لهم: إنهم طال ما صاموا فى الدنيا وأفطرتم وقاموا ونمتم.

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴾[٣] أي بما فيه من الأعمال الخبيثة والكفر، فيتمنى أن يكون غير مبعوث فيقول.

﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾[٤] يعنى: يا ليت الموتة الأولى كانت علىَّ، فلم أبعث.

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴾[٥] كثرة مالى حيث لم أؤد منه حق الله، ولم أصل به القرابة.

﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾[٦] يعنى حجتى وعذرى، فيقول الله تعالى:

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾[٧] فإذا قال ذلك، ابتدره مائة ألف ملك، لو أن ملكا منهم أخذ الدنيا بما فيها من جبالها وبحارها بقبضته لقوى عليها، فتغل يداه إلى عنقه ثم يدخل فى الجحيم.

﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾[٨] كل ذراع سبعون باعا، كل باع

---

١ ـ الحاقة: ١٩. ٢ ـ الحاقة: ٢٤.
* أيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وسميت بيضا لظهور القمر فى لياليها.
٣ ـ الحاقة: ٢٥. ٤ ـ الحاقة: ٢٧.
٥ ـ الحاقة: ٢٨. ٦ ـ الحاقة: ٢٩.
٧ ـ الحاقة: ٣٠. ٨ ـ الحاقة: ٣٢.

أبعد مما بين الكوفة ومكة، لو وضعت حلقة منها على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص، كذا حكى عن ابن عباس رضى الله عنهما.

وحكى أن عمر رضى الله عنه قال لكعب: خوفنا يا أبا إسحاق، قال: يا أمير المؤمنين لو أنك عملت حتى تعود كالعود المقضوب من العبادة، وكان لك عمل سبعين نبيا، لظننت أن لا تنجو من أمر ربك وحملة العرش، وجيء باللوح المحفوظ الذى قد حفظ فيه الأعمال، وبرزت الجحيم، وأزلفت الجنة، وقام الناس لرب العالمين، وزفرت جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا جثى على ركبتيه، حتى يقول إبراهيم نفسى نفسى، فيدعى على رءوس الخلائق بالرجل العادل والرجل الجائر، فإذا جيء بالرجل العادل رفع إليه كتابه بيمينه، فلا سرور ولا فرح ولا غبطة نزل يومئذ بعبد أفضل مما نزل به، فيقول على رءوس الخلائق ما حكاه الله تعالى(*)، ثم يؤتى بالرجل الجائر فيدفع إليه كتابه بشماله، فلا حزن ولا ذل، ولا حسرة أشد مما نزل بالرجل، فيقول على رءوس الخلائق ما حكى الله تعالى(**)، فيؤخذ ويسحب على وجهه إلى النار فينتثر لحمه وعظامه ومخه، فقال عمر رضى الله عنه حسبى حسبى(***).

قال سهل: إن السلاسل والأغلال ليست للاعتقال، وإنما هى لتجذبهم سفلا بعد سفل، أبدا ما داموا فيها.

قوله عز وجل ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴾[1] قال: يعنى لو تكلم بما لم نأذن له فيه.

---

* ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾.

** ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾ إلخ الآيات.

*** حسب اسم فعل ماض بمعنى كفى.

١ــ الحاقة: ٤٤.

﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾(١) يعنى: أمرنا بأخذ يده كما تفعل الملوك.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾(٢) وهو نياط القلب، وهو العرق الذى يتعلق القلب به، إذا انقطع مات صاحبه، فنقطع ذلك السبب بمخالفته إيانا(*).

قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٣) قال: يعنى القرآن رحمة للمطيعين.

قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(٤) قال: يعنى ما يرون من ثواب أهل التوحيد ومنازلهم، وكريم مقاماتهم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التى يذكر فيها المعارج﴾

قوله تعالى ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾(٥) قال: تعرج الملائكة بأعمال بنى آدم، والروح وهو رهن النفس، وتعرج إلى الله تعالى مشاهدة بالإخلاص فى أعماله، فيقطع هذه المسافة إلى العرش التى مقدارها خمسون ألف سنة بطرفة عين هذا باطن الآية.

قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً﴾(٦) أى: رضا من غير شكوى، فإن الشكوى بلوى، ودعوى الصبر معه دعوى، وإن لله تعالى عبادا شكُوا به منه إليه، حجة تمسك النفس الطبع عن التفات إلى شىء غير الذى من أجله صبر الصابر.

قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾(٧) قال: يعنى إنهم يرون المقضى عليهم من الموت، والبعث والحساب، بعيدا لبعد آمالهم، ونراه قريبا، فإن كل كائن قريب، والبعيد مالا يكون.

ثم قال: إن العلماء طلبوا الوسوسة فى الكتاب والسنة، فلم يجدوا لها أصلا

١- الحاقة: ٤٥. ٢- الحاقة: ٤٦.

* وحاشا أن يَفْعَل ذلك أو يُفْعَل به عليه الصلوات والتسليم وإنما هو فرض لا يقع.

٣- الحاقة: ٤٨. ٤- الحاقة: ٥٠.

٥- المعارج: ٤. ٦- المعارج: ٥. ٧- المعارج: ٦، ٧.

إلا فضول الحلال، وفضول الحلال أن يرى العبد وقتا غير وقته الذى هو فيه، وهو الأمل(*).

وقد روى عن حبيش عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ «كان يريق الماء (يتبول) فيتمسح بالتراب» فقلت: يا رسول الله إن الماء منك لقريب، فقال: لا أدرى لعلى لا أبلغه».

وقد قال أسامة قرباننا إلى شهرين إن أسامة لطويل الأمل.

وسئل (سهل): بم ترحل الدنيا من القلب؟ فقال: بقصر الأمل، فقيل: وما قصر الأمل؟ فقال: قطع الهموم بالمضمون، والسكون إلى الضامن(**).

قوله تعالى ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا**﴾(١) قال: يعنى متقلبا فى حركات الشهوات واتباع الهوى.

﴿**إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا**﴾(٢) قال: إذا افتقر حزن، وإذا أثرى منع.

﴿**إِلاَّ الْمُصَلِّينَ**﴾(٣) أى: العارفين بمقادير الأشياء، فلا يكون لهم بغير الله فرح، ولا إلى غيره سكون، ولا من غيره خوف، فراقه جزع كما قال: ﴿**وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ**﴾(٤).

وقد حكى عن النبى ﷺ أنه قال: «من خيار أمتى فيما نبأنى الملأ الأعلى فى الدرجات العلى، قوم يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم، ويبكون سرا من

* فإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح.

** جل جلاله.

١- المعارج: ١٩.

٢- المعارج: ٢٠، ٢١.

٣- المعارج: ٢٢.

٤- المعارج: ٢٧.

خوف شدة عذاب ربهم، ويذكرون ربهم بالغداة والعشي في بيوته الطيبة(*)، ويدعونه بألسنتهم رغبا ورهبا، ويسألونه بأيديهم خفضا ورفعا، ويشتاقون إليه بقولبهم عودا وبدْءًا مؤونتهم على الناس خفيفة، وعلى أنفسهم ثقيلة، يدبون على الأرض بأقدامهم دبيب النمل بغير فرح ولا مدح ولا ميل» الحديث بطوله.

قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾(١) قال: باطن الآية جميع الجوارح الظاهرة والباطنة، يحفظونها عن ظهور آثار نفس الطبع عليها.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾(٢) قال: باطنها أمانة النفس لأنها سر الله عند عباده، يسارهم بمعلومه فيها خواطر وهمما، يسارونه بالافتقار واللجأ إليه.

فإذا سكن القلب إلى ما خطر عليه من وسوسة العدو بأدنى شيء ظهر إلى الصدر، ومن الصدر إلى الجسد، فيكون قد خان في أمانة الله وعهده والإيمان.

﴿ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾(٣) قال: قائمون بحفظ ما شهدوا به من شهادة أن لا إله إلا الله، فلا يقعدون عنها في شيء من الأفعال والأقوال والأحوال، ولا يفترون، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها نوح عليه السلام ﴾

قوله تعالى ﴿ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾(٤) قال: الإصرار على الذنب يورث الجهل، والجهل يورث التخطي في الباطل، والتخطي في الباطل يورث النفاق، والنفاق يورث الكفر.

---

* هي المساجد فليكن قلبك معلقا بها تتركها وسرعان ما تعود إليها اللهم اجعلنا ممن يعملون ذلك.

١- المعارج: ٢٩.

٢- المعارج: ٣٢.

٣- المعارج: ٣٣.

٤- نوح: ٧.

قيل وما علامة المنافق؟ قال: يبصر الشيء عند مذاكرته، فإذا قام من عنده كأنه لم يخطر على قلبه، قال الله تعالى ﴿ **كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا** ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿ **أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا** ﴾[2] قال: أغرقوا في الحيرة عن الهدى، فأدخلوا نارا، فأوجب الله عليهم الهوان وأنزلهم دار الشقاء، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الجن ﴾

قوله تعالى ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ** ﴾[3] قال: كان تسعة نفر من جن نصيبين اليمن، والنفر اسم يقع على الثلاثة إلى العشرة جاءوا النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن في الصلاة، وكانوا من أمثل قومهم في دينهم، فلما سمعوه رقوا له فآمنوا به، ورجعوا إلى قومهم منذرين.

﴿ **فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ** ﴾[4] يعني: يدل على اتباع سنن المصطفى ﷺ.

(وقال) سهل: رأيت في دار عاد الأولى مدينة مبنية من حجر، فيها قصر عظيم منقور من حجر يأويه الجن، فدخلت القصر معتبرا[*]، فرأيت شخصا عظيما قائما يصلي نحو الكعبة عليه جبة صوف بيضاء بها طراوة، فعجبت لطراوة جبته وانتظرت حتى فرغ من صلاته، فقلت: السلام عليك: فقال: وعليك السلام يا أبا محمد عجبت لطراوة جبتي وهي عليّ منذ تسعمائة سنة، فيها لقيت عيسى

١- البقرة: ٢٠.

٢- نوح: ٢٥.

٣- الجن: ١.

٤- الجن: ١، ٢.

* أي لیتعظ.

ابن مريم، ومحمدا ﷺ، فآمنت بهما، واعلم يا أبا محمد أن الأبدان لا تخلق الثياب(*)، وإنما يخلقها مطاعم السحت والإصرار على الذنوب، فقلت: ومن أنت؟ فقال: أنا من الذين قال الله تعالى فى حقهم ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾.

(وقال سهل): هل يدخل الجن الجنة؟ فقال: بلغني أن فى الجنة برارى يسكنها الجن، ويأكلون فيها ويشربون، وفى القرآن دليل عليه؟ قال تعالى ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾(١).

قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾(٢) قال: أى لا تدعوا مع الله شريكا أى: ليس لأحد معى شريك فى شىء يمنع عبادى من ذكرى، لذلك ما كان لله تعالى فهو على هذه الجهة، ليس لأحد فيه سبيل المنع والزجر.

قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾(٣) قال: أمره بالافتقار واللجأ إليه، ثم بإظهارهما بقوله ليزيد بذلك للكافرين ضلالا وللمؤمنين إرشادا، وهى كلمة الإخلاص فى التوحيد، إذ حقيقة التوحيد هو النظر للحق لا غير، والإقبال عليه والاعتماد، ولا يتم ذلك إلا بالإعراض عما سواه، وبإظهار الافتقار واللجأ إليه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها المزمل ﷺ ﴾

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾(٤) قال: المزمل الذى تزمل فى الثياب وضمها عليه، وهو فى الباطن اسم له، معناه: يا أيها الجامع نفسه ونفس الله عنده.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا ﴾(٥) قال: يعنى الليل كله، وما ينشئه العبد من عبادة الليل، هى أشد مواطأة على السمع والقلب من الإصغاء والفهم.

* لا تبليها.

١- الرحمن: ٥٦.　٢- الجن: ١٨.
٣- الجن: ٢٢.　٤- المزمل: ١.　٥- المزمل: ٩.

﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾[١] أى: وأثبت رتبة، وقيل: وأصوب قيلا لأنه أبعد من الرياء.

قال الحسن رحمة الله عليه: لقد أدركت أقواما يقدرون على أن يعملوا فى السر، فأرادوا أن يعملوه علانية، ولقد أدركت أقواما إن أحدهم ليأتيه الزَّوْر[*] فيقوم من الليل فيصلى وما يشعر به الزور.

وكان يقول لابنه: يا بنى لا تكن أعجز من هذا الديك يصوت بالليل.

قوله تعالى ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾[٢] قال: اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فى افتتاح صلاتك، توصلك بركة قراءتها إلى ربك، وتقطعك عن كل ما سواه.

قوله تعالى ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾[٣] أى: كفيلا بما وعدك من المعونة على الأمر، والعصمة عن النهى، والتوفيق للشكر، والصبر فى البلوى، والخاتمة المحمودة.

ثم قال: فى الدنيا الجنة والنار، فالجنة والعافية أن تولى الله أمرك، والنار البلوى، والبلوى أن يكلك إلى نفسك.

قيل: فما الفرج؟ قال: لا تطمع فى الفرج وأنت ترى مخلوقا، وما من عبد أراد الله بعزم صحيح إلا زال عنه كل شىء دونه، وما من عبد زال عنه كل شىء دونه إلا حق عليه أن يقوم بأمره، وليس فى الدنيا مطيع لله وهو يطيع نفسه، ولا يتباعد أحد عن الله إلا بالاشتغال بغير الله.

وإنما تدخل الأشياء على الفارغ، وأما من كان مشغول القلب بالله لم تصل إليه الوسوسة، وهو فى المزيد أبدا واحفظ نفسك بالأصل.

قيل له: ما هو؟ قال: التسليم لأمر الله، والتبرى ممن سواه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

١ - المزمل: ٦.

* الضيف الزائر.

٢ - المزمل: ٨.

٣ - المزمل: ٩.

﴿ السورة التى يذكر فيها المدثر(*) ﷺ ﴾

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ ﴾(١) قال: يا أيها المستغيث من إعانة نفسك على صـــدرك وقلبك، قم بنا وأسقط عنك ما سوانا، وأنذر عبادنا لأنا قد هيأناك لأشرف المواقف، وأعظم المقامات.

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾(٢) قال: أى لا تلبس ثيابك على معصية، فطهره عن حظوظك، واشتمل به، كما حكت عائشة رضى الله عنها أنها قالت: كان لرسول الله ﷺ، خميصة فأعطاها أبا الجهم وأخذ إنبجانيته(**)، فقيل يا رسول الله إن الخميصة خير من الإنبجانية، فقال: إنى كنت أنظر إليها فى الصلاة(***).

قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا ﴾(٣) قال: يعنى الوليد بن المغيرة، جعلت له الحرص وطول الأمل.

قوله تعالى ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾(٤) قال: يعنى هو أهل أن يُتَّقَى فلا يُعْصَى، وأهل المغفرة لمن يتوب.

والتقوى هو ترك كل شىء مذموم، فهو فى الأمر ترك التسويف، وفى النهى ترك الفكرة، وفى الآداب مكارم الأخلاق، وفى الترغيب كتمان السر، وفى الترهيب اتقاء الوقوف عند الجهل.

والتقوى هو التبرى من كل شىء سوى الله، فمن لزم هذه الآداب فى التقوى، فهو أهل المغفرة.

وقد حكى: أن رجلا أتى عيسى ابن مريم عليهما السلام فقال يا معلم الخير

* وقد جمعنا له ﷺ مئات الأسماء والصفات فى كتاب أسميناه «الوفا بتعريف أسماء المصطفى ﷺ» ط/ مكتبة الصفا بالأزهر – المحققان.

١– المدثر: ١، ٢.   ٢– المدثر: ٤.

** الخميصة: ثوب أسود أو أحمر له اعلام والإنبجانية نوع من الثياب أقل جودة.

*** فشغلته أعلامها وخطوطها.

٣– المدثر: ١٢.   ٤– المدثر: ٥٦.

كيف أكون تقيًّا كما ينبغي؟ قال: يسير من الأمر، تحب الله بقلبك كله، وتعمل بكرمك وقوتك ما استطعت، وترحم نفس جنسك كما ترحم نفسك.

قال: مَن جنسي يا معلم الخير؟ قال: ولد آدم، فما لا تحب أن يؤتى إليك فلا تأته إلى أحد، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها القيامة ﴾

قرئ على (سهل) فأقر به.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من شاء أن يبصر يوم القيامة فليقرأ سورة القيامة وإنما قيامة أحدكم موته.

قوله تعالى ﴿ **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾(١) النفس الأمارة بالسوء هي النفس اللوامة، وهي قرينة الحرص وطول الأمل.

ثم قال: أما نهاكم الله عن القبول وعن الاغترار بالدنيا، وعن مخادعة النفس، فقال تعالى ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾(٢) وقال ﴿ **فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا** ﴾(٣) وقال ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ** ﴾(٤).

قوله تعالى ﴿ **وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ** ﴾(٥) قال باطنها. القمر نور بصر عين الرأس الذي لنفس الطبع، والشمس نور بصر القلب الذي لنفس الروح والعقل، ألا تراه كيف قال:

﴿ **يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ** ﴾(٦) أي: المكذب بيوم القيامة، يقول: عند جمع النورين: أين المخلص من عذاب الله.

قوله تعالى ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾(٧) قال: من قتله حبه فديته رؤيته، ثم قال: جزاء الأعمال الجنة، وجزاء التوحيد النظر إلى الحق عز وجل.

١- القيامة: ١، ٢. ٢- يوسف: ٥٣. ٣- لقمان: ٣٣.
٤- فاطر: ٦. ٥- القيامة: ٩. ٦- القيامة: ١٠. ٧- القيامة: ٢٢، ٢٣.

وحكى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال: سيروا للبلاء، وتجهزوا للفناء، واستعدوا للقاء.

وكانت رابعة رضى الله عنها تقول: إلهى إنى أحب الدنيا لأذكرك فيها، وأحب الآخرة لأراك فيها، إلهى كل ساعة تمر عليَّ لا يكون لسانى فيها رطبا بذكرك فهى مشؤومة، إلهى لا تجمع عليّ أمرين فإنى لا أطيقهما، الإحراق بالنار، والفراق منك.

قوله تعالى ﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾(١) يعنى الحلقوم.

﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾(٢) أى: هل من طبيب يداوى.

وقيل: من يصعد بروح الكافر إلى السماء.

﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾(٣) يقول: وعلم أنه الفراق للدنيا.

﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾(٤) يقول: أمر الدنيا والآخرة، وقيل: هما ساقاك إذا التفتا فى الكفن(*).

وقد حكى أن يعقوب عليه السلام لما أتاه البشير قال: ما أذن لى ما آتيتك اليوم إلا أن أقول هون الله عليك سكرة الموت.

وقيل للأسود بن يزيد حين احتضر: أبشر بالمغفرة، قال: فأين الحياء ممن كانت المغفرة منه.

وحكى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما احتضر جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت.

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى * إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر(٥)

١- القيامة: ٢٦. ٢- القيامة: ٢٧. ٣- القيامة: ٢٨. ٤- القيامة: ٢٩.

* والخائف المرتعد تلتف رجلاه فى السير. ٥- أى الروح عند خروجها من الجسد.

فكشف عن وجهه فقال: ليس كذلك ولكن قولى ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾(١) انظروا ثوبَىَّ هذين فاغسلوهما وكفنونى فيهما، فإن الحى أحوج إلى الجديد من الميت، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التى يذكر فيها الإنسان﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾(٢) الآية، قال: الأبرار الذين تخلقوا بخلق من أخلاق العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة(*).

قيل: فما أول شيء ينبغى من الأخلاق؟ فقال: احتمال المؤنة، والرفق فى كل شيء، والحذر أن لا يميل فى رفعه إلى هواه، فى هذه الخصال اكتساب العقد.

ثم لا بد من ثلاثة أخرى فيها: اكتساب المعرفة، واستعمال العلم والحلم، والتواضع.

ثم لا بد له من ثلاثة أخرى فيها أحكام التعبد: السكينة، والوقار، والإنصاف.

وقال: من كان فيه ثلاث خصال لم يأكل التراب جسده، كف الأذى عن الناس، ثم احتمال أذاهم، ثم اصطناع المعروف معهم.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾(٣) قال: البلايا والشدائد فى الآخرة عامة، والسلامة منها خاص الخاص.

قوله تعالى ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾(٤) قال: نضرة فى الوجوه وسرورا فى القلب.

١ـ ق: ١٩.
٢ـ الإنسان: ٥.

* وهم المذكورون فى حديث واحد وإلا فالمبشرون أكثر من ذلك بكثير وراجع كتاب «المبشرون بالجنة والمبشرون بالنار» من تأليف / طه عبد الرءوف سعد ـ ط / مكتبة العلم الإسلامية.

٣ـ الإنسان: ٧.
٤ـ الإنسان: ١١.

قوله تعالى ﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً﴾[1]. وقال: حكى عن المسيب أنه قال: هى عين يمين العرش من قصب «اللؤلؤ» من ياقوت.

(قال) سهل: نبه الله به عباده المؤمنين، قال: سلوا ربكم السبيل إلى هذه العين.

قوله تعالى ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾[2]. (قال) سهل: نهى الله عباده عن نجاسة خمور الدنيا، بما فرق بين الطاهر والطهور، وبين خمور الجنة وخمور الدنيا نجاسة، فإن خمور الدنيا نجسة تنجس شاربها بالآثام، وخمور الجنة طهور تطهر شاربها من كل دنس، وتصلحه لمجلس القدس، ومشهد العز.

وصلى سهل صلاة العتمة(*) فقرأ قوله تعالى ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ فجعل يحرك فاه كأنه يمص شيئا، فلما فرغ من صلاته قيل له: أتشرب فى الصلاة؟ فقال: والله لو لم أجد لذته عند قراءته كأنى عند شربه ما فعلت ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التى يذكر فيها المرسلات﴾

قوله تعالى ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾[3] يعنى: الملائكة، أرسلوا بالمعروف من أمره.

قال: وباطنها أرواح المؤمنين، ترسل إلهاما موافق الكتاب والسنة.

﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً﴾[4] ما يطهر الأعمال الصالحة منها.

﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾[5] بين الحق والباطل، والسنة والبدعة.

١ـ الإنسان: ١٨.

٢ـ الإنسان: ٢١.

* صلاة العشاء.

٣ـ المرسلات: ١.

٤ـ المرسلات: ٣.

٥ـ المرسلات: ٤.

﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً ﴾(١) وهو الوحي إلهاما، يلقيه نفس الروح والعقل والقلب على نفس الطبع، وهو الذكر الخفيّ.

﴿ عُذْراً أَوْ نُذْراً ﴾(٢) عذر الله تعالى من الظلم على ما خالف به الكتاب والسنة، أو نذرا لخلقه من عذابه، فاقسم الله تعالى بها على كون القيامة (وجودها).

قوله تعالى ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾(٣) قال: الويل(*) يومئذ لمن ادعى من غير حقيقة، فكذبته دعواه على رؤوس الأشهاد، وذلك حين الافتضاح.

قوله تعالى ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ ﴾(٤) قال: لا ينطق أحد عن نفسه. بحجة إلا بإظهار العجز والعبودية، والتزام المخالفات والجرائم.

قوله تعالى ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾(٥) قال: من كانت همته بطنه وفرجه، فقد أظهر خسارته.

قال الله تعالى ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها النبأ ﴾

قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً ﴾(٦) أي: أنوار القلوب وتنويرها بذكرنا، معاشا لنفس الروح والعقل، مثل عيش الملائكة.

فأما العيش الآخر فهو طريق العوام.

ثم قال: ليس من أخلاق المؤمن التذلل عند الفاقة وقبيح بالفقراء يلبسون الخلقان، وهموم الأرزاق في قلوبهم، وإنما أصل هذه الأمور ثلاث: السكون إلى الله جل وعز، والهرب من الخلق، وقلة الأذى.

١- المرسلات: ٤. ٢- المرسلات: ٦. ٣- المرسلات: ١٥.

* الهلاك أو هو واد في جهنم من صديد أهل النار وقيل هو واد تستعيذ منه أودية جهنم لما فيه من أنواع العذاب أعاذنا الله تعالى من جهنم وما فيها.

٤- المرسلات: ٣٥. ٥- المرسلات: ٤٦. ٦- النبأ: ١١.

ولقد كان عامر بن قيس يقول إذا أصبح : اللهم إن الناس قد انتشروا لحوائجهم وإن حاجتي أن تغفر لي .

قوله عز وجل ﴿ **جَزَاءً وِفَاقًا** ﴾[1] قال : وافق عذاب النار الشرك، لأنهما عظيمان، فلا عذاب أعظم من النار، ولا ذنب أعظم من الشرك .

قوله تعالى ﴿ **وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا** ﴾[2] قال : يعني الجوارى القينات[*] أترابا، مستويات على ميلاد واحد .

قوله تعالى ﴿ **وَكَأْسًا دِهَاقًا** ﴾[3] أى : مملوءة متتابعة .

ولقى حكيما حكيمٌ بالموصل فقال : تشتاق إلى الحور العين؟ فقال : ألا أشتاق إليهن فإن نور وجوههن من نور الله عز وجل، فغشى عليه فحمل إلى منزله، فكان الناس يعودونه شهرا وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : لو أن جارية منهن بصقت فى سبعة أبحر لكانت الأبحر أحلى من العسل، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ السورة التي يذكر فيها النازعات ﴾

قوله تعالى ﴿ **فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا** ﴾[4] قال : يعنى أرواح المؤمنين، سبقت بالخير والموافقة، فسبقت إلى ملك الموت بالإجابة شوقا إلى ربها، فخرجت فى أطيب ريح وأكمل سرور .

قوله تعالى ﴿ **إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى** ﴾[5] قال : جوَّع موسى نفسه طاويا عابدا لله تعالى، ثم ناداه ربه ليكون إليه أبلغ .

١- النبأ : ٢٦ .

٢- النبأ : ٣٣ .

* القينة الأمة الصانعة أو غير الصانعة وغلبت على الأمة المغنية .

٣- النبأ : ٣٤ . ٤- النازعات : ٤ . ٥- النازعات : ١٦ .

قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[1] أى قال: جحد حقوق الله، وكفر نعمته، وآثر الحياة الدنيا اتباعا فى طلب الشهوات، ومتابعة المراد.

ثم قال: ما طلعت شمس ولا غربت على أحد إلا وهو جاهل، إلا من يؤثر الله تعالى على نفسه وروحه، ودنياه وآخرته.

قيل ما علامة بغض الدنيا؟ قال: أن تهون عليه المصائب حتى نفسه وولده.

كما قال مسلم بن يسار حين مات ولده: يا بنيّ شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك، اللهم إنى قد جعلت ثوابك لى عليه له.

والثانى: يهون عليه نعيم الدنيا ولو روحه.

والثالث: لا يكون شيء أقرب إليه من الله عز وجل، كقول عامر بن عبد القيس: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله أقرب إليه منى.

قوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾[2] قال: لا يسلم من الهوى إلا نبى وبعض الصديقين ليس كلهم، وإنما يسلم من الهوى من ألزم نفسه الأدب، وليس يصفو الأدب إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبعض الصديقين، وكذلك الأخلاق.

وخرج ابن السماك يوما إلى أصحابه وقد اجتمعوا إليه فقال لهم: قد كثرت عظاتى لكم، تريدون دوائى لكم، قالوا: نعم، قال: خالفوا أهواءكم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التى يذكر فيها عبس﴾

قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾[3] قال: باطنها أمات منه حظوظ نفسه من الشهوة، فأقبره فى نفسه.

١- النازعات: ٣٧، ٣٨.

٢- النازعات: ٤٠.

٣- عبس: ٢١.

﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾(١) قريناه بالحكمة، مشاهد الله منقطعا عمن سواه.

قوله تعالى ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾(٢) قال: صب من لطف معانيه ماء، ثم شق الأرض وهو القلب شقا، فأنبت فيه من ألوان الزهر روحا وعقلا وإيمانا ومعرفة.

كما قال رسول الله ﷺ «ألا إن القرآن زهرة القلوب ألا وإن الإيمان يزرع فى القلب الغنى كما يزرع المطر الزهرات، ألا وإن الشح يزرع فى القلب النفاق كما يزرع الندا العشب(*)».

قوله عز وجل ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾(٣) هابيل من قابيل، ومحمد ﷺ من عمه، وإبراهيم من أبيه، ولوط عليه السلام من امرأته، ونوح من ولده (الكافر).

﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾(٤) يشغله عن الناس كافة، إلا عن نفسه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها التكوير ﴾

(قال) سهل: حكى محمد بن سوَّار، عن ابن عمر رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ أنه قال: «من أراد أن ينظر إلى القيامة رأى العين فليقرأ إذا الشمس كوّرت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت».

قوله تعالى ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾(٥) أيقنت كل نفس أن ما اجتهدت فيه لا يصلح لذلك المشهد، وأن من أكرم بخلع الفضل نجى، ومن قرن بجزاء أعماله خاب.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾(٦) قيل: زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين، وزوجت نفوس الكفار بالشياطين، قد قرن بين الكافر والشيطان فى سلسلة واحدة، وفى الآية تحذير عن قرناء السوء.

١- عبس: ٢٢. ٢- عبس: ٢٥.

* فيزداد وينمو ويكثر.

٣- عبس: ٣٤. ٤- عبس: ٣٧. ٥- التكوير: ١٤. ٦- التكوير: ٢٧.

(قال) سهل: قرن بين نفس الطبع ونفس الروح، فامتزجا فى نعيم الجنة كما كانا فى الدنيا مؤتلفين على إدامة الذكر، وإقامة الشكر.

قوله تعالى ﴿ **فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ** ﴾(١) عن كتابه بعد البيان الذى أتاكم.

﴿ **إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ** ﴾(٢) قال: ذكر هذا خصوص لمن كان من العالمين عالما بالذكر، منقادا للشريعة.

ألا ترى كيف قال الله تعالى ﴿ **لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ** ﴾(٣) على الطرق إليه بالإيمان به، ولا تصح لكم تلك الاستقامة فى الأصل والفرع إلا بمشيئتى السابقة فيكم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها الانفطار ﴾

قوله تعالى ﴿ **عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ** ﴾(٤) أي: ما قدمت من خير أو شر، وأخرت من سيئة سنتها واقتُدِىَ بها فيها.

قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾(٥) قال: أى ما غرك بدونه، فقطعك عنه مع لطفه وكرمه.

قيل له: ما القاطع؟ قال: العبد لله، والله لعبده، وليس شيء أقرب إليه من قلب المؤمن، فإذا حضر الغير فيه فهو الحجاب.

ومن نظر إلى الله بقلبه بعد عن كل شيء دونه، ومن طلب مرضاته أرضاه بحلمه، ومن أسلم إلى الله تعالى قلبه، تولى جوارحه فاستقامت.

وإنما شهدت قلوبهم على قدر ما حفظوا من الجوارح.

ثم قال: ألزموا قلوبكم، نحن مخلوقون وخالقنا معنا، ولا تملوا من أعمالكم

١ـ التكوير: ٢٦. ٢ـ التكوير: ٢٧.
٣ـ التكوير: ٢٨. ٤ـ الانفطار: ٥. ٥ـ الانفطار: ٦.

فإن الله شاهدكم حيثما كنتم، وأنزلوا به حاجاتكم وموتوا على بابه، وقولوا نحن جهال وعالمنا معنا، ونحن ضعفاء ومقوينا معنا، ونحن عاجزون وقادرنا معنا، فإن من لزمها كان الهواء والفضاء والأرض والسماء عنده سواء.

وكان عمر بن واصل تلميذ سهل: إذا قرأ هذه الآية قال: غرنى الجهل بترك العصمة منك.

قوله عز وجل ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾(١) قال: نعيم الخاص من عباده، وهم الأبرار، لقاؤه ومشاهدته، كما كان نعيمهم فى الدنيا مشاهدته(*) وقربه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها المطففون ﴾

قوله تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾(٢) قال: هم المنافقون ومن تخلق بأخلاقهم، يطففون فى صلاتهم.

كما قال سليمان رضى الله عنه: الصلاة مكيال، فمن وَفَّى وُفِّىَ له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى فى حق المطففين ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾(٣) وتغمزونهم على ما عثروا عليه من عيوب الناس، وترتكبون مثلها وأفظع منها، ولا يطلع على عثرات الخلق إلا مخطئ جاهل، ولا يهتك ستر ما اطلع عليه إلا الله.

ولقد حكى: أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أشكو إليك عبادى يا داود، فقال: ولم يا رب، قال: لأنهم يذنبون فى السر ويتوبون فى العلانية، وإنى لا أريد أن يطلع غيرى على ذنب عبدى.

١ـ الانفطار: ١٣.

* مشاهدة صفاته وأفعاله وخلقه بل ونفس الإنسان التى بين جنبيه إذا أردت معرفة الله تعالى فى الدنيا فانظر فى نفسك تدلك على الصانع ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ وانظر أيضا فيما حولك ترى عظمته تعالى.

٢ـ المطففين: ١.

٣ـ البقرة: ٤٤.

وقال عمر بن واصل: سألت سهلا عن قوله تعالى ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[1] قال: هم فى الدنيا محجوبون عن الآمر والزاجر، كما روى فى الخبر: طوبى لمن كان له من قلبه واعظ، ومن قلبه زاجر(*).

فإذا أراد الله فيه أمرا غيب معناه عنه، وهم فى الآخرة محجوبون عن الرحمة والنظر إلى الله عز وجل، وعن نظره إليهم بالرضا والرضوان عند مناقشته إياهم.

كما قال: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾[2] عن الديانة، فتلزمهم الحجة، فيدخلهم النار.

ثم يفتح للمؤمنين مناظر إليهم، فينظرون إليهم وهم يحرقون بالنار، ويعذبون بألوان عذابها، فتقر أعينهم فيضحكون منهم كما ضحكوا فى الدنيا من المؤمنين.

ثم تسد المناظر وتطبق عليهم، فعند ذلك يمحو الله أسماءهم، ويخرج ذكرهم من قلوب المؤمنين.

ويقول ﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[3] قال: وفيها دلالة بينة على إثبات الرؤية للمؤمنين خاصة(**).

قوله تعالى ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾[4] قال: الكتاب ظاهره فى الآيتين جميعا أعمال الخير والشر، وباطنه أرواح المؤمنين وأرواح الكافرين.

تجمع أرواح المؤمنين عند سدرة المنتهى فى حواصل طير خضر، ترتع فى الجنة إلى يوم القيامة، مرقوم بالرضا والرضوان.

---

١ المطففين: ١٥.

* ومن لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ يسمع الموعظة ولا يعتبر بها.

٢– الصافات: ٢٤. ٣– المطففين: ٣٦.

** الدليل على رؤيته تعالى فى الآخرة ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ وهم الكفار إذا فالمؤمنون غير محجوبين عن الرؤية إن شاء الله تعالى اللهم ارزقناها.

٤– المطففين: ١٨.

وتجمع أرواح الكفار في سجين تحت الأرض السفلى، تحت خد إبليس لعنه الله، مرقوم بالعداوة والبغضاء، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التى يذكر فيها الانشقاق﴾

قوله تعالى ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[1] أي: سمعت لربها، وأجابت بالامتثال بأمره، وحق لها أن تفعل.

﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾[2] أي: ساع بعملك إلى ربك سعيا.

﴿فَمُلَاقِيهِ﴾[3] بسعيك، فانظر فى سعيك هل يصلح للجنة ولقربه، أم للنار وبعده.

وقد قال عمارة بن زاذان، قال لى كهمس: يا أبا سلمة أذنبت ذنبا فأنا أبكى عليه منذ أربعين سنة.

قلت: ما هو يا أبا عبد الله؟ قال: زارنى أخ لى فاشتريت له سمكا مشويا بدانق، فلما أكل قمت إلى حائط جارى فأخذت منه قطعة فغسل بها يده، فأنا أبكى عليه منذ أربعين سنة.

قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[4] أي: نغفر ذنوبه فلا نحاسبه بها.

كما روى فى الخبر: أن الله تعالى إذا أراد أن يستر على عبد يوم القيامة أراه ذنوبه فيما بينه وبينه، ثم غفرها له.

١ـ الانشقاق: ٢.

٢ـ الانشقاق: ٦.

٣ـ الانشقاق: ٦.

٤ـ الانشقاق: ٧، ٨.

﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾[1] في الجنة بتحقيق ميعاد اللقاء، وبما نال من الرضا.

واعلم أن الله له عباد لا يوقفون مواقفه، ولا يحسون بهول من أهوال يوم القيامة من الحساب والسؤال والصراط، لأنهم له وبه لا يعرفون شيئا سواه، ولا لهم دونه اختيار.

قوله عز وجل ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾[2] قال: باطنها لترفعن درجة فوق درجة في الجنة، ولتحولن من حال إلى حال أشرف منها، وأسر كما كنتم في الدنيا ترفعون من درجة إلى درجة أعلى منها، من طمع وخوف وشوق ومحبة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها البروج ﴾

قوله تعالى ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾[3] قال: قيل الشاهد الملك، كما قال ﴿ سائق وشهيد ﴾، والمشهود يوم القيامة، وذلك يوم القيامة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشاهد محمد ﷺ، والمشهود القرآن، وقيل المشهود الإنسان.

(وقال) سهل: الشاهد نفس الروح، والمشهود نفس الطبع، لأن نفس الطبع مع فهم العقل وفطنة القلب على كل واحد منهما شاهد، والله على الكل شهيد.

قوله عز وجل ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾[4] قال: يعني الغفور للمذنبين، الودود للمغفرة، المتودد المتحبب إلى عباده بما أولاهم من سابغ نعمه، وجميل آلائه وإحسانه.

١- الانشقاق: ٩.

٢- الانشقاق: ١٩.

٣- البروج: ٣.

٤- البروج: ١٤.

قوله تعالى ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[1] قال: المحفوظ صدر المؤمن، محفوظ عليه أن يناله غير أهله، لأن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التي يذكر فيها الطارق﴾

قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾[2] قال: السماء في اللغة السموّ والعلو، فباطنها روح محمد ﷺ، قائم عند رب العزة.

والطارق ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[3] وهو قلبه، يعني: مشرق بتوحيد الله وتنزيهه، ومداومة الأذكار ومشاهدة الجبار.

وقال مرة أخرى: الثاقب قلب المؤمن، يعني مشرق مطهر عن كل شك وريب، جرت عليه من وساوس العدو ونفس الطبع.

قوله تعالى ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[4] أي: على نفس الطبع حافظ من عصمة الله.

قوله تعالى ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ﴾[5] قال: أي يكشف عن النيات التي بها تعبدهم الله، فيما فرض عليهم ونهاهم عنه، فإن أعمال العباد يوم القيامة موقوفة على مقاصدهم.

ولقد كان الربيع يقول: السرائر التي تخفى على الناس، وهي لله بَوَادٍ(*) التمسوا دواءهن.

ثم يقول: وما دواؤهن هو أن يتوب ثم لا يعود.

١- البروج: ٢٢.
٢- الطارق: ١.
٣- الطارق: ٣.
٤- الطارق: ٤.
٥- الطارق: ٩، ١٠.
* ظاهرة بينة.

ثم (قال) سهل: آلة الفقير(*) ثلاثة أشياء: أداء فرضه، وصيانة فقره، وحفظ سره.

قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[1] قال: ظاهرها ذات الرجع بالمطر بعد المطر وباطنها القلب يرجع بالندم بعد الذنب.

﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[2] بالنبات، ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ الأرض تنصدع عن الموافقات بالأفعال والأقوال.

قوله تعالى ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[3] قال: كيده بهم في الدنيا الاستدراج والاغترار، وبالآخرة الحسرة عند نظرهم إلى إكرام الموحدين وإعزازهم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التي يذكر فيها الأعلى جل وعلا﴾

قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[4] قال: هو تنزيهه عن الأضداد والأنداد في الظاهر، وفي الباطن مشاهدته بالذكر في الصلاة دون مشاهدة غيره.

قوله تعالى ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[5] قال: قدر عليهم الشقاوة والسعادة، ثم تولى أهل السعادة ووكل أهل الشقاوة إلى أنفسهم.

قال: والهدى هدايان: أحدهما البيان، والآخر: التولي من الله تعالى.

ألا ترون كيف يهتدي الطفل الرضيع إلى سبب معاشه، إلى ثدي أمه، لتولي الله إياه وإلهامه إياه.

قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[6] قال: أي فاز وسعد من اتقى الله في السر والعلانية.

---

* هو لقب يطلق على الصوفي.

١- الطارق: ١١. ٢- الطارق: ١٢. ٣- الطارق: ١٦.

٤- الأعلى: ١. ٥- الأعلى: ٣. ٦- الأعلى: ١٤.

قوله تعالى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[1] قال: ما ينبغى للمؤمن أن يكون فى الدنيا إلا كمثل رجل ركب خشبة فى للبحر وهو يقول: يا رب يا رب، لعل أن ينجيه منها.

وما من عبد مؤمن زهد فى الدنيا إلا وكل الله به ملكا حكيما يغرس فى قلبه أنواع الحكم، كما يغرس أهل الدنيا فى بساتينهم من طُرف الأشجار، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التى يذكر فيها الغاشية﴾

قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾[2] أى: ذليلة، لأن الله تعالى أمرها أن تخشع، وتذل، وتفتقر إليه فى الدنيا فلم تفعل، فأذلها فى الآخرة بالذلة الباقية.

قوله تعالى ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾[3] أى: عاملة فى الدنيا بأنواع البدع والضلالات، ناصبة فى الآخرة بالعذاب فى الدركات.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾[4] أى: من عين صديد، قد تناهى حرها، كما قال حميم، أى قد بلغ فى الحر منتهاه.

قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾[5] أى: نعمة وكرامة.

﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾[6] فى الآخرة.

قوله تعالى ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾[7] أى: مطردة فى غير أخدود.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾[8] يعنى: الفرش، مرفوعة على كل سرير سبعون فراشا، كل فراش فى ارتفاع غرفة من غرف الدنيا.

١ـ الأعلى: ١٦.
٢ـ الغاشية: ٢.
٣ـ الغاشية: ٣.
٤ـ الغاشية: ٥.
٥ـ الغاشية: ٨.
٦ـ الغاشية: ٩.
٧ـ الغاشية: ١٢.
٨ـ الغاشية: ١٣.

(قال) سهل: ذكر الله تعالى هذه النعم ليرغبهم فيها، ويحذرهم عقوبته على قدر سلطانه، وكرامته على قدر عظيم شأنه، وسلطانه، فلم ينجع(*) ذلك في قلوب كفار مكة، فذكر قدرته كي يعتبروا.

فقال تعالى ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[1] وهو في الباطن أمر للمؤمنين بالتذلل والافتقار إليه، فقال: انظروا إلى الإبل كيف خلقت، مع خلقتها وقوتها كيف تنقاد لصبي يقودها، فلا يكون لها نحير ولا لها دونها اختيار، فلا تعجز أن تكون لربك كالإبل لصاحبها.

ولهذا قال الرسول ﷺ «كن لربك كالجمل الأنف» يعني المطاوع، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التي يذكر فيها والفجر﴾

قوله تعالى ﴿وَالْفَجْرِ﴾[2] قال: ظاهرها الفجر الصبح.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[3] قال: يعني عشر ذي الحجة، وهي الأيام المعلومات.

﴿وَالشَّفْعِ﴾[4] آدم وحواء، وقيل: جميع ما خلق الله من الأضداد، الليل والنهار، والنور والظلمة، والموت والحياة.

﴿وَالْوَتْرِ﴾ هو الله تعالى.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[5] ليلة الجمع تذهب بما فيها، قال: باطنها، والفجر محمد ﷺ، منه تفجرت أنوار الإيمان، وأنوار الطاعات، وأنوار الكونين.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ العشرة من أصحابه الذين شهد لهم بالجنة.

---

* فلم ينفع ولم يظهر له أثر.

١- الغاشية: ١٧.

٢- الفجر: ١.

٣- الفجر: ٢. ٤- الفجر: ٣. ٥- الفجر: ٤.

﴿وَالشَّفْعِ﴾ الفرض والسنة، ﴿وَالْوَتْرِ﴾ نية الإخلاص لله تعالى فى الطاعات، دون رؤية غيره فيها.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ أمته، وذلك السواد الأعظم، كما قال ﷺ: «ليلة أسرى بى رأيت سوادا عظيما ما بين السماء والأرض فقلت: ما هذا السواد يا جبريل؟ قال: هذه أمتك ولك سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب»، لم تَكْلُمْهم الخطايا ولم يدنسوا بالدنيا، لا يعرفون إلا الله، فأقسم الله به وبأصحابه وبأمته.

وجواب القسم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[1] يعنى: طريق الكل عليه يجازيهم بأعمالهم، فإما سالم أو غيره.

يقول: يجعل رصدا من الملائكة على جسر جهنم معهم الحسك، يسألون الخلق عن الفرائض.

﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾[2] قال: يعنى بعض المؤمنين إذا اختبره ربه بالنعمة ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ بما أعطانى من السعة والرزق، وذلك له استدراج واغترار.

وقد قال الحسن رضى الله عنه: لا يزال العبد بخير ما علم ما الذى يفسد عمله، ومنهم من يزين له ما هو فيه، ومنهم من تغلبه الشهوة.

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾[3] أى: قتر عليه رزقه ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ بالفقر، يقول الله: (كَلاَّ) لم أبتله بالغنى لكرامته، ولم أبتله بالفقر لهوانه علىّ.

ولقد حكى أن فتح بن شحرف رجع إلى أهله بعد صلاة العتمة(*)، وكان

١- الفجر: ١٤.

٢- الفجر: ١٥.

٣- الفجر: ١٦.

* صلاة العشاء.

صائما، فقال: عشوني، فقالوا ما عندنا شيء نعشيك به، قال: فما لكم جلوس فى الظلمة؟ قالوا: ما عندنا زيت نسرج به.

قال: فقعد يبكي من الفرح إلى الصباح، وقال إلهى مثلى يترك بلا عشاء بلا سراج، بأى يد كانت منى يا مولاى.

قوله تعالى ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** ﴾[1] قال: هذا خطاب لنفس الروح الذى به حياة نفس الطبع، والمطمئنة: المصدقة بثواب الله وعقابه.

﴿ **ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ** ﴾[2] بطريق الآخرة، ﴿ **رَاضِيَةً** ﴾ عن الله بالله ﴿ **مَّرْضِيَّةً** ﴾ عنها لسكونها إلى الله عز وجل.

﴿ **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي** ﴾[3] أى: فى جملة أوليائى الذين هم عبادى حقا.

﴿ **وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾[4] (قال) سهل: الجنة جنتان، إحداهما الجنة نفسها، والأخرى: حياة بحياة، وبقاء ببقاء، كما روى فى الخبر، يقول الملائكة للمنفردين يوم القيامة: امضوا إلى منازلكم فى الجنة، فيقولون ما الجنة عندنا وإنما انفردنا لمعنى منه إلينا لا نريد سواه حياة طيبة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها البلد ﴾

قوله تعالى ﴿ **لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ** ﴾[5] قال: يعنى مكة.

﴿ **وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ** ﴾[6] يعنى: يوم فتح مكة، جعلناها لك حلالا تقتل فيها من شئت من الكفار، كما قال ﷺ: «إنها لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى وإنما أحلت لى ساعة من نهار».

فأقسم الله تعالى بمكة لحلول نبيه فيها إعزازا له وإذلالا لأعدائه.

١- الفجر: ٢٧.
٢- الفجر: ٢٨.
٣- الفجر: ٢٩.
٤- الفجر: ٣٠.
٥- البلد: ١.
٦- البلد: ٢.

﴿ ووَالِدٍ ومَا وَلَدَ ﴾(١) قال: الوالد آدم، وما ولد محمد ﷺ.

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾(٢) أى: فى مشقة وشدة، قال: الكبد الانتصاب، أي: خلقناه فى بطن أمه منتصبا.

كما قال مجاهد: إن الولد يكون فى بطن أمه منتصبا كانتصاب الأم، وملك موكل به إذا اضطجعت الأم رفع رأسه، ولولا ذلك لغرق فى الدم.

قوله تعالى ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾(٣) قال: بينا له طريق الخير ليتبعه، وطريق الشر ليجتنبه.

كما قال ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً** ﴾(٤) وقيل: يعنى التدبير.

قوله تعالى ﴿ **فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ** ﴾(٥) قال: أى فهلا جاوز الصراط والعقبة دونها، وفى الباطن عقبتان: إحداهما الذنوب التى اجترحها، يعنى بين يديه كالجبل، يجازوها بعتق رقبة أو إطعام فى يوم ذى مجاعة وشدة مسكينا، قد لزق بالتراب(*) من الجهد والفاقة، ويتيما بينه وبينه قرابة.

والعقبة الأخرى: المعرفة، لا يقدر العارف عليها إلا بحول الله وقوته، على عتق رقبة نفسه عن الهوى، وإطعام فى يوم ذى مسغبة، ضرورة الإيمان قواما لا ظلما، وطغيانا بلذة نفس الطبع.

﴿ **يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ** ﴾(٦) فاليتيم ههنا القلب، طعامه الوفاء، والمسكين العارف المتحير، فطعامه إلطافه، ذا مقربة عند الله، وعند الخلق ﴿ **ذَا مَتْرَبَةٍ** ﴾(٧).

١- البلد: ٣. ٢- البلد: ٤.

٣- البلد: ١٠.

* تفسير لقوله تعالى ﴿ **أو مسكينا ذا متربة** ﴾.

٤- الإنسان: ٣. ٥- البلد: ١١.

٦- البلد: ١٥. ٧- البلد: ١٦.

قوله تعالى ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾(١) قال: يعني بالصبر على أمر الله، والتراحم بين الخلق.

وقد سئل رسول الله ﷺ ما الإسلام؟ فقال: «الصبر والسماح» فقيل: ما الإيمان؟ فقال: «طيب الكلام وإطعام الطعام».

(قال) سهل: وأطيب الكلام ذكر الله تعالى.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾(٢) قال: يعني الميامنين على أنفسهم من أهوال ذلك اليوم، لا يحسون بدونه، كما كانوا في الدنيا حياة بحياة، وأزلية بأزلية، وسرا بسر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التي يذكر فيها والشمس﴾

قوله تعالى ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا﴾(٣) قال: يعني نور الإيمان يجلي ظلمة الجهل، ويطفئ لهيب النار.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾(٤) قال: يعني الذنوب والإصرار عليها، يغشى نور الإيمان فلا يشرق في القلب، ولا يظهر أثره على الصفات.

كما قال النبي ﷺ: «إن الهوى والشهوة يغلبان العلم والعقل» والبيان لسابق القدر من الله عز وجل.

قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾(٥) قال: أفلح من رُزق النظر في أمر معاده.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(٦) قال: خسرت نفس أغواها الله عز وجل، فلم تنظر في أمر معاده. والله سبحانه وتعالى أعلم.

١- البلد: ١٧.
٢- البلد: ١٨.
٣- الشمس: ٣.
٤- الشمس: ٤.
٥- الشمس: ٩.
٦- الشمس: ١٠.

﴿ السورة التي يذكر فيها والليل ﴾

قوله تعالى ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾[1] قال: باطنها نفس الطبع.

﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾[2] نفس الروح.

﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾[3] أي: ومن خلق الخوف، والرجاء، فالخوف ذكر، والرجاء أنثى.

﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾[4] فمنه ما هو خالص، ومنه ما هو مشوب بالأحداث.

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾[5] أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أعطى من نفسه وماله مجهوده، واتقى سكونه إلى نفس الطبع، وصدق بالحسنى كلمة التوحيد، وقيل بالجزاء، ويقال: هو الإخلاص.

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[6] هو العود إلى الخير.

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴾[7] أبو سفيان(*) بخل بطاعته لله وللرسول، واستغنى أظهر من نفسه الاستغناء عنهما.

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[8] أي: نسهل عليه العمل بعمل أهل النار، ألا تراه كيف قال عقبه.

﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾[9] في النار.

﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴾[10] فالآخرة نفس الروح، والأولى نفس الطبع، يُهدى واحد إلى نفس الروح، وآخر إلى نفس الطبع.

قوله تعالى ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾[11] قال: الأتقى

١- الليل: ١. ٢- الليل: ٢. ٣- الليل: ٣.
٤- الليل: ٤. ٥- الليل: ٥، ٦. ٦- الليل: ٧. ٧- الليل: ٨.
* قد يكون أبا جهل أو أبا لهب فإن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أسلم في فتح مكة وشهد مع الرسول ﷺ حنينا وثبت معه أيضا وأسلم أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية أيضا يوم الفتح.
٨- الليل: ١٠. ٩- الليل: ١١. ١٠- الليل: ١٣. ١١- الليل: ١٧، ١٨.

هو الصدِّيق، هو أتقى الناس، فإن الناس أعطوا واتقوا وهو لم ير الفاني، وأبقى لنفسه الباقي.

كما قال رسول الله ﷺ: «ماذا أبقيت لنفسك؟» قال: الله ورسوله.

قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[1] قال: يعني بما له عندنا، وهو محل الفضل لا محل الثواب، سرا بسر وحياة بحياة، وأزلية بأزلية. والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها والضحى ﴾

قوله تعالى ﴿وَالضُّحَىٰ﴾[2] قال: هو نفس الروح في الباطن.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[3] يعني: نفس الطبع إذا سكن إلى نفس الروح في إدامة الذكر إلى الله تعالى.

قوله تعالى ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾[4] قال: ادخرت لك من المقام المحمود ومحل الشفاعة، خيرا مما أعطيتك في الدنيا من النبوة والرسالة.

قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾[5] قال: يعني ألم يجدك فردا فآواك إلى أصحابك.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾[6] قال: أي وجدك لا تعرف قدر نفسك فعرفك قدرك، ووجدك ضالا عن معاني محض مودتك، فسقاك من شراب مودته بكأس محبته، فهداك إلى معرفته، وخلع عليك خلع نبوته ورسالته، ليدل بهما على قربه ووحدانيته.

قال: وفيها وجه آخر: ووجدك نفسك نفس الطبع فقير إلى سبيل المعرفة.

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[7] قال: وجد نفسك حيرانة والهة إلى المعرفة بنا، فقيرة إليها، فقوى نفس روحك، فأغناها بالقرآن وبالحكمة.

١- الليل: ٢١.　٢- الضحى: ١.　٣- الضحى: ٢.

٤- الضحى: ٤.　٥- الضحى: ٦.　٦- الضحى: ٧.　٧- الضحى: ٨.

وقد قال رسول الله ﷺ «ليس الغنى كثرة العروض إنما الغنى غنى النفس».

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴾[1] فقد ذقت طعم اليتم.

قال: ووجه آخر: فقد علمت موقع اللطف من قلب اليتيم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها ألم نشرح «الشرح» ﴾

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[2] قال: ألم نوسع لك صدرك بنور الرسالة، فجعلناه معدنا للحقائق.

قال: وأول الشرح بنور الإسلام، كما قال الله تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾[3].

ثم قال: يزداد المنازل بعده، فيكون الأنوار على قدر المواهب من البصائر.

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾[4] قال: يعني أزلنا عنك السكون إلى غيرنا من همة نفس الطبع، فجعلناك ساكنا إلينا، قابلا عنا بنا.

قوله تعالى ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[5] قال: وصلنا اسمك باسمنا في الأذان والتوحيد، فلا يقبل إيمان العبد حتى يؤمن بك.

قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[6] قال: عظم الله تعالى حال الرجاء في هذه الآية بكرمه وخفي لطفه، فذكر اليسر مرتين.

وقد قال النبي ﷺ: «لن يغلب عسر يسرين[*]» يعني فطنة القلب والعقل يسران، يغلبان نفس الطبع، فيعيدانه إلى الإخلاص وهو معنى الآية في الباطن.

١- الضحى: ٩.
٢- الشرح: ١.
٣- الأنعام: ١٢٥.
٤- الشرح: ٢.
٥- الشرح: ٤.
٦- الشرح: ٥.

* فالعسر ذكر معرفا فهو نفس العسر الأول واليسر ذكر منكرا فهو يسر آخر، عسر واحد ويسران.

أى: فإن مع شدة نفس الطبع فى افتقاره إلى ذات الحق عز وجل إلى نفس الروح، والعقل، وفطنة القلب، وهو فى الباطن تسكين قلب محمد ﷺ على الإعانة، خوفا.

فقال: إنا سلطنا على نفس الطبع الكثيف منك، لطائف نفس الروح والعقل والقلب والفهم، التى سبقت بالموهبة الجليلة، قبل بدوٍّ الخلق بألف عام، فغلبت نفس الطبع.

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ ﴾[1] من صلاتك المكتوبة وأنت جالس.

﴿ فَانصَبْ ﴾ إلى ربك، وارجع إليه، كما كنت قبل نفس الطبع، قبل بدوٍّ الخلق، فردا بفرد، وسرا بسر، فوهب الله له مثل منزلته السابقة فى الدنيا.

كما قال النبى ﷺ «إن لى مع الله وقتا لا يسعنى غيره».

هذا باطن الآية، وظاهرها ما عليه الظاهر.

وحكى أبو عمرو بن العلاء فقال: هربنا من الحجاج فدخلنا البادية، فأقمنا بها دهرا نتردد من حىّ إلى حىّ، فبينا أنا خارج فى بعض الأحياء ذات غداة، متوزع الخاطر، مبهم القلب، ضيق الصدر، إذ سمعت شيخا من الأعراب مجتازا يقول:

صبر النفس يجلى كل هم * إن فى الصبر حيلة المحتال

ربما تكره النفوس من الشى * ء له فرجة كحل العقال

فلم يستتم الشيخ إنشاد البيتين حتى رأيت فارسا من بعيد ينادى: قد مات الحجاج، قال: فسألت الشيخ عن الفرجة فقال: الفُرجة بضم الفاء فى الحائط والعود ونحوهما، والفَرجة بفتح الفاء فى الأمر من الشدة والنوائب.

قال أبو عمرو: فلم أدر بأيهما كنت أشد سروراً، أبموت الحجاج أم بهذه الفائدة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

١- الشرح: ٧.

﴿ السورة التي يذكر فيها والتين ﴾

قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[1] قال: أى فى أحسن قامة، وأحسن صورة.

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾[2] يعنى نقلناه من حال إلى حال، حتى أدركه الهرم.

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[3] فى شبابهم، فإنهم إذا ضعفوا وشاخوا أمرنا الملائكة تكتب لهم الأعمال، كما كانت تكتب لهم حال شبابهم.

﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[4] أي: لا ينقطع عنهم أجور أعمالهم، وإن ضعفوا عنها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها العلق ﴾

قوله تعالى ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴾[5] قال: أى رؤية الغنى تورث الاستغناء، والاستغناء يورث الطغيان.

وقد قال الحسن رحمة الله عليه: لقد قصر نظر عبد زويت عنه الدنيا، ثم لم يعلم أن ذلك نظر من الله، لقد قصر علم عبد بسطت له الدنيا، فلم يخش أن يكون ذلك مكرا من الله تعالى يمكر به.

ثم قال: والله ما بسطت الدنيا لعبد إلا طغى، كائنا من كان ثم تلا قوله تعالى ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾[6] قال: ليس له وراء، وهو وراء كل وراء.

١- التين: ٤.
٢- التين: ٥.
٣، ٤- التين: ٦.
٥- العلق: ٦.
٦- العلق: ١٤.

قوله تعالى ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾(١) قال: يعني عشيرته.

﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾(٢) يعني: خزنة جهنم، أرجلهم في الأرض ورءوسهم في السماء الدنيا.

وإنما سموا زبانية من الزبن، وهو الدفع، يدفعون الجهنميين في قفاهم بأيديهم وأرجلهم.

فلما سمع أبو جهل ذكر الزبانية هرب إلى قومه، فقالوا له: أخفته؟ فقال: لا ولكن خفت الزبانية، لا أدري من هم. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

﴿ السورة التي يذكر فيها القدر ﴾

قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾(٣) قال: ليلة القدر قدرت فيها الرحمة على عباده.

قوله تعالى ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ ﴾(٤) أي: سلام من الظلمة، أوقات العارفين به، والقائمين معه، على حدود الأحكام في الأوامر والنواهي. والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها البينة ﴾

قوله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾(٥) قال: العلم كله في الحركات حتى يصير إلى الإخلاص، فإذا بلغ إلى الإخلاص صار طمأنينة.

فمن كان علمه يقينا، وعمله إخلاصا أذهب الله عنه ثلاثة أشياء: الجزع، والجهل، والعمل، وأعطاه بدل الجزع الصبر، وبدل الجهل العلم، وبدل العمل ترك الاختيار، ولا يكون هذا إلا للمتقين.

قيل: وما الإخلاص؟ قال: الإجابة فمن لم تكن له الإجابة فلا إخلاص له.

١- العلق: ١٧. ٢- العلق: ١٨. ٣- القدر: ١. ٤- القدر: ٤، ٥. ٥- البينة: ٥.

وقال: الإخلاص على ثلاثة معان: إخلاص العبادة لله، وإخلاص العمل له، وإخلاص القلب له.

قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾(١) قال: الخشية سر، والخشوع علانية. من خشعت جوارحه لم يقربه الشيطان.

قيل: فما الخشوع؟ قال: الوقوف بين يدى الله، والصبر على ذلك.

قال: وكمال الخشية ترك الآثام فى السر والعلانية، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الزلزلة ﴾

قوله تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾(٢) قال: يتبع كل أحد ما كان يعتمده، فمن اعتمد فضل الله اتبع فضله، ومن اعتمد عمله اتبع عمله، ومن اعتمد الشفاعة اتبع الشفاعة.

قوله تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾(٣) قال: لما نزلت هذه الآية خطب رسول الله ﷺ فقال فى خطبته: «ألا وإن الدنيا عرض حاضر، يأكل منه البر والفاجر، ألا وإن الآخرة أجل صادق، يقضى فيها ملك قادر، ألا وإن الخير كله بحذافيره فى الجنة، ألا وإن الشر كله بحذافيره فى النار، ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم معرضون على أعمالكم ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾».

قال أبو الدرداء رضى الله عنه: إتمام التقوى أن يتقى اللهَ عبدُه حتى يتقيه فى مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما، يكون حجابا بينه وبين الحرام(*).

١ـ البينة: ٨. ٢ـ الزلزلة: ٦. ٣ـ الزلزلة: ٧.

* فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه كما قال رسول الله ﷺ.

(قال) سهل : لا تستصغر شيئا من الذنوب وإن قَلّ، فإنهم قالوا أربعة بعد الذنب أشد من الذنب : الإصرار، والاستبشار، والاستصغار، والافتخار(*).

وقد قال ابن مسعود رضى الله عنهما : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه فى أصل جبل، يخاف أن يقع عليه، وإن الكافر يرى ذنوبه كذبابة وقعت على أنفه، فقال : هكذا بيده فطارت.

ثم (قال) سهل : معشر المسلمين لقد أعقبتم الإقرار باللسان، واليقين فى القلب، أن الله واحد ليس كمثله شيء، وأن لكم ليوما يبعثكم فيه ويسألكم فيه عن مثاقيل الذر من أعمالكم، فإن كان خيرا أثابكم فيه، وإن كان شرا عاقبكم عليه، إن شاء فحققوه بالفعل.

قيل له : وكيف لنا أن نحققه بالفعل؟ قال : بخمسة أشياء لا بد لكم منها : أكل الحلال، ولبس الحلال، وحفظ الجوارح، وأداء الحقوق، كما أمرتم به، وكف الأذى عن المسلمين، كيلا يذهب بأعمالكم قصاصا فى القيامة، ثم استعينوا على ذلك كلهُ بالله حتى يتمها لكم.

قيل له : فكيف تصح للعبد هذه الأحوال؟ قال : لا بد له من عشرة أشياء : يدع منها خمسا ويتمسك بخمس، يدع وساوس العدو ويتبع العقل فيما يزجره، ويدع اهتمامه لأمر الدنيا ويتركها لأهلها، ويهتم بالآخرة ويعين أهلها، ويدع اتباعه الهوى ويتقى الله على كل حال، ويترك المعصية ويشتغل بالطاعة، ويدع الجهل والإقامة عليه حتى يحكم عمله، ويطلب العلم ويعمل به.

قيل له : وكيف لنا أن نقيمها ونعمل بها؟ قال : لا بد من أربعة أشياء : لا يتعب نفسه فيما كان مصيره إلى التراب، ولا يرغب فيه، ولا يتخذ إخوانا مصيرهم إلى التراب، ولا يرغب فيهم.

---

* يستر الله عليه بالليل ويصبح يكشف ستر الله عليه بالنهار.

قيل: كيف ذلك؟ قال: يعلم أنه عبد مولاه عالم بحاله، شاهد قادر على فرحه وترحه(*)، رحيم به. والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التي يذكر فيها والعاديات﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[1] قال: الكنود الكفور، وهو الذي يخالف العهد ويجانب الصدق، وألف الهوى، فحينئذ يؤيسه الله من كل بر وتقوى.

﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾[2] يعني: الله شهيد على أفعاله وأحواله وأسراره.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[3] قال: الخير المراد ههنا ثلاث: حب النفس، وحب الدنيا، وحب الهوى، فسماها خيرا لتعارف أهلها.

وإنما الخير ثلاث: الاستغناء عن الخلق، والافتقار إلى الله عز وجل، وأداء الأمر. والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التي يذكر فيها القارعة﴾

قوله تعالى ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ﴾[4] قال: يقرع الله أعداءه بالعذاب.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾[5] تعظيم لها ولشدتها، وكل شيء في القرآن وما أدراك فإنه لم يخبر به كما قال ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[6] ولم يخبره بها إلا قوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ ثم أخبره عنها.

قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[7] يعني: يجول بعضهم في بعض من هيبة الله عز وجل.

---

* الترح: الحزن.

١- العاديات: ٦. ٢- العاديات: ٧. ٣- العاديات: ٨.

٤- القارعة: ١، ٢. ٥- القارعة: ٣. ٦- الأحزاب: ٦٣. ٧- القارعة: ٤.

وقيل: القرع ثلاث: القرع للأبدان بسهام الموت، وقرع الأعمال بسؤال الله تعالى إياهم، وقرع القلوب بخوف القطيعة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها التكاثر ﴾

قوله تعالى ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

(قال) سهل: سيعلم من أعرض عنى أنه لا يجد مثلى وأنشد:

ستذكرنى إذا جربتَ غيرى * وتعلم أننى لك كُنت كنزا

قوله تعالى ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾[2] قال: اليقين النار، والإقرار باللسان فتيله، والعمل زيته، وابتداء اليقين بالمكاشفة، ثم المعاينة والمشاهدة.

قوله تعالى ﴿ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾[3] قال: عين اليقين ليس هو من اليقين، لكنه نفس الشيء وكليته.

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾[4] قال: لا تأتى على الخلق من الجن والإنس ساعة من ساعات الليل والنهار، إلا ولله عليهم فيها حق واجب، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، فيتثبت أحوالهم يوم القيامة، ثم قرأ ﴿ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾. والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها والعصر ﴾

قوله تعالى ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾[5] قيل: أى ورب الدهر، وقيل أراد به والعصر:

﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾[6] يعنى أبا لهب، خسر أيامه كلها.

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[7] يعنى: أدوا الفرائض، كما فرضت عليهم.

---

١ - التكاثر: ٣. ٢ - التكاثر: ٥. ٣ - التكاثر: ٧.
٤ - التكاثر: ٨. ٥ - العصر: ١. ٦ - العصر: ٢. ٧ - العصر: ٣.

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ أى بالله عز وجل ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ على أمره.

الكلام عن الصبر:

قيل: ما الصبر؟ قال: لا عمل أفضل من الصبر، ولا ثواب أكبر من ثواب الصبر، ولا زاد إلا التقوى، ولا تقوى إلا بالصبر، ولا معين على الصبر لله إلا الله عز وجل.

قيل: الصبر من الأعمال؛ قال: نعم، الصبر من العمل بمنزلة الرأس من الجسد، لا يصلح أحدهما إلا بصاحبه.

قيل: ما أجل الصبر؟ قال: أجله انتظار الفرج من الحق.

قيل: فما أصل الصبر؟ قال: مجاهدة النفس على إقامة الطاعات، وأدائها بأحكامها وحدودها، ومكابدتها على اجتناب المعاصى صغيرها وكبيرها.

قيل: والناس فى الصبر كيف هم؟ قال: الناس فى الصبر صنفان: فصنف يصبرون للدنيا حتى ينالوا منها ما تشتهى أنفسهم، فهو الصبر المذموم، وصنف يصبرون للآخرة طلبا لثواب الآخرة وخوفا من عذابها.

قيل: فالصبر للآخرة هو على نوع واحد أو على أنواع؟ قال: الصبر للآخرة له أربع مقامات، فثلاث منها فرض والرابع فضيلة: صبر على طاعة الله عز وجل، وصبر عن معصيته، وصبر على المصائب من عنده.

أو قال: صبر على أمر الله عز وجل، وصبر على نهيه، وصبر على أفعال الله عز وجل، فهذه ثلاث مقامات منه وهى فرض، والمقام الرابع فضيلة وهو الصبر على أفعال المخلوقين.

قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾[1] الآية، أى بالمثل وفضل الصبر.

ثم قال: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾[2] ولا يعين عليه إلا هو.

١- النحل: ١٢٦.

٢- النحل: ١٢٧.

ولقد لحق رجل بأويس القرنى رحمه الله فسمعه يقول: اللهم إنى أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة، وبدن عارٍ، فإنه ليس فى بيتى من الطعام إلا ما فى بطنى، وليس شيء من الدنيا إلا ما على ظهرى.

قال: وعلى ظهره خريقة قد تردى بها.

قال: وأتاه رجل فقال له يا أويس: كيف أصبحت، أو قال: كيف أمسيت؟ قال: أحمد الله على كل حال، وما تسأل عن حال رجل إذا هو أصبح ظن أنه لا يمسى، وإذا أمسى ظن أنه لا يصبح.

إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحا، وإن حق الله عز وجل فى مال المسلم لم يدع له فى ماله فضة ولا ذهبا.

وإن الأمر بالمعروف والنهى عنه المنكر لم يدع لمؤمن صديقا، نأمر بالمعروف فيشتمون أعراضنا، ويجدون على ذلك من الفاسقين أعوانا، حتى والله لقد قذفونى بالعظائم، وايم الله لا أدع أن أقوم لله فيهم بحقه، ثم أخذ الطريق.

فهذا أويس قد بلغ هذا المقام فى الصبر. والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التى يذكر فيها الهُمَزة﴾

قوله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾(١) يعنى المغتاب إذا غاب الرجل عنه اغتابه.

﴿لُّمَزَةٍ﴾(٢) يعنى: الطاعن إذا رآه طعن فيه، نزلت فى الوليد بن المغيرة.

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾(٣) قال: استعبد ماله لدنياه.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾(٤) قال: أى أخلده لدار البقاء، وقيل: أخلده من الموت.

١، ٢– الهمزة: ١.

٣– الهمزة: ٢.

٤– الهمزة: ٣.

قوله تعالى ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴾[١] أى: لا تخمد تأكل الجلد واللحم، حتى يخلص حرها إلى القلوب.

الكلام عن النيران:

والنيران أربعة: نار الشهوة، ونار الشقاوة، ونار القطيعة، ونار المحبة.

فنار الشهوة تحرق الطاعات، ونار الشقاوة تحرق التوحيد، ونار القطيعة تحرق القلوب، ونار المحبة تحرق النيران كلها.

ولقد حكى أن على بن الحسين(*) رضى الله عنهما دخل مغارة مع أصحاب له، فرأى امرأة فى المغارة وحدها، فقال لها: من أنت؟ قالت: أمة من إماء الله، إليك عنى، لا يذهب الحب.

فقال لها علىّ رضى الله عنه: وما الحب؟ قالت: أخفى من أن يرى، وأبين من أن يخفى، كمونه فى الحشاء ككمون النار فى الحجر، إن قدحته أورى(**) وإن تركته توارت ثم أنشأت تقول:

إن المحبين فى شغل لسيدهـــم   كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

﴿ السورة التى يذكر فيها الفيل ﴾

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾[٢] قال: ألم تعلم كيف فعل ربك بأعدائك، وأنت بعد لم تظهر فى الدنيا.

كذلك يفعل بأعدائك وأنت بين ظهرانيهم، ويرفع عنك مكرهم.

قال عكرمة. قوله تعالى: ﴿ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾[٣] قال: طير نشأت من قبل

١- الهمزة: ٦.

* على الأصغر زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهما - انظر كتابنا عنه ط / مكتبة الصفا بالأزهر.

** قدح بالزند ضرب به حجره لتخرج النار منه.

٢- الفيل: ١.   ٣- الفيل: ٣.

البحر، لها رءوس كرءوس الأفاعى، وقيل كرءوس السباع، لم تر قبل يومئذ ولا بعده، فجعلت ترميهم بالحجارة لتجدر جلودهم، وكان أول يوم رئى فيه الجدرى.

﴿ السورة التى يذكر فيها قريش ﴾

قوله تعالى ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾(١) قال: يعنى لتآلف قريش الرحلتين.

﴿ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ ﴾(٢) إلى اليمن، ﴿ وَ ﴾ رحلة ﴿ الصَّيْفِ ﴾ إلى الشام، أهلكنا أصحاب اليمن كذلك، كأنه يقول للنبى ﷺ: ذكِّر قريشا نعمتى عليهم بك قبل إرسالك إليهم.

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾(٣) يعنى بيت الله الكعبة الذى بمكة.

﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾(٤) السنين(*) ﴿ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ النجاشى، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها الدين «الماعون» ﴾

قوله تعالى ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾(٥) قال: أى بالحساب يوم يدان الناس.

﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾(٦) أى يدفعه عن حقه.

﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾(٧) أى: لا يطعم مسكينا، نزلت فى عاصم بن وائل.

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾(٨) قال: هم المنافقون، غافلون عن مراعاة أوقات الصلاة، ومراعاة حقوقها.

١- قريش: ١.
٢- قريش: ٢.
٣- قريش: ٣.
٤- قريش: ٤.
* جمع سنة وهى القحط.
٥- الماعون: ١.
٦- الماعون: ٢.
٧- الماعون: ٣.
٨- الماعون: ٤، ٥.

وهذا وعيد شديد، إذ ليس كل من كان في صورة المطيعين، واقفا مع العابدين، كان مطيعا مقبول العمل.

وفي زبور داود عليه السلام: قل للذين يحضرون الكنائس بأبدانهم، ويقفون مواقف العباد وقلوبهم في الدنيا، أبي يستخفون أم إياى يخدعون؟!.

وفي الخبر ليس لأحد من صلاته إلا ما عقل(*).

قوله تعالى ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾(١) قال: هو الشرك الخفي، لأن المنافقين كانوا يحسنون الصلاة في المساجد، فإذا غابوا عن أعين المسلمين تكاسلوا عنها.

ألا ترى كيف أثبتهم أولا مصلين ثم أوعدهم بالوعيد، واعلموا أن الشرك شركان: شرك في ذات الله عز وجل، وشرك في معاملته.

فالشرك في ذاته غير مغفور، وأما الشرك في معاملته، قال: نحو أن يحج ويصلي، ويعلم الناس، فيثنون عليه، وهذا هو الشرك الخفي.

وفي الخبر أخلصوا أعمالكم لله، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما خلص، ولا تقولوا هذا لله وللرحم إذا وصلتموه فإنه للرحم وليس منه لله شيء.

وقد قال النبي ﷺ لمعاذ حين قال له أوصني يا رسول الله، قال: «أخلص لله يكفك القليل من العمل».

قوله تعالى ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾(٢) قال: الماعون متاع البيت، وقيل هو الزكاة، وهو المال بلغة الحبش. والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التي يذكر فيها الكوثر﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾(٣) قال: لما مات القاسم بمكة ومات

---

* فقد يكون له نصفها أو ثلثها أو ربعها أو أقل أو أكثر.

١ـ الماعون: ٦. ٢ـ الماعون: ٧. ٣ـ الكوثر: ١.

إبراهيم بالمدينة، قالت قريش: أصبح محمد ﷺ أبتر فغاظه ذلك فنزلت ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ تعزيه وتعوضه.

الكوثر وهو الحوض، تسقى من شئت بإذنى وتمنع من شئت بإذنى.

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾[1] عن خير الدارين أجمع. والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها الكافرون ﴾

قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾[2] قال: إنما ذكر قل جوابا عن سؤال الكفار إياه، اعبد إلهنا شهرا فنعبد إلهك سنة.

فأنزل الله تعالى هذه السورة عند قولهم ذلك يا أيها الكافرون، قالوا: مالك يا محمد.

قال: ﴿ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾[3] اليوم.

﴿ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾[4] اليوم.

﴿ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾[5] فى المستقبل.

﴿ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ فى المستقبل.

﴿ لَكُمْ ﴾[6] اختياركم لـ ﴿ دِينُكُمْ وَلِيَ ﴾ اختيارى لـ ﴿ دِينِ ﴾ ثم نسختها آية السيف. والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التى يذكر فيها والنصر ﴾

قوله تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾[7] قال: إذا جاء نصر الله لدينك والفتح لدينك.

١- الكوثر: ٣. ٢- الكافرون: ١. ٣- الكافرون: ٢.
٤- الكافرون: ٣، ٥. ٥- الكافرون: ٤. ٦- الكافرون: ٦. ٧- النصر: ١.

﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ ﴾(١) وهم أهل اليمن ﴿ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾(٢) زمرا القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم، فانصر روحك على نفسك بالتهيئ للآخرة، لأنه منها فالنفس تريد الدنيا لأنها منها، والروح تريد الآخرة لأنها منها، فانصر على النفس، وافتح له باب الآخرة بالتسبيح والاستغفار لأمتك، وكان يستغفر بعد ذلك ويسبح بالغداة مائة مرة وبالعشي مائة مرة، واجتهد في العبادة ليلا ونهارا حتى تورمت قدماه، واحمرت عيناه، واصفرت وجنتاه، وقلَّ تبسمه، وكثر بكاؤه وفكرته.

وقد حكى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: لما نزلت هذه السورة واستبشر بها أصحاب النبى ﷺ، بكى أبو بكر رضى الله عنه بكاءً شديدا، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك» قال: نعيت لك نفسك يا رسول الله، فقال له النبي ﷺ: «صدقت»، ثم قال «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل(*)»، وهذا تعليم لأمته بالدين والتسبيح.

وقد قال الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى: أقلوا الكلام إلا من تسع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وقراءة القرآن، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، ومسألة خير، وتعوذ من شر.

﴿ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾(٣) أي: رجاعا يقبل التوبة كلما تاب العبد إليه.

واعلم أن إلهنا أكرم من أن يكون معك على نفسك، فإنه قال: (إن الله يحب التوابين) فإن كنت عليها كان معها بالعفو، وإن كنت معها على أمر الله ونهيه كان عليك.

فمن وافق أمر الله على هواه كان ناجيا، ومن وافق هواه على أمر الله كان هالكا، وإن أمر الله تعالى مر، وهوى النفس حلو، فما مثالها إلا كالأطعمة

١، ٢- النصر: ٢.　　٣- النصر: ٣.

* وهذا الدعاء كان أيضا لابن عباس رضى الله عنهما.

اللذيذة، قد يحصل فيها الصبر، والدواء يشرب مع مرارته لما جعل فيه من المنافع.

وكان بعض الصالحين يقول: واسوأتاه وإن عفوت، فمنهم من يحذر الرد ومنهم من يبكى خجلا وإن عفى عنه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التي يذكر فيها المسد﴾

قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾(١) أى: خسرت يداه، وتب أى خسر، فالخسران الأول خسران المال، والخسران الآخر خسران النفس، ومعنى الخسران ما ذكر بعد ذلك فقال.

﴿**مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ**﴾(٢) فى الآخرة إذا صار إلى النار، ﴿**وَمَا كَسَبَ**﴾ يعنى: ولده عتبة وعتيبة ومعتب.

وفيها وجه آخر أن يكون التباب الأول كالدعاء عليه، والثانى كالإخبار عن وقوع الخسران فى سابق التقدير(*)، وهو جواب عن قول أبى لهب للنبى ﷺ: تبا لك حين جمعهم ودعاهم إلى التوحيد وأنذرهم العذاب، لقوله تعالى ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾(٣).

قوله تعالى ﴿**سَيَصْلَىٰ نَارًا**﴾(٤) سيغشى أبو لهب نارا فى الآخرة.

﴿**ذَاتَ لَهَبٍ**﴾(٥) أى ليس لها دخان.

﴿**وَامْرَأَتُهُ**﴾(٦) أم جميل ﴿**حَمَّالَةَ الْحَطَبِ**﴾(٧) قيل: النمامة.

وقال عكرمة: إنها كانت تحمل الشوك تلقيه على طريق النبى ﷺ.

﴿**فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾(٨) أي: سلسلة من حديد فى النار، كحديد

١- المسد: ١. ٢- المسد: ٢.

* ﴿وتب﴾ أي وقد تب أى قد حصل التباب.

٣- الشعراء: ٢١٤. ٤، ٥- المسد: ٣. ٦، ٧- المسد: ٤. ٨- المسد: ٥.

البكرة التى تجرى فيه، شهرها بهذه العلامة فى جهنم كما كانت مشهورة بعداوة النبى ﷺ . والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الإخلاص ﴾

(سئل سهل) عن الإخلاص قال: هو الإفلاس، يعنى من علم أنه مفلس فهو محق.

قال: وأبطل الله جميع الكفر والأهواء بهذه الأربع الآيات، وإنما سميت سورة الإخلاص لأنها تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به.

قوله تعالى ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾(١) ليس له كفؤ ولا مثل.

﴿ **اللَّهُ الصَّمَدُ** ﴾(٢) قال: الصمد السيد الذى نصمد إليه فى الجوائح(*) والعوارض، ومعناه المصمود إليه.

وقال: الصمد الذى لا يحتاج إلى الطعام والشراب.

﴿ **لَمْ يَلِدْ** ﴾(٣) فيورث ﴿ **وَلَمْ يُولَدْ** ﴾ فيكون ملكه محدثا، وهو أيضا إثبات الفردانية، ونفى الأسباب عنه ردا على الكفار.

﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾(٤) معناه: ولم يكن له أحد كفؤا على جهة التقديم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ السورة التي يذكر فيها الفلق ﴾

قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾(٥) قال: إنّ الله تعالى أمره فى هاتين السورتين(**) بالاعتصام، والاستعانة به وإظهار الفقر إليه.

١- الإخلاص: ١. ٢- الإخلاص: ٢.

* وفى الحوائج أيضا.

٣- الإخلاص: ٣. ٤- الإخلاص: ٤. ٥- الفلق: ١.

** يقصد الفلق والناس.

قيل: ما إظهار الفقر؟ قال: هو الحال بالحال، لأن الطبع ميت وإظهاره حياته.

وقال: أفضل الطهارة أن يطهر العبد من حوله وقوته، وكل فعل أو قول لا يقارنه لا حول ولا قوة إلا بالله لا يتولاه الله عز وجل، وكل قول لا يقارنه استثناء عوقب عليه، وإن كان براء، وكل مصيبة لا يقارنها استرجاع لم يثب(*) عليها صاحبها يوم القيامة.

قال: والفلق الصبح عند ابن عباس رضى الله عنهما، وهوعند الضحاك واد فى النار، وعند وهب بيت فى النار، وعند الحسن جب فى النار.

وقيل: أراد به جميع الخلق، وقيل: هو الصخور تنفلق عن المياه.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾(١) من الإنس والجن، وذلك أن لبيد بن أعصم اليهودى سحر النبى ﷺ فى بئر بنى بياضة، وكان يسد إليها فأسد إليها فدب فيه السحر، فاشتد عليه ذلك، فأنزل الله تعالى المعوّذتين، وأخبره جبريل عليه السلام بالسحر، وأخرج إليها رجلين من أصحابه فأخرجاه من البئر وجاءا به إلى النبى ﷺ.

فجعل يحل عقدة عقدة، ويقرأ آية، حتى برئ رسول الله ﷺ، بعدما ختم السورتين بلا مهلة.

فكان لبيد بعد ذلك يأتى إلى النبى ﷺ، فما رأى فى وجه النبى ﷺ من ذلك شيئا ولا ذاكره ذلك.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾(٢) يعنى إذا دخل الليل.

وقيل إذا اشتدت ظلمته، وقيل: وقوب الليل فى أول الليل ترسل فيه عفاريت الجن، فلا يشفى مصاب تلك الساعة.

---

* أى لم يؤجر عليها ولا يجازى ثوابها.

١ ــ الفلق: ٢.

٢ ــ الفلق: ٣.

(قال) سهل: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ باطنها الذكر إذا دخله رؤية النفس فستر عن الإخلاص لله بالذكر فيه.

﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾[1] أى: السواحر تنفث فى العقد.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[2] يعنى اليهود حسدوا النبى ﷺ حتى سحروه.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية: هو نفس ابن آدم وعينه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿السورة التى يذكر فيها الناس﴾

قوله تعالى ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾[3]. (قال) سهل: ما الوسوسة؟ فقال: كل شىء دون الله تعالى فهو وسوسة، وإن القلب إذا كان مع الله تعالى فهو قائل عن الله تعالى، وإذا كان مع غيره فهو قائل مع غيره.

ثم قال: من أراد الدنيا لم ينج من الوسوسة، ومقام الوسوسة من العبد مقام النفس الأمارة بالسوء، وهو ذكر الطبع، فوسوسة العدوّ فى الصدور كما قال:

﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[4] يعنى: فى صدور الجن والإنس جميعا، وسوسة النفس فى القلب.

قال الله تعالى ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[5] وإن معرفة النفس أخفى من معرفة العدوّ، ومعرفة العدو أجلى من معرفة الدنيا، وأسر العدو معرفته، فإذا عرفته فقد أسرته، وإن لم تعرف أنه العدوّ أسرك.

١- الفلق: ٤.
٢- الفلق: ٥.
٣-الناس: ٤.
٤- الناس: ٥، ٦.
٥- ق: ١٦.

فإنما مثل العبد والعدوّ والدنيا كمثل الصياد والطير والحبوب، فالصياد إبليس، والطير العبد، والحبوب الدنيا.

وما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمع، فإن كنت صائما فأردت أن تفطر قال لك: ما يقول الناس، أنت قد عرفت بالصوم، تركت الصيام فإن قلت مالى وللناس، قال لك: صدقت، أفطر فإنهم سيضعون أمرك على الحسبة والإخلاص فى فطرك، وإن كنت عرفت بالعزلة فخرجت قال: ما يقول الناس، تركت العزلة، فإن قلت مالى وللناس قال صدقت، اخرج فإنهم سيضعون أمرك على الإخلاص والحسبة وكذلك فى كل شيء من أمرك، يردك إلى الناس، حتى كأنه ليأمرك بالتواضع للشهرة عند الناس.

ولقد حكى أن رجلا من العباد كان لا يغضب، فأتاه الشيطان وقال: إنك إن تغضب وتصبر كان أعظم لأجرك، ففطن به العابد قال: وكيف يجيء الغضب؟ قال: آتيك بشيء فأقول لمن هو؟ فقل هو لى، فأقول بل هو لى، فأتاه بشيء وقال العابد هو لى، فقال الشيطان: لا بل هو لى، فقال العابد: إن كان لك فاذهب به ولم يغضب، فرجع الشيطان خائبا حزينا، أراد أن يشغل قلبه حتى يصيب منه حاجته، فعرفه واتقى غروره.

ثم قال سهل: عليك بالإخلاص تسلم من الوسوسة، وإياك والتدبير فإنه داء النفس، وعليك بالاقتداء فإنه أساس العمل، وإياك والعجب فإن أدنى باب منه لم تستتمه حتى تدخل النار، وعليك بالقنوع والرضا فإن العيش فيهما، وإياك والائتمار على غيرك فإنه لينسيك نفسك، وعليك بالصمت فأنت تعرف الأحوال فيه، وعليك بترك الشهوات تنقطع به عن الدنيا، وعليك بسهر الليل تموت نفسك من ميلة طبعك، وتحيى قلبك، وإذا صليت فاجعلها وداعا، وخف الله يؤمنك، وراجه يؤملك، واتكل عليه يكفك، وعليك بالخلوة تنقطع الآفات عنك.

ولقد قال ابن عباس رضى الله عنهما: لولا مخافة الوسواس لرحلت إلى بلاد لا أنيس بها، وهل يفسد الناس إلا الناس.

ثم قال سهل: مخالطة الولى بالناس ذل وتفرده عز، وما رأيت أولياء لله تعالى إلا منفردين.

إن عبد الله بن عبدالله بن صالح رحمهم الله كان رجلا له سابقة جليلة، وموهبة جزيلة، وكان يفر من بلد إلى بلد حتى يأتى مكة، فطال بها مقامه، فقلت له: لقد طال مقامك بها فقال: ولم لا أقيم بها ولم أر بقعة ينزل فيها من الرحمة والبركة مثلها، يطوف الملائكة حول البيت غدوة وعشية على صور شتى، لا يقطعون ذلك، وإن فيها عجائب كثيرة ولو قلت: كلما رأيت لصغت عنه قلوب أقوام ليسوا بمؤمنين.

فقلت: أسألك بحق الحق أن تخبرنى بشىء من ذلك، فقال: ما من ولىّ لله تعالى صحت ولايته إلا وهو يحضر فى هذه البلد فى كل ليلة جمعة، ولقد رأيت رجلا يقال له مالك بن القاسم الجيلى رحمه الله تعالى ليله ههنا، ورأيت على يده غمرا فقلت: إنك لقريب العهد بالأكل، فقال: استغفر الله فإنى منذ أسبوع لم أطعم شيئا، ولكنى أطعمت والدتى وأسرعت لأدرك صلاة الفجر ههنا جماعة، وبين مكة وبين الموضع الذى جاء منه سبعمائة فرسخ، فهل أنت مؤمن بذلك؟ فقلت: بلى، فقال: الحمد لله الذى أرانى مؤمنا مؤمنا.

وقال ابن سالم: كنت عند سهل رحمه الله تعالى فأتاه رجلان بعد صلاة العصر، وجعلا يحدثانه، فقلت فى نفسى: لقد أبطآ عنده وما أراهما يرجعان فى هذا الوقت، وذهبت إلى منزلى لأهيئ لهما عشاء، فلما رجعت إليه لم أر عنده أحدا، فسألت عن حالهما فقال: إن أحدهما يصلى المغرب بالمشرق، والآخر بالمغرب، وإنما أتيانى زائرين.

ولقد دخل سهل على رجل من عباد البصرة فرأى عنده بُلبلة فى قفص، فقال: لمن هذه البلبلة؟ فقال لهذا الصبى، كان ابنا له.

قال: فأخرج سهل من كمه دينارا فقال: يا بنى أيما أحب إليك الدينار أم البلبلة؟ فقال الدينار، فدفع إليه الدينار وأطلق البلبلة. قال: فقعد البلبل على

حائط الدار حتى خرج سهل، فجعل يرفرف فوق رأسه حتى دخل سهل داره، وكان في داره سدرة فسكنت البلبلة السدرة، فلم تزل فيها حتى مات، فلما رفعوا جنازته جعلت ترفرف فوق جنازته والناس يبكون حتى جاءوا بها إلى قبره، فوقفت في ناحية حتى دفن وتفرق الناس عن قربه، فلم تزل تضطرب على قبره حتى ماتت فدفنت بجنبه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

وجد بآخر إحدى النسخ ما يلي:

تم بعون الله وحسن توفيقه هذا التفسير الفائق والتأويل الرائق بعون الملك الخالق وهو تفسير تلوح عليه علامات الأنوار كيف لا وهو لخاتمة المحققين وكبير المفسرين أبي محمد سهل بن عبدالله التستري رحمه الله برحمة من عنده ونفعنا بتفسيره آمين.

* * *

اللهم يا مولى المؤمنين تولنا وقراء هذا التفسير بفضلك العميم واجعل توكلنا عليك يا أرحم الراحمين ولا تكلنا لغيرك فأنت المأمول بالخير يا خير من سُئل ويا أفضل من أعطى توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين وصل وسلم وبارك على خير المرسلين وإخوانه من النبيين والمرسلين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(المحققان)

بسم الله الرحمن الرحيم

فهـــرسة تفسير القرآن العظيم

للتسترى

الموضـــوع	الصفحة
مقدمة المحققين	٣
علم التصوف وكتبه	٧
علم التفسير	٢٧
من أنواع التفسير	٣٧
التفسير الصوفى	٤٤
كتب التفسير	٤٧
القول فى التفسير بالرأى	٥٣
حكم التفسير بالرأى	٥٣
أشهر الكتب المؤلفة فى التفسير بالرأى	٥٨
التفسير بالمأثور	٥٩
أشهر الكتب المؤلفة فى التفسير بالمأثور	٦٥
تفسير التسترى	٦٦
التعريف بالمؤلف	٦٧
المراجع	٧٤
مقدمة الكتاب	٧٥
باب : صفات طلاب فهم القرآن	٧٩
فصل فى قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم	٨٥
سورة فاتحة الكتاب	٨٥

الموضوع	الصفحة
سورة البقرة	٨٧
سورة آل عمران	١١٨
سورة النساء	١٣٠
سورة المائدة	١٣٧
سورة الأنعام	١٤١
سورة الأعراف	١٤٧
سورة الأنفال	١٥٦
سورة التوبة	١٥٨
سورة يونس	١٦٢
سورة هود	١٦٥
سورة يوسف	١٦٨
سورة الرعد	١٧٣
سورة إبراهيم	١٧٥
سورة الحجر	١٧٧
سورة النحل	١٨٠
سورة الإسراء	١٨٥
سورة الكهف	١٨٨
سورة مريم	١٩١
سورة طه	١٩٥
سورة الأنبياء	١٩٨
سورة الحج	٢٠٠

الموضوع	الصفحة
سورة المؤمنون	٢٠٣
سورة النور	٢٠٥
سورة الفرقان	٢٠٧
سورة الشعراء	٢١٠
سورة النمل	٢١١
سورة القصص	٢١٤
سورة العنكبوت	٢١٦
سورة الروم	٢١٧
سورة لقمان	٢١٩
سورة السجدة	٢٢٠
سورة الأحزاب	٢٢٢
سورة سبأ	٢٢٥
سورة فاطر	٢٢٦
سورة يس	٢٢٧
سورة الصافات	٢٢٨
سورة ص	٢٣٠
سورة الزمر	٢٣١
سورة غافر	٢٣٦
سورة فصلت	٢٣٧
سورة الشورى	٢٣٩
سورة الزخرف	٢٤١

الموضوع	الصفحة
سورة الدخان	٢٤٣
سورة الجاثية	٢٤٤
سورة الأحقاف	٢٤٦
سورة محمد ﷺ	٢٤٨
سورة الفتح	٢٥٠
سورة الحجرات	٢٥٣
سورة ق	٢٥٦
سورة الذاريات	٢٥٨
سورة الطور	٢٦٠
سورة النجم	٢٦١
سورة القمر	٢٦٣
سورة الرحمن	٢٦٤
سورة الواقعة	٢٦٦
سورة الحديد	٢٦٨
سورة المجادلة	٢٧١
سورة الحشر	٢٧٣
سورة الممتحنة	٢٧٥
سورة الصف	٢٧٦
سورة الجمعة	٢٧٧
سورة المنافقون	٢٧٨
سورة التغابن	٢٧٩

الموضوع	الصفحة
سورة الطلاق	٢٨٠
سورة التحريم	٢٨١
سورة الملك	٢٨٢
سورة القلم	٢٨٤
سورة الحاقة	٢٨٥
سورة المعارج	٢٨٩
سورة نوح	٢٩١
سورة الجن	٢٩٢
سورة المزمل	٢٩٣
سورة المدثر	٢٩٥
سورة القيامة	٢٩٦
سورة الإنسان	٢٩٨
سورة المرسلات	٢٩٩
سورة النبأ	٣٠٠
سورة النازعات	٣٠١
سورة عبس	٣٠٢
سورة التكوير	٣٠٣
سورة الانفطار	٣٠٤
سورة المطففين	٣٠٥
سورة الانشقاق	٣٠٧
سورة البروج	٣٠٨

الموضوع	الصفحة
سورة الطارق	٣٠٩
سورة الأعلى	٣١٠
سورة الغاشية	٣١١
سورة الفجر	٣١٢
سورة البلد	٣١٤
سورة الشمس	٣١٦
سورة الليل	٣١٧
سورة الضحى	٣١٨
سورة الشرح	٣١٩
سورة التين	٣٢١
سورة العلق	٣٢١
سورة القدر	٣٢٢
سورة البينة	٣٢٢
سورة الزلزلة	٣٢٣
سورة العاديات	٣٢٥
سورة القارعة	٣٢٥
سورة التكاثر	٣٢٦
سورة العصر	٣٢٦
سورة الهمزة	٣٢٨
سورة الفيل	٣٢٩
سورة قريش	٣٣٠

الموضـوع	الصفحة
سورة الماعون..........................	٣٣٠
سورة الكوثر..........................	٣٣١
سورة الكافرون..........................	٣٣٢
سورة النصر..........................	٣٣٢
سورة المسد..........................	٣٣٤
سورة الإخلاص..........................	٣٣٥
سورة الفلق..........................	٣٣٥
سورة الناس..........................	٣٣٧
الفهرس..........................	٣٤١

تمت الفهرسة

بعون الله

هذا الكتاب

كتاب الله الكريم الكلام القديم لرب العالمين خير ما أنزله الرحمن الرحيم على خير مبعوث من الآدميين إلى أمة سيد المرسلين فيه الهدى والنور والشفاء المبين.

وإذا كانت العلوم الخادمة للقرآن العظيم كثيرة مشهورة إلا أن علوم التفسير تأتى فى مقدمتها سابقة لها.

وإذا كان علم التفسير له أنواع كثيرة واتجاهات متعددة فإن التفسير الصوفى يأتى متقدما بين تلك التفاسير.

وإذا كان التفسير الصوفى قد كتب فيه أكثر من شيخ فإن شيخنا التسترى يأتى بارزا واضحا ظاهرا بين هؤلاء الأشياخ فقد سلك فيه مسلك السادة الصوفية مع موافقته لأهل الظاهر.

وإذ ا كان هذا التفسير صغير الحجم إلا أنه غزير المادة فى موضوعه مشتمل على كثير من علاج الشبهات إذ مؤلفه أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين فى علوم رياضات النفس والإخلاص وعيوب الأفعال لم يكن له نظير فى وقته فى ورعه وكراماته.

وقد وفقنا الله تعالى لهذه الطبعة التى فاقت مثيلاتها فى غزارة المادة وجمال الإخراج إذ قد حرمت منه المكتبة العربية عشرات الأعوام.

الناشر

